

الأبِ النَّبِيِّ

الأدب النبوي

عظات بالغة وحكم عالية وآداب سامية
متخيرة من حديث الرسول ﷺ
مشروحة شرحاً واسعاً يتصل بالحياة المحاضرة

تأليف

محمد عبد العزيز الخولي

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد / الظاهر

ت: ٥٩٢٢١٢٠ فاكس: ٥٩٢١٢٧٧

ص ب ٢١ توزيع الظاهر - القاهرة

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

٢٠٠٣م - ١٤٢٣هـ

٢٠٠٣ / ٩٤٧٣	رقم الايداع
977- 341- 096-X	I.S.B.N الترقيم الدولي



الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٣٦ ش بورسعيد - الظاهر

ت. ٥٩٢٣٦٢٠ - فاكس: ٥٩٣٦٣٧٧

ص. ب. ٢١ توزيع الظاهر - القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نعت في الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ،
ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويهديهم إلى المحجة ، ويصّرهم مواطنَ المحجة ،
أرسله على حين فترّةٍ من الرسل ، وحاجةٍ من البشر ، فأهاب بالعقول من سئاتها
وأخذ بالنفوس عن غيها ، وعرض على الأنظار خيالةً - سيما - تمثلت فيها آى الكون
الصامتة ، وشنّف الآذان بآى الله الناطقة ، وأتليج الصدور بحكمه البالغة ، وأفاض
على القلوب من عظاته المؤثرة ، فكان مصدر خير ، ومبعث نور ، وشمس هداية ،
أضاءت للعالم سبل المصالح ، وهدتهم خطط العمل الناجح ، فكوتوا بإرصاده
أمة ، وبنوا من آدابه دولة ، كان لها شأن في العصور السالفة ، كما نرجوها في
الأيام القابلة ، فصلوات الله وسلامه عليه ، ورحمته وبركاته إليه ، وعلى آله الطيبين
وصحبه المخلصين ، ومن قفا أثرهم ، واختط سيلهم .

« وبعد » فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدبه العليم الحكيم ، بما أنزل
عليه من آى الكتاب المبين ، فكان تكوينه خير تكوين ، وتنقيته أول
تنقيف ، فصدرت منه آيات بينات ، وحكم خالدات ، وعبارات في الأدب غاية ،
وفي البدع نهاية ، كان لها شأو بعيد ، وأثر حميد ، في تربية النفوس وإصلاحها ،
وتقويم الأخلاق وتهديها ، وقد بولى الفصلاء السابقون كلمه صلى الله عليه وسلم
بالشرح والبيان ، والاستنباط والاستنتاج ، ولكن أدخلوا في طى ذلك صردا من
الاعراب ، بآيات مر الـ وابات ، وخليطا من الاستطراد ، وكانوا يكتبون بعة
عصرهم ، وزوج وفهم ، ويثنون من مشهودهم ، فكان في ذلك إملال على
القارى ، وإبعاد عن محرمه الحاضر ، خصوصا إذا لم يضرب في النحو بسهم

غائر ، ولم يكن له من فن الرواية حظ وافر ، فأردت - ألهمني الله وإياك سيد
الساد - مئات من الأحاديث المنتقاة المتخيرة ، التي تمتُّ إلى العصر الحاضر
بكبير الصلة ، فجمعتها جمعا ، صحيحة غير معتلة ، وقيمة غير معوجة ، وتوليبتها
بالشرح والبيان شرحا يجارى الحياة ، ويفصل شئونها ، ويحلى غوامضها ، ويحكم
في أمورها ، ويضرب في صميمها ، شرحا يلحح الأديب فيروقه رصفه ، ويقراء المرء
فيسايره نهجه ، وينظره القارى الساذج فيسهل عليه فهمه ، وتروى منه نفسه ،
شرحافيه لكل مدرس غنية ، ولكل طالب بنية ، ولكل راغب في الدين
أوالخلاق منية ، وقد ضمنته جميع الأحاديث المقررة بالمدارس المصرية على اختلاف
درجاتها كما ترى ذلك في الجدول الملحق بالنهرس ، وأضفت إليها أضعافها مما يملأ
نفس الراغب ، ويسد جوعة النائم ، وقد جعلته قسمين ، أسهبت في شرح أولهما
وأوجزت في آخرها ، إذ كان البيان السابق ، داعية الإيجاز في اللاحق ،
والله يهديننا إلى سواء السبيل ، ويوفقنا لخدمة هذا الدين ، هو مولانا ، فنعم المولى
ونعم النصير ؟

محمد عبد العزيز الخولى

القسم الأول

الحديث ١

في أثر النيات في الأعمال

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا ، وَفِي رَوَايَةٍ زِيَادَةٌ : فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، ثُمَّ عَقَّبَهَا بِالْجُمْلَةِ الْأَخِيرَةِ

اللفظ : الأعمال شاملة لأعمال اللسان المسماة بالأقوال ، ولأعمال الأعضاء الأخرى من رأس ويد ورجل وغيرها ، والنيات جمع نية وهي القصد ، وبعبارة أوسع هي انبعاث القلب نحو ما يراه موافقاً لغرض من جلب نفع أو دفع ضرر ، وعرفت في الشرع بأنها الإرادة المتوجهة نحو الفعل لا بتغاء رضا الله وامتنال حكمه ، وكلمة إنما تفيد التأكيد والقصر كقصر الأعمال هنا على نياتها من تحصيل عرض ديني أو دنيوي ، والهجرة ترك مكان إلى مكان آخر مأخوذة من الهجرة ، وهو مفارقة الإنسان غيره بيده أو لسانه أو قلبه واستعملت في لسان الشارع في ترك دار الخوف إلى دار الأمن كما فعل بعض الصحابة في تركهم مكة إلى الحبشة أول الأمر ، وفي ترك دار الكفر إلى دار الإسلام فراراً بالدين كما فعل المسلمون في مغادرتهم مكة إلى المدينة لما انتشر الإسلام فيها ، وهاجر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفي ترك ما نهى الله عنه ، والدنيا مؤنث الأذى مأخوذة من الدنو وهو القرب وتطلق على الحياة الأولى للإنسان ، وعلى المخلوقات

الشرح : قد يتصدق إنسان ليقال : إنه محسن ، أو ليحظى بمكانة عند مليك أو وزير أو مدير ، أو ليكسب خدمة ممن تصدق عليه ، وقد يتصدق آخر ليكف يداً عن السؤال ، أو ليحفظ على بائس عفته وحياءه ، أو ليجرد الامتثال لأمر الله بالانفاق ، أو لابتغاء ثوابه ورضوانه ، فالعمل من الشخصين واحد وهو التصدق ولكن اختلفت درجته باختلاف النية الباعثة عليه فهو من الأول في درجة دنيا لأنه قصد به منفعة دنيوية شخصية لولاها لما تصدق ، فباعث الخير الحقيقي لم يتوطن نفسه ، ومن الثاني في درجة عليا للباعث الطيب الذي ملأ قلبه وهو محبة الخير للناس ، وحفظ الكرامة عليهم ، والامتثال لأمر الله ، وابتغاء مرضاته ، ومثل هذا يرجى منه خير كبير ، ويرجى منه متابعة المعروف فهو مورد دائم لذوى الحاجات ، وفي مثل هذا يقول الله « وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ، وَتَشْدِيدًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ — بستان بمكان عال — أصابها وابلٌ — مطر غزير — فَأَتَتْهَا كُلُّهَا — ثمرها — ضِعْفَيْنِ ، فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ — مطر قليل — وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » أما الأول « فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ — حجر أملس — عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا —

أملس لا نبات عليه » فالثاني عمله مثمر ، والأول غير مثمر شخص يصلى ليرأى الناس فيسبموه بالصلاح ، أو يكلوا إليه عملاً ماليا يطلق فيه يده بالاختلاس ، وآخر يصلى قياماً بالواجب ، وتطهيراً لنفسه ، وإرضاء لربه أصلاتهما بدرجة واحدة ؟ بلى

كاتب أو شاعر أو خطيب يدعو إلى مصلحة عامة ، والباعث له وظيفة يرجوها أو حظوة عند ذى سلطان أتكون درجته كآخر يدعو إلى ذلك لأن فيه خير الأمة ، ولأن هذا وحى قلبه المخلص لبلده ؟ لا يستويان . فإن الأول اذا لم يصل لبغيته حطم قلبه ، أما الثاني فانه دائم على الدعوة ، ولولا لاقى في سبيل ذلك

الصواب ، وقل مثل ذلك في سائر الأعمال ، وبهذا عرفت أن معنى الجملة الأولى :
الأعمال تابعة للنيات ، مقدرة بها ، وموزونة بميزانها ، فدرجة كل عمل من درجة
النية الباعثة عليه ، فإن كانت خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وإن شريفة فشريفة ،
وإن وضيعة فوضيعة ، ولا تبديل لذلك وهذا هو معنى الحصر أو القصر
وذهب بعض الشراح إلى أن معنى العبارة : صحة الأعمال بالنية ، أي أنها
لا تكون معتبرة في نظر الشارع ، مترتبة عليها آثارها إلا بالنية ، فالوضوء أو التيمم
مثلاً لا يعتبران شرعاً بحيث تؤدى بهما الصلاة أو يباح بهما مس المصحف إلا
إذا سبقتهما أو صاحبتهما النية ، أما بدون النية فلا عبرة بهما فالنية على هذا
التقدير لا بد منها في المقاصد كالصلاة والحج ، والوسائل كالوضوء والتيمم ، وقدر
بعضهم : كمال الأعمال بالنية ولذلك لم يشترطها في الوسائل وإن شرطها في المقاصد ،
وما قرره أولاً هو الظاهر وهو الذي يلائم التفريع الآتي

وإذ عرفت أن درجة الأعمال من درجات نياتها ، وكان لكل عمل جزء
سعادة في الدنيا ، ونعيم في الآخرة ، أو خلافة بين الرسول صلى الله عليه وسلم
بالجملة الثانية أن لكل إنسان جزء ما نواه ، فمن كانت نيته ثواب الله ومرضاته فله
ذلك ، ومن كانت نيته شراً فله الويل ، ومن نوى عرضاً دنيوياً محضاً فلا حظ له
في الثواب ، وقد أفاد الحصر في هذه الجملة أن ما لم ينوهِ المرء لاشئ له أو عليه منه
الهجرة الانتقال من مكة دار الكفر إلى يثرب دار الاسلام ، وكانت من
أبرّ الأعمال يوم كانت مكة في أيدي المشركين إذ بها يتمكن المسلم من إقامة شعائر
الدين كاملة ، ويستمتع الوحي الذي كان يترى نزوله ، ويتعلم من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما هو نور له يسعى بين يديه ، وينضم إلى فئة المسلمين الجاهدين ،
فيزيدهم قوة إلى قوة ، ولما فتح المسلمون مكة سنة ثمان ، وأصبحت دار إيمان لم
تبق حاجة إلى الهجرة اللهم إلا هجرة من دار كفر وبغى إلى دار إيمان وعدل ،
للشرع فيها قيام ، وللمسلمين عزة وسلطان ، فتلك لا تزال باقية إلى يوم القيامة ، وقد
بين الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث - تطبيقاً على القاعدتين

السابتين — أن الهجرة من الناس ليست بدرجة واحدة عند الله، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، أى يقصد بها خدمة الدين، وإعلاء كلمة الله بتعلم كتابه وسنة رسوله، والعمل بهما، وإقامة سلطانهما، والتمكين لهما — فهجرته إليهما أى هي الهجرة الحقة، التى تنبغى لكل مسلم مخلص، والتى يستحق عليها الثواب الجزيل والأجر العظيم، ومن كانت هجرته بقصد آخر كمال يتنغيه، أو مُناخ طيب يريد الإقامة فيه، أو فرارا من غريم، أو من شرير أئيم، أو من حاكم ظلوم، أو ملك غشوم، أو امرأة يريد زواجها، وطيب العشرة معها — إلى غير ذلك من الأغراض الدنيوية، والمصالح الشخصية — فهجرته إلى ماهاجر إليه أى ليس له إلا ماقصده فليس له ثواب المهاجر لخدمة الدين بل لاثواب له مطلقا مادام لم يكن فى عمله قصد القربة إلى الله، إنما له مانواه، لا يعدوه إلى جزاء المقرين

والحديث يجب الينا الرغبة فى معالى الأمور، ورمحنا على الاخلاص فى الطاعات، ومحضنا على خدمة الدين ولو بمفارقة الوطن، والمال والولد، وبين أن الأعمال ليست بمظهرها، بل للباعث عليها أثر كبير فى انحطاطها أو علوها، وعقابها أو ثوابها

الحديث ٢

فى دعائم الاسلام

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَبْنَى الْإِسْلَامِ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَالْحَجُّ وَصَوْمُ رَمَضَانَ — رواه البخارى ومسلم

واللغة: الاسلام فى اللغة الاقياد والخضوع، أو الدخول فى السلم — ضد

الحرب - ويقال في الشرع على ضربين ، أولهما الاعتراف اللسانى بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم . . . الخ وافق القلب اللسان أو خالف ، وثانيهما التصديق بالقلب إلى التصديق باللسان مع الوفاء بالفعل والاستسلام لله في جميع ماضى وقدر ، وهذا أنسب معانيه بحديثنا ، والشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصر أو بصيرة ، وتقال لمطلق الاقرار والاعتراف ، والاله المعبود ، والصلاة في الأصل الدعاء ، وتقال للعبادة المعروفة لما فيها من الدعاء والتوجه إلى الله ، وإقامتها تقويمها بالخشوع فيها ، والتفكير في معانيها ، وتذكر من أقيمت له ، فهى من أقام العود إذا قومه ، وفسرت الإقامة بالمدومة عليها والقيام بها في أوقاتها ، والزكاة في الأصل مصدر زكا الزرع يزكو إذا نما وأطلقت في عرف الشارع على ما يخرج من الأنان من ماله حقا لله تعالى ليصرف لذوى الحاجات وفي المصالح العامة ، والصوم في اللغة الأمسك والمراد به هنا ترك الطعام والشراب والجماع يوما كاملا من طواع الفجر إلى غروب الشمس ، والحج في اللغة القصد والمراد به في لسان الشارع قصد البيت الحرام - الكعبة - للطواف به والسعى بين الصفا والمروة - موضعين بجوار المسجد الحرام - والوقوف بعرفة - واد واسع على نحو ٢٠ ألف متر من المسجد الحرام - إلى غير ذلك من باقى شعائره المعروفة

الشرح : يمثل الرسول صلى الله عليه وسلم أصول الاسلام وقواعده بالأشياء التى يقوم بها بناء البيت من أحجار وأخشاب وجير أو طين ، ورمل وأسمنت ، وحديد وغيره ، فكما للبيت عناصر أولية كذلك للاسلام الذى هو تصديق وعمل ، وخضوع واستسلام عناصر وأصول هى منه كعناصر البيت ، وهى ما ذكرت في الحديث ، وهناك أمور أخرى هى من هذه كالفروع من الأصول ، أو هى من آثار الأحسان في هذه الأمور كحسن المعاملة للناس أثر من آثار الأحسان في الصلاة ، والجهاد في سبيل الله لازم للعقيدة الخالصة إذ هو دفاع عنها أو نشرها ، وما من مبدأ يملك النفس إلا سخرها وسخر ما تملك في سبيل خدمته وصيانتة ، ونشره وإذاعته ، وهالك بيان القواعد الخمس

فأولاها الاعتراف بأنه لا إله حقيقى تجوز عبادته ويصمد اليه فى قضاء الحوائج الخارجة عن متناول البشر إلا الله، الذى خلق كل شىء، ويده وحده الأمر والتدبير، أما ما يعبده الجاهلون من شمس وقر، وحيوان وعجول، وأصنام وأوثان، وأنبياء وأولياء فإنه الباطل والشرك، والظلم بترك الشكر لصاحب النعمة إلى من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، ولا حياة ولا موتا، وكذلك الاعتراف بأن محمدا رسول الله أرسله على حين فترة من الرسل لهداية البشر، وإرشادهم لصالحهم الحقيقية، وإعانتهم على شئون الحياة، والاعتراف بالوحدة لله والرسالة لمحمد أساس الاعتراف بالحقائق ومبدأ الهداية الحققة ولذلك بدأ به الرسول صلى الله عليه وسلم

ثانيتها الصلاة : وهى دعاء وابتهاال ، وخشوع وامثال ، توثق صلة العبد بربه ، فيفيض عليه من خيره ، وتطهر نفسه من التكالب على أعراض هذه الحياة ، وتعوده الإخلاص والابتعاد من النفاق ، تبعث فى جسمه النشاط بما يقوم به من حركات ، وتمرنه على النظام ، وأداء الأمور فى مواعيدها المضروبة ، يقرأ فيها القرآن وقلبه خاشع ، وذهنه حاضر ، فيتعلم من علومه ، ويهتدى بهداه ، وتصفو نفسه ، ويستنير عقله — لهذا كانت عنصرا أساسيا فى بناء الاسلام

وثالثها الزكاة : وهى قليل من مالك ، الزائد عن حاجك ، تخرجه للفقراء والمساكين ، وتحرر به رقاب الأسرى العائنين ، وتعين به الغارمين المدينين ، وتقوى به صرح هذا الدين ، فتكون بذلك قد رفعت البؤس عن البائسين ، فيحبونك ، ويحبونك ويحافظون على حياتك ومالك ، محافظتهم على رأس المال ، إذ كنت مصدر رزقهم ، ومحط آمالهم ، وتكون بذلك خدمت دينك خدمة قيمة إذ جاهدت فى سبيله بمالك ، وخدمت نفسك بتطهيرها من رذيلة البخل والشح ، وتعويدها الخير ، ورفع مقامها بين الخلق

وربما صوم رمضان : يطهر معدتك مما علق بها من بقايا الطعام ، ويريحها من العمل عنة أيام ، وينمى فى نفسك الشعور بحال الفقير والمسكين ، إذ به تذوق ألم الجوع والطلب ، فتذكر إخوانك البائسين ، تذكرهم بموتك وبرك ، ويذكرى

فيك روح التفكيك إذ البطنة تذهب بالفطنة ، ويدكرك في كل لحظة بإله هورب
نعمتك فنرتب بذكرك لسانك ، وتقرأ من القرآن مبادالك ، الى غير ذلك من
حكيمه وأراره .

وخامستها حج البيت : فتذهب الى مكة البلد الامين ، الذي نشأ فيه سيد
العالمين ، ونبت فيه هذا الدين ، وترى أول بيت وضع للناس ، وتقوم بأعمال
مختلفة كلها قربات ، من طواف وصلاة ، وسعى ووقوف بعرفات ، وذكر وتهليل
وتلبية وتكبير ، وذبح قرابين ، وتصدق على الفقراء والمساكين ، فهذب نفسك
بالسفر ، وتذكر النشأة الأولى للإسلام ، والذكرى تنفع المؤمنين ، وتجتمع بأخوانك
المسلمين ، الذين نسلوا من كل حدب ، وأتوا من كل فج ، من مشارق الارض
ومغارها ، فتفكر معهم فيما يعيد للإسلام مجده ، أو ما يعلى سلطانه وشأنه ، وتقف
على حال المسلمين في الاقطار المختلفة ، والعلم أول خطوة الى العمل — الى حكم
أخرى ، تنبهك هذه اليها .

تلك دعوات الإسلام ، فاحرص عليها ، ونمها بالأعمال الصالحة الأخرى ،
والله لا يضيع أجر المحننين .

الحديث ٣

في بيان المسلم والمهاجر

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : الْمُسْلِمُ
مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى
اللَّهُ عَنْهُ — رواه البخاري وأبو داود والنسائي

شرحت لك في الحديث الماضي كلمة الإسلام ، وبينت المراد بالهجرة في
الحديث الأول ، وهنأيين الرسول صلى الله عليه وسلم الجدير بلقب الإسلام ،
والجدير بلقب المهاجرة ، فالأول من سلم الناس من شره مسلمين أو غير

مسلمين ممن لهم ذمة أو عهد وإن كانت حرمة مسلمين فوق حرمة غيرهم ، ومنع الأذى عنهم في المقدمة — وهذه حكمة تخصيصهم بالذكر — أما المحاربون المعتدون على ديننا أو بلادنا فنحاربهم بكل الاستنطاع ، وخص اللسان واليد بالسلامة من شرهما دون باقي الأعداء لأن أكثر الأذى بهما وإن كان بغيرهما أيضاً محرماً ، فالسلم ليس بسباب ولاشتام ، ولا مفتاب ولا تمائم ، لا يأمر بتمكر ولا ينهى عن معروف ، ولا يكذب على الناس ، ولا يفر بهم ، ولا يقول بغير علم ، ولا يحرك لسانه سخريه بأحد ، بل لسانه حلو ، لا يصدر منه للناس إلا الخير وكذلك السلم لا يؤذى الناس بيده ، فلا يقطع زرعهم ، أو يسم حيوانهم ، أو يهدم بنيانهم ، أو يغير حدودهم ، أو يضر بهم ، أو يقتلهم ، أو يستلب أموالهم ، أو يكتب بيده في ثلم أعراضهم ، والحط من كرامتهم ، والتضليل لهم ، أو يعين عليهم عدوهم أو يجرش الظلمة بهم ، بل يده شريفة نزيهة ، لاتعمل إلا الخير ، ولا تخط إلا الحق ، ومن الخير والحق إيذاء الولد تربية له وتأديبا ، وإقامة الحدود من جلد أو قطع ، أو قتل على من سعى في الأرض فسادا ، وهدد الناس في أموالهم ، ودمانهم وأعراضهم ، وكذلك لا يؤذى الناس ببصره أو سمعه ، أو صوته أو رجله أو غيرها من أعضائه بل كله للناس سلم ، وهو لهم خير

أما المهاجر بحق فهو الذي لم يقف عند الهجرة الظاهرة من ترك دار الحرب إلى دار الأمن ، بل هجر كل ما نهى الله عنه ، فلا يقتل ولا سرق ، ولا يربى ولا يفسق ، ولا يشهد الزور ، ولا يشرب الخمر ، ولا يبخل أو يسرف ، أو يدهن أو ينافق إلى غير ذلك من الأمور المحرمة ، بل ضرب بينه وبين المعاصي حجابا وسورا ، فكل عمله في دائرة الخير والواجب ، والحديث يبين في جلاء أن الظواهر لا يعبا الله بها إذا لم تؤيدها الأعمال الدالة على صدقها

الحديث ٤

في علامة الإيمان

عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ .
لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ

اللفظ: المحبة: تليل إلى ما يوافق الحب من حسن وجمال ، أو فصل وكمال ،
أو خير وإحسان ، والمراد هنا الميل الاختياري دون الطبعي القسري
الشرح : آية الإيمان الحق أن يرى الفرد نفسه عضواً في المجتمع ، نفعه نفع
لنفسه ، وضره إضرار بها ، فإذا أحس هذا الاحساس الصادق ، وانطبع في نفسه
رأى غيره كمنه ، بل رآه نفسه ، ويجب له مثل ما يحب لنفسه ، يحب لنفسه علماً
واسعاً ، وخلقا طيباً ، وعملاً صالحاً ، ومكاناً عالياً ، وشرفاً سامياً ، يحب لها يتاجراً ،
ومالاً غزيراً ، وصياً واسعاً ، وزوجاً صالحاً ، وبنين شهوداً ، وركوباً دلولاً ،
وأقرباً ، ومخلصين ، وإخواناً صالحين ، وخداماً طائعين ، فليحب لأخيه ابن أبيه ، دناً
أو علا كل ذلك ، أما أن يحب لنفسه أمراً ولا يحب لغيره ، ويحسده أو يحقد عليه إن
الله فذلك مناف للإيمان ، بل ذلك بقية من آثار الكفران ، وكما يحب لغيره
، يحب دماً ، يبعث له ما يبعث لها ، يبعث الفقر والذل ، والاستعداد والأخطاط ،
وأزلاً في المال أو النفس أو الأولاد ، وغير ذلك من الأمور المكروهة ، فليبعث
لأخيه ما يبعث لنفسه وفاء بحق الإيمان

الحديث ٥

في علامات النفاق

عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلةٌ منهنَّ
كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها ، إذا التمَّنَّ خان ، وإذا
حدَّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر - رواه الشيخان
وأصحاب السنن الثلاثة : أبو داود والترمذي والنسائي

النفاق في اللغة مخالفة الباطن للظاهر ، وأصله من يَنفِقُ الأيربوع وهي إحدى
حجراته يكتمها ويظهر غيرها ، والنفاق إن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر ،
وإلا فهو نفاق العمل ، ووعد يستعمل في الخير والشر إذا ذكر الفعل ، يقال وعدته
خيراً ووعدته شراً ، فاذا أسقط قالوا في الخير : وعدته ، وفي الشر : أوعدته ،
وحكى ابن الأعرابي في نوادره أوعدته خيراً ، فالمراد بالوعد في الحديث الوعد بالخير
وأما الشر فيستحب إخلافه وقد يجب ما لم يترتب على ترك إنفاذه مفسدة ، والغدر
ترك الوفاء بما عاهد عليه ، والمحاصمة المنازعة أصلها من خُصِمَ الشيء أي جانبه
وناحيته فكل من المتخاصمين في جهة ، والفجور الميل عن الحق والاحتيال في
رده وأصله من الفَجْر وهو شق الشيء شقا واسعا والفجور فتق في الدين

بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن من وُجِدَتْ فيه أربع خصال كان منافقاً
خالصاً ، ومن وجد فيه بعضها لمن لديه من النفاق بقدر ما وجد فيه ، وتلك الخصال
هي حياة الآسنة ، والكذب ، في الحديث ، والغدر في المعاهدة ، والفجور في
المخاصمة ، وحقاً بها الكبائر موبقة ، وجرائم مردية ، لاتصدر عن مؤمن ملا
الإيمان قلبه

لخيانة الأمانة طمأ لصاحبها ، ونزع للثقة من نفوس الناس عنها ، وحى نوع من السرقة ، وقد فسروا الخيانة بأنها التصرف في الأمانة بعير وجه شرعى كبيعها أو جردها أو انتقاسها أو التهاون في حفظها ، والأمانة تشمل كل ما ائتمن عليه الانسان من مال أو عرض أو حق بل تشمل الشرائع التى جعلها الله فى يدنا أمانات نعلمها للناس ، ونقوم على حفظها بالعمل ، ولذلك سمي الله تعالى مخالفة كتابه وسنة رسوله خيانة فى قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ، وَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ »

أما الكذب فى الحديث فانه أس النفاق والقاضى على الأخلاق ، وهو دواع لاحتقار صاحبه ، وعدم الثقة به فى شأن من الشؤون ، وصاحبه ملبس على الناس غاش لهم ، والكذاب فى الحقيقة ميت بين الأحياء

وخلف الوعود أو نقض العهود والغدر بها باب من أبواب الكذب ، وقد رتب الله عليه نفاق القلوب فى قوله « فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ ، وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ » وخلف الوعد تضییع الثقة ، وسرقة من وقت الموعود ، وإخلال بنظام حياته وأعماله ، وكل هذه يفقد بها الانسان من مكاسب الحياة ربما عظيما ، وكذلك نقض العهد ، وخلف الوعد يكون جريمة كبرى إذا كان العزم عليه مقارنا للوعد ، فاذا كان عازما على الوفاء ساعة وعد ، ولكن عرض له ما حال دون الوفاء لم يكن من أهل النفاق ، فان كان الوفاء فى إمكانه وتركه فمليه إثم الاخلاف ، وإن كان قبل عازما على الوفاء وأما الفجور فى المحاصمة وعدم الوقوف عند الحق فذلك وزر كبير يجر الى أوزار كثيرة ، ومفاسد عظيمة ، فالفاجر فى الخصومة ينكرحق صاحبه ، ويستحل ماله وعرضه ، ولا يترك بابا من أبواب الاضرار به الاقتحمه ، ولو أضع فى سبيل ذلك المال الكثير ، بل ولو شغله ذلك عن القيام بواجباته ، وأنت جد علم بما يكون بين أرباب القضايا ، وبين الحزبين من بلد واحد ، وبين الأحزاب السياسية وغيرها ، فالفجور فى الخصومة داهى وويل ، يقطع الأواصر ، وينشر الجرائم ، ويفتك

بالأخلاق ، فلا جرم كان آية الآيات في النفاق
هذا وقد ذكر النووى أن جماعة من العلماء عدوا هذا الحديث مشكلا من
حيث إن هذه الخصال قد توجد في المسلم المُجمَع على عدم الحكم بكفره ، وقد
أجيب عن ذلك بأن المتصف بهذه الخصال كالمُنافق في التخلق بأخلاقه ، لأنه
مُنافق حقيقة ، وهذا الجواب مبنى على أن المراد بالنفاق في الحديث النفاق في
الايان ، وهذا الجواب مردود بقوله في الحديث : كان مُنافقا خالصا ، وأجيب أيضا
بأن الظاهر غير مراد وإنما الغرض من ذلك المبالغة في التحذير ، والتنفير من هذه
الخصال بأبشع الطرق ، وارتضى القرطبي أن المراد بالنفاق هنا نفاق العمل ، ويرى
آخرون أنه نفاق في الايمان ، والمراد بمن وجدت فيه هذه الخصال من تَعُودها ،
وصارت له ديدنا وخلقا ، ويدل عليه التعبير بإذا فانها تدل على تكرار الفعل ،
فالتخلق بها مُنافق حقيقة يستحق الدرك الأمل من النار ، فتلك أربعة أجوبة
تُخبر منها ما شئت .
والحديث دِعامَة كبيرة من دعائم الأخلاق التي ترتكز عليها عِزَّة الأمم
وسعادتها .

الحديث ٦

في علامات النفاق

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا
اتُّمِّنَ خَانَ — رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ

الآية العلامة الظاهرة التي تدل على أمر خفي وراءها ، وإخلاف الوعد ترك
الوفاء مأخوذ من أخلف الشجر إذا اخضر بعد سقوط ورقه ، وليس الغرض
من ذكر هذه الثلاثة حصر آيات النفاق فيها ، فانها كثيرة كالفجور في الخصامة .

وإنما الغرض التنبيه الى أصولها إذ التدين ينحصر أصله في ثلاثة القول والفعل والنية فذبه الى فساد القول بالكذب ، والى فساد الفعل بالخيانة ، والى فساد النية بالأخلاف لأن الاخلاف الفادح ما كان العزم عليه مقارنا للوعد ، وبقى الشرح للحديث في شرح ما قبله

الحديث ٧

في النصيحة

عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : الدِّينُ النَّصِيحَةُ . قَالُوا : لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِإِئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَامَّتِهِمْ — رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ
اللفظ: قال صاحب النهاية : النصيحة كلمة تعبر عن جملة هي « إرادة الخير للمنصوح له » وليست كلمة تعبر عن هذا المعنى سواها وأصل التصيح في اللفظة الخلوص يقال : نصحت ونصحت له ، وقال الخطابي : النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له

الشرح : حصر الرسول صلى الله عليه وسلم الدين في النصيحة لعلو شأنها ، ولأنها بالتعميم الذي ذكره الرسول شملت الدين كله ، فأخبر بها عنه بصيغة القصر ، والنصيحة وإن كان معناها العام ما ذكرنا تختلف باختلاف المنصوح له فالنصيحة لله الايمان به ، ونفى الشرك عنه ، وترك الاحاد في صفاته ، ووصفه بأوصاف الكمال ، وتزويجه عن النقائص ، وطاعة أمره ، واجتناب نهيه ، وموالاته من أطاعه ، ومعاداة من عصاه ، وغير ذلك مما يجب له ، وجميع هذه الأشياء في الحقيقة ترجع مصلحتها الى العبد ، فهي نصيحة لنفسه وكسب خير لها ، والنصيحة لكتابه الايمان بأنه كلامه تعالى ، وتحليل ما حلاله ، وتحريم ما حرمه ، والاهتداء بما فيه ،

والتدبر لمعانيه ، والقيام بحقوق تلاوته ، والاتعاظ بمواعظه ، والاعتبار بزواجه *
والمعرفة له . . . الخ ، والنصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم تصديقه فيما جاء به ،
واتباعه فيما أمر به ونهى عنه ، وتعظيم حقه ، وتوفيره حياً وميتاً ، ومعرفة سننه ،
ونشرها ، والعمل بها . . . الخ ، والنصيحة لأئمة المسلمين إعاتهم على الحق ،
وطاعتهم فيه ، وأمرهم به ، وتذكيرهم بحوائج العباد ، ونصحهم في رفق وعدل . الخ
والمراد بأئمة المسلمين قاداتهم في تنظيم شئون الدنيا ، وفي إقامة معالم الدين ونشره
بين الناس ، فتشمل الملوك والأمراء والرؤساء والعلماء ، والنصيحة لعامة المسلمين
لإرشادهم الى مصالحهم في دنياهم وأخرام ، وكف الأذى عنهم ، وتعليمهم ما جهلوه
وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، ونحو ذلك ، واعلم أن نصيحة المسلمين فرض
كفاية على من هو أهل لها وهي واجبة على قدر الطاقة البشرية مادام هناك أمل
في قبولها — والمسلم لا يأس — ولم يخش في سبيلها أذى لا يمتثل ، فان خشية
فهو في سعة .

الحديث ٨

اثر العلم في النفوس واختلافه باختلافها

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ: مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْفَيْثِ الْكَثِيرِ
أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا تَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ
الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبٌ — فِي رِوَايَةِ إِخَادَاتٍ — أَمْسَكَتِ الْمَاءَ،
فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا — فِي رِوَايَةٍ وَرَعَوْا —
وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ
(٢ = أدب)

كَلَاءً ، فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ ،
فَعَلِمَهُ وَعَلَّمَهُ ، وَمَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ
الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ - رواه البخارى ومسلم والنسائى

اللفظ : المثل المثل والنظير ، ويقال للصفة العجيبة ، والهدى الدلالة الموصلة
للغاية ، والغيث المطر ، والنقية الطيبة المعدن ، الخالصة من عوائق الانبات ، والكلاء
النبات رطباً ويابساً ، والعشب النبات الرطب ، والأجاذب جمع جذب على غير
قياس وهى الأرض الصلبة التى لا ينضب منها الماء ، والإخاذات جمع إخاذة وهى
الأرض التى تمسك الماء ، والرعى تغذية الحيوان من المرعى ، والقيعان واحدها
قاع وهى الأرض المستوية الملساء التى لا تنبت ، وفقه فهم ، وفقه صار قهياً

الشرح : بعث الله محمداً بالقرآن الذى يرشد الناس الى طريق الخير ، ويهديهم
الى وجوه المصلحة ، والذى يعرفهم الحقائق ، ويبين لهم الأحكام ، ويرفع عن
قلوبهم غشاء الجهالة ، فهو هدى وارشاد ، وهو علم ونور « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ
فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ - وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا » غير أن الناس لم يكونوا
فى الاتفان به بدرجة واحدة بل اختلفوا وتباينوا لاختلاف نفوسهم ، وتفاوت
استعدادهم .

ففرق طيب النفس ، صافى الفطرة ، لم يدنسها بالآثام ، ولم يفسدها بالأوزار
فهذا حينما يسمع الوحي يصفى اليه بأذنيه ، ويتفهمه ويتدبره ، ويفقهه ويحفظه ،
تتأثر به نفسه الطيبة ، وقلبه السليم ، فيوحى الى الأعضاء بالعمل به ، ويأخذ فى دعوة
الناس اليه ، فهو للقرآن سميع ، وبأحكامه عليم ، ولارشاده مجيب ، وللناس به ناصح
أمين ، وهذا قد مثله الرسول صلى الله عليه وسلم بالأرض الطيبة التربة ، النقية الخصبه ، اذا
نزل بها المطر العزيز نفذ الى صميمها ، فأثر فيها ، فاهترت وربت ، وأنبت العشب
والكلاء ، فرعاه حيوان ، وعاد حيره للانسان ، بل أبتت بالماء من كل روج بهيج
مما هو طعام للسان وغذاء ، أو فاكهة ومتاع ، فالأرض لجودتها قد حبست الماء

في جوفها لمصلحتها ، فأخصبت به بعد إجداها ، وحييت به بعد موتها ، ونفعت الانسان والحيوان بما أخرجت من الكلاً والثمار ، كذلك القرآن اذا نزل صيب آيه بالنفوس الطيبة ، حييت به القلوب الهامدة ، فأوحت للمرء بالأعمال الصالحة وأخذ يعلم الناس ما علم ، وينفعهم بما به انتفع ، وهذا الفريق هو الذي قال الله فيه « قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً »

وفريق خبثت نفسه ، وفسدت فطرته ، ومات استعداده ، فهذا إن قرعت أذنه آى الوحي ولى مستكبراً - كأن لم يسمعا ، كأن فى أذنيه وقرا ، لا يرفع به رأساً ، ولا يفتح له قلباً ، ولا يقبل منه هدى . وهذا مثله الرسول صلى الله عليه وسلم بالأرض المستوية ، الرخوة السبخة ، إذا نزل بها الماء أضلته فى جوفها ، وأضاعته فى مسامها ، ولم تخرج به كلاً ولا عشباً ، ولا نباتاً ولا ثمرأ ، فلاهى انتفعت بالماء ولاهى أمسكته على ظهرها ، فانفع به الحيوان والانسان ، أو سقى به أرض أخرى طيبة تقيّة فكذلك هذا الفريق لم ينتفع بالوحي ولم ينفع به فكان مثله كمثل الأرض الخبيثة ، وهذا الفريق هو الذى قال الله فيه « سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ » ، حَتَّمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَكَفَى سَمْعِهِمْ ، وَكَفَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً ، وَكَفَى عَذَابٌ عَظِيمٌ .

وفريق ثالث بين الفريقين لم يذكره الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذكر مثله ، ومن عرف الفريقين عرفه ، بل المثل وحده يرشد إليه ، فهو ذلك الشخص الذى سمع القرآن ، ففعله وفهمه ، ووقف على أحكامه ، وحلاله وحرامه ، ولكن لم يعمل به فى خاصة نفسه ، ولكن دعا الناس إليه وعلمهم ما تعلم ، فهو كالذين قال الله فيهم « أَمُرُّونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » فهذا قد نفع الله به العباد ، وجعله معبر خير لهم ، ولم ينتفع هو بما علم وعلم ، وكان حريأ به أن يهذب نفسه بما هذب به غيره ، فهذا مثله كالأرض الصلبة التى تمسك الماء لاتشربه ، فيشرب منه الناس والحيوان ، وتسقى به الأرض الطيبة الخصبه ، وبلقى بها الحب والبذر ، فينبت بالماء نباتاً حسناً ، فياً كل الانسان

ويرعى الحيوان ، فالأجاذب نفعت ولم تنتفع ، كذلك العالم بالقرآن يعلمه ولا يعمل به ، أفترضى أن تكون أرضاً مجذبة ؟ أليست نفسك أولى ببرك وعلمك ، أتريد أن تكون ممن قال الله فيهم « لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ » فاستمع للوحى وتدبره ، وهذب به نفسك ، وكمل به خلقك وادع الناس إليه بقولك ، كما تدعوهم بعلمك « وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا لِمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ، وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،

الحديث ٩

فى الهلع عند المصائب

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ — رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه
اللفظ : جيب الثوب فتحة التى يدخل منها الرأس أى طوقه ، والجاهلية الحال التى كان العرب عليها قبل الاسلام من الجهل بالله ، وبالدين الحق ، والمفاخرة بالأنساب ، والكبر ، والتجبر ، وواد البنات ، وغير ذلك

الشرح : من خلق المؤمن الصبر عند نزول المصائب ، ومقابلتها بالرضا والتسليم إذ يقول « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » ويقول : إن لله ما أخذ والله ما أعطى ، والصبر يخفف المصيبة ، ويحلل صلدها ، ويقتل جرثومتها
أما الجزع والهلع والسخط على ما قضى الله وقدره ، فليس من الايمان فى شىء وليس الذى يقوم به من حزب محمد وصحبه ، فالذى ينخلع قلبه للمصيبة ، ولا يعرف الثبات والشجاعة فى ملاقاتة الإحن ، وملافاة الحن ، بل يلطم الخدود ، ويسخم الوجوه ، ويدق الصدور ، ويشق الجيوب ، ويمزق الثياب ، ويقطع الهدام ،

ويدعو بدعوى الجاهلية ، فيقول : وأبتاه ، وأماه ، وأولاده ، وأزواجه ،
واقرباه ، وامصيباته ، وادهيتاه ، وامالاه ، وابتاه ، ويقول كلمة يعترض بها على
القدر ، وينقد قضاءه - من كان كذلك فليس من المسلمين ، إنما المسلم الثابت الرزين
الصابر المحتسب ، الذى لا يدفعه الحزن إلى التسخط ، بل يكون كما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حال وفاة ابراهيم ولده ، جعلت غيناه تدرقان الدمع ، فقال له
عبد الرحمن بن عوف ، وأنت يا رسول الله ، فقال : يا ابن عوف إنها رحمة ، ثم
أتمها بأخرى ، وقال : إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا تقول إلا ما يرضى ربنا
وإننا بفراقك يا ابراهيم لحزونون

فليتق الله رجالنا ونساؤنا فيما يصنعون وقت المصائب ، وليعلم الأزواج الذين
يسمحون لنسائهم بالنياحة والتعديد ، ولطم الحدود ، ودق الطبول ، إنهم شركاؤهن
في الإثم « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ »

الحديث ١٠

في أنواع الصدقة

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ : عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ « فِي رِوَايَةٍ زِيَادَةٌ : كُلَّ يَوْمٍ »
فَقَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ : يَعْمَلُ بِيَدِهِ ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ
قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ . قَالَ : يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمُهْوَفَ . قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ
قَالَ : فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ « فِي رِوَايَةٍ فَلْيَأْمُرْ بِالْخَيْرِ أَوْ بِالْمَعْرُوفِ »
وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ « فِي رِوَايَةٍ : قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ . قَالَ : فَلْيُمْسِكْ
عَنِ الشَّرِّ » فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ - وَفِي رِوَايَةٍ فَإِنَّهُ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ

اللفظ: الصدقة ما يخرج من مال الإنسان على وجه القربة كالتزكاة لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوع به والتزكاة للواجب ، وقد يسمى الواجب صدقة إذا تجرى مُحَرَّجُه الصدق في فعله بأن يكون مخلصاً فيه ، طيبة به نفسه ، والملهوف المظلوم يستغيث أو هو المستغيث مظلوماً أو عاجزاً ، والمعروف اسم الكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه ، والمنكر ما ينكر بهما

الشرح: المسلم لا يعمل بخير نفسه فقط ، بل بخيرها وخير غيره ، وقد أكد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم كل يوم صدقة ، يعود بها نفسه البذل، ويثبت فيها خلق الكرم ، وينفع بها الفقراء والمساكين ، فإن لم يجد ما يتصدق به جد في العمل، وكدح في تحصيل الرزق من طريق التجارة أو الزراعة أو الصناعة أو غيرها من طرق الكسب حتى يكون بيده مال يُنفع به نفسه بالطعام ، والشراب ، واللباس ، والسكن ، والركوب ، وتخير المرأة الصالحة ، والاتفاق عليها وعلى أولادها منه ، وينفع غيره بالتصدق عليه ، والاقراض له ، وتحمل الدين عنه ، فإن لم يجد العمل أو وجده ولا يستطيعه أعان ذا الحاجة من مظلوم يستغيث ، ومكروب يستجير ، وعاجز يستعين ، فينصر المظلوم بمساعدته على نيل حقه ، ومنع الحيف عنه ، ويخبر المكروب بتفريج كربته ، وتخفيف بليته ، فإن كان مريضاً رجا له طبيباً يداويه ، أو ساعده على دخول مستشفى يطببه ويراعيه ، وإن كان له مال ضائع ساعده على الوصول إليه ، ويعين العاجز على قضاء ما ربه ، وتحقيق أمانيه ، فإن لم يكن في قدرته الاعانة وكشف الكرب أمر الناس بالمعروف من صلاة وصيام ، وحج وزكاة ، وحسن أخلاق ، وجميل معاشره ، وأدب في معاملته ، وتعلم علم ، وإخلاص في عمل ، وابتغاء خير ، ونهاهم عن المنكر من زنى وشرب خمر وشهادة زور ، وتهتك وفجور ، وظلم وسرقة ، ونفاق ومداهنة ، وليعمل بما يأمر ، وليترك ما نهى عنه ، فإن ذلك أساس الدعوة الحقة : أن تعمل أولاً بما تدعو إليه فإن لم يكن ذلك في المُكْنَة جاب الناس شره ، ومع ضرة ، كما يجنبه سه موارد الماكمة ، ومرالق الفتنة ، وموافق التهمة

ذلك ما ينبغي للمسلم نحو الناس : أن يكون نفاعاً لهم بقدر ما يستطيع ، لا يدخر وسعاً في جلب الخير لهم ، ودفع الشر عنهم ، فلو أمكنه أن يقوم بكل ذلك فيتصدق ويعمل ، ويعين وينفع ، ويأمر بالخير ، ويمسك عن الشر كان مطالباً بالقيام به ، بل لو أمكنه إلى ذلك غيره ، فعل ما استطاع
فالحديث يرغب في الصدقة إذ جعلها أول ما يبدأ به المسلم ، ويجب في العمل والكسب ، ويقدم حاجة النفس على حاجة الغير - إِبْدَأُ بِنَفْسِكَ ثُمَّ بَيْنَ تَعُولُ - ويحث على الاعانة ، ويدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويأمرنا بمنع الأذى عن الناس

الحديث ١١

في ترك المشتبهات

عَنِ النَّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَلَالُ بَيْنَ ، وَالْحَرَامُ بَيْنَ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ ، فَمَنْ تَرَكَ مَا شَبَّهَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ كَانَ لِمَا اسْتَبَانَ أَتْرَكَ ، وَمَنْ اجْتَرَأَ عَلَى مَا يَشْكُ فِيهِ مِنَ الْإِثْمِ أَوْشَكَ أَنْ يُوَاقِعَ مَا اسْتَبَانَ ، وَالْمَعَاصِيَ حَيْثُ اللَّهُ ، مَنْ يَرْتَعِ حَوْلَ الْحَيْمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ
وفي رواية أخرى عن النعمان : الْحَلَالُ بَيْنَ ، وَالْحَرَامُ بَيْنَ ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَّاعٍ يَرَعَى حَوْلَ الْحَيْمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حَيْمَى ، أَلَا وَإِنَّ حَيْمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ حَرَامُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَاحَتْ صَلَحَ

الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ —
رواه البخارى ومسلم وغيرهما

اللفظ: الحلال المأذون فيه ، والحرام المنوع منه ، وبين واضح ، والمشتبه
أو المشبه الخفى أمره ، والاثم الذنب ، والاستبابة الظهور ، واجترأ تشجع ، وأوشك
قرب ، والرتع رعى المشية والاتساع فى الخِصْب ، والحى المكان المحمى المنوع
على غير من حماه ، واتقى حذر واتخذ الوقاية مما يضر ، واستبرأ طلب البراءة ،
والدين الطاعة وما يتدين به ، والعرض موضع المدح والذم من الانسان ، والمضغة
القطعة قدر ما يمضغ ، والقلب معروف ويقال للعقل « أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ،
فَتَكُونَنَّهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا »

الشرح : يرشدنا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ما هو خير لنا فى ديننا وأعراضنا
وهو الابتعاد عن مواطن الريب ، فيسلم الدين من النقص ، والعرض من الطعن ،
فذكر أن الحلال بين واضح إذ هو ما أذن الشارع فى فعله بنص فى القرآن أو فى
كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك الحرام واضح لأنه ما منع الشارع فعله
بنص قرآنى أو حديث نبوى ، وبعبارة أخرى : الحلال هو الطيب النافع ، والحرام
هو الخبيث الضار ، وبين الحلال والحرام أمور خفية مشتبهة لا يدرك كثير من
الناس أمى من الحلال أم من الحرام كالأشياء التى تعارضت فيها الأداة كالحوم
الجر الأنسية وكل ذى ناب من السباع أو مخلب من الطير ، فإن ظاهر الحصر فى
آية « قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَىَّ إِلاَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مِيتَةً ،
أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ، أَوْ لَحْمَ خِزْيِيرٍ فَانَّهُ رِجْسٌ » ، أو فسقاً أهلٍ لغير الله به ، يدل
على حِلِّ ما ذكرناه ، وجاء فى الحديث النهى عنها ، ومن أجل ذلك اختلف
العلماء فى حلها ، ومن الشبهات الأمور التى لا تظمن إليها نفسك الطيبة ، فدعها
إلى ما تظمن إليه عملاً بحديث : دع ما يربيك إلى ما لا يربك — رواه الترمذى
والنسائى وغيرهما عن الحسن بن على — ومن هذا القبيل أمر الرسول صلى الله

عليه وسلم زوجه سودة بنت زمعة بالاحتجاب من أخيها ابن جارية أبيها لما ادعى بنوته عتبة بن أبي وقاص، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر^(١)، وحكم به لزمعة، وأمر سودة بالاحتجاب منه لما رآه شبيهاً في الصورة بعتبة، ومن هذا أيضاً شخص أرسل كلبه للصيد، وسمى عند الإرسال، فوجد عند الصيد مع كلبه كلباً آخر لم يسم عليه ولا يدري أيهما الذي صاد، فانه يترك الأكل منه، وكذلك مز النبي صلى الله عليه وسلم بتمرة ساقطة فقال: لولا أن تكون صدقة لأكتها — ذكر هذه المسائل الثلاث البخارى في صحيحه — وعد بعض العلماء المكروه من المشتبهات إذ تنازعه الأذن فيه والمنع منه، ومن المشتبهات مال شخص لا يتخرج في كسبه عن الحرام، فترك معاملته والأكل من ماله من الورع، وكذلك من الشبهات المكاسب الناتجة من صلح لم تكن نفوس المتصلحين به طيبة لفسر شابه

وقد نفى الرسول صلى الله عليه وسلم العلم بالمشتبهات عن كثير من الناس، فأفاد أن بعضهم قد يعلم حقيقتها، وأنها من وادى الحلال أو الحرام، فلا تكون إذ ذاك مشتبهة عنده، بل لها حكم الحلال البين، أو الحرام البين، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن من تسمى المشتبه الذي قد يكون في الواقع إثمًا حرامًا كان للحرام البين أشد تهماً، ومن جرأ نفسه وشجعها على اقتحام الشبهات والوقوع فيها مع قيام الشك ومخالطة الريب كاد يواقع الحرام البين، فالشبهات وقاية دون الحرام، فمن انتهكها كاد يتردى في هاوية الحرام، ومن تجنّبها كان في مأمن منها، بعيداً عنها، فاجعل بينك وبين الحرام حصناً، واضرب دونه سداً

وما المعاصي إلا كالأرض التي يحميها الملوك، فيخصونها بهم، ويمنعونها من غيرهم، فمن ترك من الرعاة منطقة حولها، لا يرعى فيها بهم، أمن الوقوع في الحمى، وسلم من سخط الملوك والتعرض لعقابهم، ومن رعى في المنطقة المجاورة للحمى لا يأمن الوقوع فيه، كذلك المعاصي هي حمى الله في أرضه، والشبهات منطقة حولها.

(١) أى الولد للشخص الذى ولده وعلى فراشه ولا شئى، والعاهر الزانى وأوله الرحم بالحجارة

فمن ترك الشبهات كان للمعاصي أترك ، ومن خالطها كان إلى الوقوع في المعاصي أقرب ، وقد جاء في الرواية الثانية أن من اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه أى من حذرهما طلب البراءة والسلامة لدينه بالتحرز من المعصية ، وتحمى المنطقة التى دونها ، وكذلك طلب البراءة لعرضه ، فلا يتهمة الناس بمقارفة المعاصي ، وانتهاك الحرمات ، وكيف ؟ ولم يقارب الشبهات ، فأنى يتهم بالمحرمات ؟

وفي الرواية الثانية أن في الجسد مضغةً صلاحها صلاح للجسد كله ، وفسادها فساد له ، تلك المضغة هى القلب موزع الدم في عروق الجسم ، ومصلاحه بعد فساد ، والمراد به هنا العقل الذى لا يعمل الا بجملة الحياة المنبثقة من الدورة الدموية ، ولا ريب في أن صلاح العقل ، واستقامته في الادراك والتفكير ، ووزنه الأشياء بميزان الحقيقة ، وتحريره الانصاف في أحكامه يترتب عليه صلاح الأعضاء كلها ، فلا تصدر إلا خيرا ، ولا تعمل إلا صالحا ، ولا تقول إلا حسنا ، لأنه الحاكم عليها ، والرئيس بينها ، واذا صلح الرئيس صلحت الرعية ، أما إذا فسد العقل ، واختل نظام التفكير ، وغلبه على ملكه باعث الشهوة ، وسلطان الهوى فسد سائر الأعضاء فلا تصدر غير الشر ، إذ حكمة العقل مفقودة ، وحركته مشولة ، وهل إذا أصيب القلب تسلم الحياة ، ويصح الجسد ؟ كلا . كذلك العقل في مرضه مرض القوى كلها ، قرئوا العقول ، وعودوها التفكير المستقيم ، والحكم الصحيح ، وحذار أن تهملوها ، ولا تغذوها بالنظر والبحث ، فتفقدا الانتفاع بقوى الجسم التى تستطيعون بها أن تسخروا العالم كله لخدمتكم

فالحديث يحذرنا من الشبهات ، والوقوف في واقف الريب ، ويدعونا إلى الاحتراس وبعده النظر ، ويحضنا على تحليص الدين من الشوائب ، وإبعاد العرض من المثالب ، بتجنب أسبابها ، ويدعونا إلى تنمية العقل ، وترقية التفكير لتكون الأعمال منظمة ، طيبة العاقبة

الحديث ١٢

في فضل الكسب باليد

عَنْ الْمُقَدَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ
اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ - رواه البخاري
وأبو داود والنسائي وغيرهم

طرق المال كثيرة كالوراثة والهبة والصدقة ، وكالاشتغال في عمل حكومي
يتقاضى في نظيره أجرا ، وكالتجارة والزراعة والصناعة ، وقد بين الرسول صلى الله
عليه وسلم أن خير طعام يأكاه المرء ما كان من عمل يده ، فالذي يشتغل بيده ،
ويكدح ببدنه ، ويستجدي الرزق من عرق جبينه ، ويأكل من إنتاجه خير
من يأكل من تركة موروثه ، أو هبة مبدولة ، أو صدقة تعطى له عفوا أو استجداء
ذلك أن ما كسبه الانسان بكدحه وكده يفيد جسمه نشاطا ، ويكسبه صحة ،
ويزيده قوة ، فاذا ما أكل أكل هنيئا ، وهضم سريعا ، فاستفاد الجسم ، وقويت
البنية ، ولا كذلك الكسل الخمول الذي يعتمد على مال وقع في يده عفوا ،
ويعطل أعضائه عن العمل والحركة ، ويمكث طوال يومه على مقهى أو مسطبة ،
فياكل من غير شهية إذ لم يهضم الطعام السابق فيزداد خمولا الى خموله ، وتعتل
الصحة ، فلا يجد حلاوة لطعام أو شراب. أضف إلى ذلك أن المال الناتج من الكد
أعلى قيمة عند صاحبه مما جاءه عفوا ، ولذلك تجده أحرص عليه مما سبق اليه ، وإنه
يشعر بلذة كبيرة ساعة ينتفع به ، وهل ترى تناول الثمرة من يد البائع كتناولها
بيدك من الشجرة ، وإلى ذلك أيضا أن الثروة المسوقة إن ضاعت قلما تحدها عوضا ،
أما الثروة الكسبية قلما تصعب ، وإن ضاعت فمبعها قائم وهو اليد العاملة

ولقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده إذ كان يصنع الدروع الحربية ، ولا أحدثك عن داود ومملكه إذ سحر الله له الجبال والطير والحديد ، وآتاه السلطان مكافأة له على شجاعته الحربية لما قتل جالوت وفيه يقول الله « يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ » فمع هذا الملك والسيطرة ، وما تبعهما من الغنى والثروة لم يستنكف من العمل بيده ليشجع العمال على المضي في أعمالهم ، وليفيد جسمه صحة وقوة ، فليعتبر بهذا أولئك الأغنياء الوراث ، وأولئك الأمراء والوزراء ، الذين يشمرون من العمل ، ويخالونه حطة وضعة ، وما دروا أن كثرة الأيدي المنتجة ثروة عظيمة للأمة ، وعزة لها وسيادة ، وإشادة بذكرها بين الأمم

فالحديث يرغبنا في العمل ، ويدعونا الى ما يزيدنا صحة ، ويبغض الينا الاعتماد على الثروة المسوقة، وترك الأعمال المنتجة

الحديث ١٣

في تفضيل الحرف المهينة على السؤال

عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لِأَنَّ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ ، فَيَأْتِي بِحُزْمَةِ حَطَابٍ ، فَيَبِيعُهَا فَيَكْفُ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ —
رواه البخاري ومسلم

اللفظ : الحطب ما يوقد به ، والكف المنع

الشرح : سؤال الناس مدلة وضعة ، والمؤمن عزيز غير دليل « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » فإن أعطى السائل فالمنة عليه ثقيلة ، والجليل أسرله واستعباد

وإن منع خزي وخجل وتأفف من المسئول أو بعضه ، واضطغن عليه ، وإن كان السائل قادراً على الكسب فهو كافر بعمه الله إذ لم يشكر له نعمة الجوارح ، فإن شكرها بالانتفاع بها فيما خلقت له ، وما خلقت إلا للكسب بها في سبيل الرزق فلما كان للزوال كل ذلك ، وهو مالا يلائم أخلاق المؤمن بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الاكتساب خير منه ، بل الاكتساب هو الخير ، والسؤال هو الشر ولو كان الاكتساب من أدنى الحرف ، فالذى يأخذ حبله ويخرج إلى المراعى والمزارع ، أو الأجران والغابات ، فيجمع حزمة حطب مما رغب عنه الناس ، أو من كلاً مباح ، ويحملها على ظهره ، ويبيعها بقرش أو مليات يأكل به ويشرب ويحفظ بذلك على نفسه كرامتها وعزتها ، ويقى وجهه ذلة المسألة — خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه

وبذلك عرفت أن أولئك الرجال أو النساء الذين يتجرون في الفجّل أو الكرّات أو البصل أو في الخضراوات أو الفول أو غيرها من الأشياء الرخيصة يحضرونها من المزارع على ظهورهم أو رءوسهم خير من أولئك الذين يجوبون الشوارع ليلاً ونهاراً يتكففون الناس ، وأكثرهم قادر على الكسب ، صالح للعمل ، بل أولئك المتجرون هم الأخيار ، وأولئك الشحاذون هم الأشرار ، فلا تمنهم على الشر ورجبهم في الخير ، فالحديث يحضنا على اكتساب الرزق ولو من المهن الصغيرة ، ويبغضنا في السؤال ، ويحفظ علينا العزة والكرامة ، ويمنعنا الذلة والمهانة

الحديث ١٤

في السباحة في المعاملة

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: رَجِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا

اِقْتَضَى ، وَفِي رِوَايَةٍ : وَإِذَا قَضَى - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ
وَإِبْنُ مَاجَةَ

السمح يطلق على السهل ، وعلى الجواد ، والأول هو المناسب هنا ، والاقضاء طلب قضاء الحق . يدعو النبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة وإسباغ النعمة للرجل السَّحَّح السهل ، ودعاؤه عند الله بمكانة عظيمة لأنه صادر من النفس الطاهرة المحلصة ، من اللسان المرطب بذكر الله ، فتفتح له أبواب الإجابة « إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ » وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الساحة في أربعة أشياء ، في البيع ، والشراء ، والاقضاء ، والقضاء ، فالساحة في البيع ألا يكون شحيحا بلسنته ، مستقصيا في ثمنها ، مغاليا في الربح منها ، مكثرا من المساومة فيها ، بل يكون كريم النفس ، راضيا يسير الريح ، مقلا من الكلام ، والساحة في الشراء أن يكون سهلا في كياسة ، فلا يدقق في الدائق والمليم ، خصوصا إن كانت السلعة شيئا هينا كفضلة أو بصلة ، والمشتري غنيا ، والبائع فقيرا معدما ، ولا يسم البائع بالأخذ والرد ، وتعطيله عن المشتري الآخرين ، أو مصالحه الأخرى ، ولا يكثر التقلب في البضاعة بعد أن سبر غورها ، ووقف على حقيقتها ، والساحة في الاقضاء أن يطلب حقه أو دينه في هواده بلا عنف ، وفي لين بلا شدة ، ويراعى حال المدين ، فإن كان معسرا نظره وأخره ، بل إن كانت حاله لا تسمح بالسداد تصدق عليه بحقه أو من حقه « وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ، وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » ومن الساحة في الاقضاء ألا يطالب المدين على مشهد من الناس ومسمع ، خصوصا اذا كانوا لا يعلمون بالدين ، أو يتأذى المدين بالجهر ، وألا يلحف في الطلب ، أو يطالبه في أوقات راحته وهناءته ، فينقص عليه صفوه ، وهو من أحرص الناس على قضاء الحقوق ، وألا يرفع أمره إلى القضاء وهو مستعد للدفع في وقت قريب فيغرمه الرسوم وأجر المحاماة ، ويشغل باله ، ويستنفذ من وقته من غير جدوى

تعود عليه ، إلا الاضرار بأخيه - كل ذلك من حسن الاقتضاء ، وأما السماح
في القضاء فإن ير الحن لصاحبه في الموعد المدرور ، ولا يكافه عناء المطالبة أو
المقاضاة ، وبشفع القضاء بالشكر والدعاء، أو الهدية إن كان لها مستطعيا - إلى غير
ذلك مما ينطوى تحت المسامحة
فالحديث يرغبنا في حسن المعاملة ، وفي كرم النفس ، وفي مراعاة المصاحبة ،
وفي حفظ الوقت

الحديث ١٥

في فضل الغرس والزرع

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ
أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِهَذَا اللَّفْظِ
فِي كِتَابِ الْمَزَارَعَةِ فِي بَابِ فَضْلِ الْغَرْسِ وَالزَّرْعِ ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا
وَالْتِّرْمِذِيُّ

الغرس للشجر ، والزرع للنبات ، والغرس هو الرشق أو الدفن في الأرض
وقريب منه الزرع ، والمراد بالغرس والزرع المغروس والمزروع كالعقل والحبوب ،
والطير جمع مفردة طائر كركب وراكب والمراد به كل ذى جناح يسبح في الهواء
والبهيمة اسم لكل ما لا ينطق لما في صوته من الابهام لكن خص في العرف بما
عدا السباع والطير ، والصدقة ما يخرجها الانسان من ماله على وجه القرية كالزكاة
لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوع به والزكاة للواجب ، وقد يسمى الواجب
صدقة اذا تحرى صاحبه الصدق في فعله

والحديث يرغبنا في تعبير الارض بالاشجار والزرع التي ينتفع بها الانسان

أو الحيوان ، ويبين أن ما أكل من الشجر أو الزرع صدقات للانسان يستحق
 الاثابة عليها ، وخص المسلم بذلك لأنه الذى ينتفع بثواب الصدقة فى الدنيا والآخرة
 وأما الكافر فيثاب على ما زرع أو غرس فى الحياة الدنيا فقط ، وقال بعضهم: يجوز أن
 يخفف عنه بذلك من عذاب الآخرة خصوصا اذا لم يرزق الغنى والعافية فى الدنيا
 وفى الحديث حث على السعى فى مصالح الناس وعلى الرحمة بالحيوان ، وقد
 أخرجه البخارى أيضا فى باب « رحمة الناس والبهائم » ومن الرحمة بالحيوان
 التخفيف عنه فى الأحمال وعدم تكليفه مشاق الأعمال، وترك الاسراف فى ضربه
 وإيذائه ، ومداواة جراحه ، والقيام بحاجاته

الحديث ١٦

فى فضل الغرس والزرع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ،
 وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، رَجُلٌ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ ، فَمَنَعَهُ مِنْ
 ابْنِ السَّبِيلِ ، وَرَجُلٌ بَاعَ إِمَامَهُ لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا ، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا
 رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا سَخِطَ ، وَرَجُلٌ أَقَامَ سَلْعَتَهُ بَعْدَ الْعَصْرِ ،
 فَقَالَ : وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَقَدْ أُعْطِيتُ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَصَدَقَهُ
 رَجُلٌ - فِي رِوَايَةٍ فَصَدَقَهُ وَأَخَذَهَا وَلَمْ يُعْطَ بِهَا - ثُمَّ قَرَأَ « إِنَّ الَّذِينَ
 يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
 وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ - رواه البخارى ومسلم وأصحاب السنن

اللافتة: يزكهم يطهرهم من الأوزار وقيل يثنى عليهم ، وأليم موجع ، وفضل زيادة ، وابن السبيل سالك الطريق ، والمبايعة للامام الرضا به والتعهد له ببذل الطاعة والمراد بالدينها ناعرضها ، وسخط غضب ، والسلمة المتاع والبضاعة ، وأقامها عرضها أو روجها من قامت السوق إذا راجت ، ويشترون يستبدلون ، وعهد الله ما عاهدوه عليه ، والأيمان واحدها يمين وهي الحلف ، والتمن العوض ، والخلاق النصيب والحظ ثلاثة أشخاص يغضب الله عليهم يوم القيامة يوم تجزى كل نفس ما عملت فلا ينظر إليهم نظر عطف ورحمة ، بل نظر مقت وازدراء ، أو لا يلتفت إليهم مطلقاً إعراضاً عنهم ، وزيادة سخط عليهم ، ولا يطهر في الدنيا نفوسهم من الأوزار وكيف يطهرها ولم يعدوها لقبول الهداية بل لو ثوبا نجس طويتمهم ، وكذب أيمانهم الذي هو ضرب من النفاق ، ومنعهم المعونة من هم في حاجة إليها ، أو معنى عدم التزكية عدم الثناء عليهم والمدح لهم لأنهم مجرمون ، ولم إلى الغضب وعدم التطهير عذاب شديد في الآخرة ، يصلون سميره ، ويقاسون لهيبه .

فأول الثلاثة رجل له ماء بالطريق كثير ، أو مصاصة ، أو حوض ، أو زير ، به ما يزيد عن حاجته من الماء فنعه من السائلة المارين به وهم في حاجة إليه ، وإنه لذو نفس خبيثة إذ منع نعمة ساقها الله إليه ، بها حياة الانسان والحيوان والنبات «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ» — منعها من أشد الناس حاجة إليها وهو المسافر وربما كان في ذلك هلكه ، منعها في حين لم تكن به حاجة إليها ، وإذا كان بفضل الماء بخيلاً فهو بغيره أبخل ، فهو مناع للخير لا يسمح به لغيره ، ولو كان في ذلك حقه ، فلا جرم كان خليقاً بهذا العقاب ، وقد استثنى الفقهاء من ذلك الحربي والمرتب إذا أصرا على الكفر لا يجب علينا بذل الماء لها

وثاني الثلاثة رجل بايع إمامه ، ورضى له بالسمع والطاعة ، وهو غير مخلص في بيعته إنما بايعه لمصلحة خاصة يرجوها كوظيفة يأملها ، أو ورطة يريد مساعدته

على الخلاص منها ، أو مال ينتقيه لنفسه أو ولده ، فإن أجياب اليتيمه رضى واطمأن ، وإن لم يوجب غضب وسخط ، وشن العارة على ذلك الذى بايعه وسمع به فى الملاء « فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون » فقل هذا حدير بغضب الله وعقابه ، ومنعه التوفيق والهداية ، إذ باع مصلحة المسلمين والعمل الخيرهم ، والنصح لهم فى اختيار إمام عادل ، يقوم على دين الله بالحفظ ، وعلى ملكه بالعدل ، يقيم حدود الله ، ويقدس الحق ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويتفقد المصالح العامة - باع مصالحهم فى تخير الامام العادل فى سوق مصالحه ، الخاطبة فطلب الحظ لنفسه فى غش الرعية ، وأراد الطعام الدسم ، فى سم زعاف قدمه للبرية ، ومن هذا الوادى الأشخاص الذين ينتسبون لحزب خاص لانتصرة مبادئه ، والعمل تحت لوائه ، وطلب الخير للأمة من طريقه ، بل لما رب شخصية ، إن نالوها شكروا له ، وإن منعوها إنقضوا عليه ، وسيقوه بالسنة حداد ، ورموه بكل منكر وزور ، أولئك لاخلق لهم فى الآخرة ، وأولئك الذين فى قلوبهم مرض

وثالث الثلاثة رجل يفتش المسلمين بامتهان اسم الله المقدس ، والحلف به زورا ، لينال عرضا زائلا ، ور محاسدا ، وما هو بنائله ، فيعرض سلعته وقت قيام السوق - والظاهر أنها كانت تقام إذ ذاك بعد العصر ، وأخص هذا الوقت بالذكر لقرب العهد بالصلاة ، فكان الظاهر أن يرعوى بها عن الكذب ولكن لم يرعو ، فكانت جريمته عند الله أشد وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : بعد الصلاة - وفيها بالأيمان المعلظة ، ويروجها بالمعارات الكاذبة ، فيقول لرواد التجارة : والله الذى لا اله غيره لقد قدرت هذه السلعة ودفع لى فيها خمسة وعشرون أو ستة وعشرون أو . وما قبلت ، يريد بذلك ترغيب المشتري فى الأخذ بأزيد مما قال ، فصدقه حلي فى يمينه التى أكدها أشد التأكيد ، وأخذها منه بما قال ، أو بما راد ، والواقع أنهم لم يصدقوا ذلك ولم يعطوها الثمن الذى ذكر ، بل كذب على أحيه ، وعشه و نير . سم الله ! أتجد اسمه وسيلة للكذب . والتلبس على الناس

ثم قرأ صلى الله عليه وسلم قوله تعالى « إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا — الآيَة » ليؤكد قوله، ويزيد النفوس إيمانا به وتصديقا له ، وواضح دخول المبايعه في عهد الله ، ودخول ترويح السلعة بالخلف الكذب في الأيمان ، بل هما داخلان تحت العهد والأيمان إذ الأكثر في العهد أن يقرن باليمين، والأيمان تقال للهود أيضا، وأما دخول من منع الماء وارديه فغير واضح، فالظاهر أن الاستشهاد بالآيَة على الأخيرين ، وجائز أن يقال : حقيقة الايمان عهد بين الله والعبد أن يقوم بكل ما أمر به ، ويحجب كل ما نهى عنه ، وقدم بالتعاون على البر والتقوى ، ومن البر بذل الماء ، وحرّم منع الخير بقوله في سياق النّم « مَنَعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَدِ أَيْمَانِهِ » ومنه منع الماء ، وعلى ذلك فالثلاثة داخلة تحت الآيَة

ومعنى الآيَة أن من لم يوف به عهد الله ، أو لم يصدق فيه ويخلص ، وكذلك من لا يصدق في يمينه واستبدل بذلك عوضا قليلا ، وعرضا ضئيلا من نحو ما ذكرنا — وكل ثمن نظير الحق والصدق فانه قليل مهما كان في نظر الشهوريين عظيمًا — لا نصيب له في نعيم الآخرة ولا حظ ، ولا يكلمه الله كلمة رضا وعطف ، ولا ينظر اليه نظرة محبة ورعاية يوم القيامة ، ولا يشهد له بما ينجيه ، أو لا يطهره في الدنيا من الأوزار ما دام عاكفا على ما يلوث نفسه ، ويدنس فطرته ، ويعذبه في الآخرة عذابا أليما ، فان تاب وعمل صالحا عاد عليه بالعمرة والرحمة « وَإِنِّي لَنَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى »

فالحديث يحتم الوفاء بالعهود، والاحلاص فيها ، والنصيحة للرعية في تخير الحكام العادلين ، والموظفين المخلصين ، ويحرم الأيمان الكاذبة ، والغش في المعاملة ، وبيع الحق بالشهوات والأعراض الزائلة ، ويأمر ببذل المعونة للمحتاجين ، وإنفاق العفو للبائسين « وَيَسْأَلُونَكَ : مَاذَا يُنْفِقُونَ ؟ قُلِ الْمَغْفُورَ » « يَسْأَلُونَكَ : مَاذَا يُنْفِقُونَ ؟ قُل : مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَإِلَى السَّبِيلِ ، وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَالِمٌ »

الحديث ١٧

في الرفق بالحيوان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : بَدْنَا رَجُلًا يَمْشِي ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ ، فَنَزَلَ بِئْرًا ، فَشَرِبَ مِنْهَا ، ثُمَّ خَرَجَ ، فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَأْتُهُ بِأُكُلِ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ بِي ، فَمَلَأَ خُفَّهُ ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ رَقِيَ ، فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا ؟ قَالَ : فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

اللاغة : بدنا هي بين أشبعت فتحتها فصارت ألفا ، وكذلك بينا هي بين زيدت عليها ما ، وهي ظرف بمعنى وسط ، اللهم ارتفاع النفس من الاعياء والتعب ، وفي الحيوان خاصة إخراج اللسان من شدة العطش والحرق يقال : لهث الكلب وغيره يلهث لهثا ، والثرى التراب الندي ، والخف ما يلبس في الرجل ، ورقى رقى صعد ، والكبد عضو في الجنب الأيمن يفرز الصفراء ، ويقال للجوف كله ، والمراد برطوبة الكبد حياته

الشرح : يقص علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قصة رجل كان يمشي بطريق أو بادية فعطش عطشا شديدا ، فنزل بئرا شرب منها حتى روى ، ثم خرج منها فإذا به يجد كلبا قد أخرج لسانه من شدة الظأ يلحس به الأرض الندية لعل في رطوبتها ما يقلل من حرارة العطش ، فقال في نفسه أو بلسانه : لقد بلغ هذا

الحيوان الدرجة التي بلغها في العطش ، وآلمه منه ما آلمني ، فنزل إلى البئر ثانية وملاً خفه بالماء ، وأمسكه بضمه لتخلص له يدها يسك بهما في جدران البئر عند الصعود ثم صعد فسقى الكلب من خفه ، فشكر الله له هذا الصنيع ، وما شكره إلا عفوه عن ذنوبه السالفة ، بل من شكره المنُّ بنعمه على المحسنين من عباده ، فسأل الحاضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل لنا في البهائم إذا دفعنا عنها الأذى ، وأحسننا إليها أجر وثواب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « في كل كبد رطبة أجر » أي في كل نفع لحيوان مثوبة ، فكنى بالكبد عن الحيوان ، وبوصفه بالرطوبة عن حياته ، وهذه الجملة تم كل حيوان من كلب أو قط أو جمل أو بقرة أو شاة . . . الخ وتشمل دفع أنواع الأذى عنه من عطش ، أو جوع ، أو مرض ، أو حر ، أو برد ، أو حمل ثقيل ، أو عمل شديد ، أو غير ذلك مما يتأذى به الحيوان ، وتشمل إيصال ضروب النفع له من تقديم الطعام والشراب والكن له ، وإزالة الدرن عن جسمه ، بل الكبد الرطبة تشمل الانسان والحيوان ، فكل عمل تعمله تزيد به ضرا ، أو تجلب به نفعاً لانسان أو حيوان لك أجر فيه

ولا تستكثر الشكر من الله والمغفرة لهذا الذي أقتد الكلب من ظمئه ، فإنه نزل البئر له خاصة ليسقيه ، وملاً خفه بالماء ، وذلك مما يضر بجلده ، وأمسكه بضمه وذلك مما يعافه المتكبرون ، وعانى ماعاني في النزول والصعود مثل ماعاني لنفسه ، كل ذلك تجشمه في سبيل رافته بالحيوان الظلمآن ، وهل ترى نفساً تبلغ منها الرحمة بالحيوان هذا المبلغ لا تكون رحمتها بالناس أشد ، إن هذا العمل ليدل على شعور راق ، ورحمة فياضة ، سكنت تلك النفس العالية ، فكانت لا ريب خليقةً بهذا الجزاء ، والراحمون يرحمهم الرحمن ، ولعلك عرفت من هذا الحديث تربية الشدائد للنفوس ، وأنها تدعوها للخير ، وتلقئها إلى مثل ما حل بها ، فتعمل على دفعه كما عملت لنفسها ، ومن ذاق الآلام المريرة شعر بالآلام الناس ، وتلك حكمة من حكم الصيام أنه يُدكى في الناس الشعور بحال البائسين فيمدون أيديهم بالأحسان إليهم .

فالحديث يحث على الرأفة بالحيوان ودفع الضر عنه ، ويحذّر النَّصَبَ في سبيله
ويعظّم الأحرى على ذلك ، وهذا الحديث أصلٌ في إنشاء جمعيات الرفق بالحيوان ،
ويشكر للذين يُقيمون جِياًصاً في الطرق ليشرب منها الحيوان

الحديث ١٨

في عقاب من آذى الحيوان

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ جَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعاً
فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ ، وَفِي رِوَايَةٍ : دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ
تُطْعِمِهَا وَلَمْ تَدْعِهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ — رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

اللقطة : الهرة القطة ، وخشاش الأرض هوامها وحشراتهما

الشرح : يذكر الرسول (ص) إن امرأة حبست هرة في حجرة أو ربطتها
حتى ماتت جوعاً ، فلا هي قدمت لها طعاماً وشرباً ، ولا هي أطلقتها تأكل من
هوام الأرض وحشراتهما كالقيران والصراصير ونحوها فعذبها الله لذلك

وفي هذا دلالة واضحة على أن تعذيب الحيوان بلا سبب معصية تستوجب
العقاب ، وكذلك قتله إذا لم يكن مؤذياً ، وهذا يدخل في عموم قوله تعالى « فَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » وفيه إشارة إلى
حوالٍ آحاد الهرة وربطها إذا لم يهمل طعامها وشربها

ولا يدل الحديث على إحاطة عمل صالح — إن كان — لهذه المرأة بأمانتها
أهراً جوعاً ، بل لكل حسنة ثوابها ، ولكل حذمة عقابها ، فإن كان لها من
حسنات ماغها الحسنة التي نزلها قوله تعالى « إِنَّ الْحَسَنَاتِ كَالسَّيِّئَاتِ »

وإذا كان هذا جزءاً من يعذب الحيوان الأعجم فما بالك بمن يصبّ على الناس
وابلاً من شروره وآثامه ، بل ماظنك بمن يؤذى إخوانه الذين تربطه بهم رابطة
الدين أو القرابة أو المصاهرة أو الجوار أو الاتحاد في العمل أو غيرها من الروابط .
فالحديث يتوعد بالمذاب الشديد من يؤذى الحيوان ويوجب علينا الاتفاق
عليه ، أو تركه يسعى في رزقه

الحديث ١٩

في أداء الحقوق

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْتَهُ ، وَمَنْ أَخَذَهَا
يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ — رواه البخاري وابن ماجه وغيرهما

من الناس من يقترض الأموال لحاجة من حاجه ، عازماً على أدائها في الموعد
المضروب ، أوحين يقع في يده مال ، فهذا يؤدي الله عنه ديونه ، فيفتح له من أبواب
الرزق ما لم يكن يحتسبه مكافأة له على نيته الصالحة ، وعزمه المحمود ، على أن لتلك
الارادة أثر في اكتساب الرزق ، فانها لا تزال بصاحبها تدفعه الى تلمس أبواب
المكاسب ، والبحث عن طرق المال ، حتى يهتدى اليها ، ويؤدي ديونه ، ومثل
هذا من يشتري من التجار طعامه وشرابه وحاجياته الأخرى ، أو بضاعة يتجر فيها
إلى أجل وليس بيده مايدفعه تقداً ، فان عزم على الأداء والوفاء يسر الله له المال حتى
يوفي بما عاهد ، أما من استقرض أو اشترى شيئاً ديناً ، أو طلب إلى الناس أن
يودعوه أموالهم ، أو استعار ، أو استأجر عيناً عازماً على الجحود والانكار ، أو
الاتلاف والاهلاك فان الله تعالى يتلقه ، فيوقعه في خبث نيته ، وسوء طويته ، ويفتح
له من أبواب النفقات ما يذهب بماله ، طارفه وتليده ، أو يسلط عليه من البلايا

والمصائب ما يستأصل ملكه ، أو يرسل اليه جيشا من الأمراض الفتاكة يعمل في نفسه وأهله وولده ما يحرمهم لذة الحياة ونعيمها — إلى عذاب في الآخرة شديد، وهل رأيت أكرمك الله من اغتنى وتنعم في مال غيره المصوب ، ولئن ضحكت له الدنيا أياما أو سنين استهزاء به ، واستدراجا له لهي كاشرة له عن أنبيائها ، ثم تلتهمه التهاما ، أو تستلب ما كنز من أولاده وأحفاده استلابا « فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » « وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ » فالنية الصالحة ، والارادة الصادقة لها أثرها في كسب المال ، والهداية لسبله ، والنية الخبيثة جائحة المال ، ومُبددة الثروة ، والقاضية على صاحبها بالفقر والمترية ، بل بالهلاك والخسار فلا تستدن إلا عند الحاجة ، وإن استدنت فاعزم على الوفاء ، ومهد لتنفيذ العزم بتذليل الأسباب ، والبحث عن مسالك المال ، وحذار أن تأخذ أموال الناس في صورة استدانة ، وطوية نفسك غضب وسرقة ، وانتهاب وخيانة ، فتكون غشاشا لمن أعانك ، بل تكون منافقا تبدى للناس غير ماتضر ، ولا تنس قوله تعالى « إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا »

فالحديث يحض على الاخلاص في النية ، وعلى أداء الحقوق ، ويتوعد من يضر الشر ، ويستلب الأموال بالطرق الخفية ، وإنه ليؤذن أولئك التجار الذين يملثون مخازنهم بالبضاعات يشترونها لأجل ، وفي بيتهم أن يعلنوا الافلاس بعد أن تمتلئ جيوبهم — يؤذنتهم بالخسار والبوار ، بل يؤذنتهم بحرب من الله ، لا قبل لهم بها ، فليتقوا الله في أموال الناس ليرزقهم من حيث لم يحتسبوا « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا »

الحديث ٢٠

في الماطلة في الحقوق

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ، وَإِذَا أَتَبَعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيٍّ فَلْيَتَّبِعْ. رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه

اللفظ: المطل في الأصل المد يقال: مَطَلْتُ الحديدَ أمطَلُها مطلا اذا مددتها لتطول، وقال الأزهري: المطل المدافعة، والمراد به هنا تأخير ما استحق أداءه بغير عذر، والغنى هنا من قدر على الأداء ولو كان فقيرا، والمليء الغنى المقدر مأخوذ من ملؤ الرجل ملاء وملاءة اذا اغتنى، وقال صاحب المختار: المليء الثقة، ويقال: المليء بلا همز تسيلا، والاضافة في مطل الغنى من اضافة المصدر لفاعله، وقيل من اضافته لمفعوله وهو بعيد

الشرح: مما يحقق الثقة بالمرء أداءه لحقوق الناس ولو لم يكن من كبار المترين، ومما يزلزل الثقة به أو يزيلها تلكؤه في أداء الحقوق ولو كان في مقدمة الأغنياء الموسرين، والثقة رأس مال كبير تسهل للمرء طرق أبواب التجارة وإن كان ماله قليلاً، وتقرب اليه جيوب الناس وخزائهم وإن لم يكن مليئاً، فلا جرم حذرنا الرسول (ص) مما ينزع الثقة بالمرء من نفوس الناس وهو الماطلة، ولقد عرف علماء الأخلاق العبدل بأنه إعطاء كل ذي حق حقه، ولما كانت ماطلة الغنى القادر على الدفع وتأخره في أداء الحقوق منعا للحق عن صاحبه عدها الرسول (ص) ظلماً فالماطل ظلم غيره بتأخير حقه بدون عذر، بل ظلم نفسه إذ حرمها الثقة، وعرضها للطعن والتلب في الحياة الدنيا، ولعقوبة الله في الحياة الأخرى، فمن كان مدينا في تجارة، أو في متاع اشتراه، أو كان قبلة حقوق لرعيته أو لمن تحت يده - إن كان ملكاً،

أو أميرا ، أو رئيسا أو وزيرا — أو كان عليه نفقة لزوجته ، أو والده أو ولده ، أو
تقريبه أو عبده ، أو كان عليه زكاة أو ضريبة مشروعة ، وحل موعد الدفع وتلك
والمال في جيبه أو تحت يده — كان ظلما ، بل قال بعض الفقهاء : لو أمكنه الاكتساب
لسداد الدين فتركه كان ظلما فاسقا ، فالواجب على المستطيع بأى طريق كان أداء
الحق متى حل أجله ، ولو لم يطالبه به أهله ، بل لو أمكنه الدفع قبل الموعد بادر
اليه تبرئة لدمته ، ورحمة لنفسه من ذل الدين وهمه ، وربما عسر عليه غدا ما تيسر
له الساعة ، والمال غاد ورائح ، أما إن كان عاجزا عن الأداء فليس بظالم ، بل لا يعد
مماطلا ، والواجب على الدائن في هذه الحال — ان كان له دين ، وفي قلبه رحمة —
أحد أمرين ، إما مهلة وإما صدقة « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ،
وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون »

وإذا قلنا : إن الاضافة في مطلق الفنى على معنى مطلق الفنى في معنى العبارة أنه
يجب وفاء الدين ولو كان مستحقه غنيا ، فلا تتخذ من غناه ذريعة لمأطلته ، وإذا
كان تأخير ديون الأغنياء ظلما فالفقراء من باب أولى

ولقد أمر الرسول (ص) الدائن إذا أحاله المدين على غنى مليء ، موسر
قادر — أن يقبل هذه الاحالة ، وأن يتبع الذي أحيل عليه بالمطالبة حتى
يستوفي حقه ، وإنما أمره بالاتباع إذا أُتبع نتيجة للمدين من الظلم أو الاشراف
عليه بالمأطلة ، وتمجيلا لاستيفاء حقه بلا مساوفة ، ولقد قال أكثر الحنابلة وأبو ثور
وابن جرير وأهل الظاهر : إنه يجب على الدائن قبول الاحالة على المليء عملا بهذا
الأمر ، وقال الجمهور : إن الأمر هنا للاستحباب ، وأى مانع يمنعك أيها المسلم الرحيم
من أن تلزم نفسك القبول ، وفي ذلك خيرك وخير أخيك ؟ لأنه لا مانع الا المعاكسة
والمشاكسة ، وليست من أخلاق المؤمن

وقد استدل بهذا الحديث على اعتبار رضا المحيل والمحتمل دون المحال عليه
لعدم التعرض لذكره ، وبذلك قال جمهور الفقهاء ، وعن الحنفية والاصطخري من
المشافعية اشتراط رضاه أيضا

وكذلك استدل به على أن المعسر لا يجبس ، ولا يطالب حتى يوسر لأنه لو جازت مؤاخذته لكان ذلك لظلمه والفرض أنه غير ظالم لعجزه ، وقيل : يجبس . وقيل : يطالب ، وقد قدمنا لك حكم القرآن في ذلك ، أما الماطل فنسلك معه كل سبيل حتى يصل ذو الحق لحقه ، ولو كان بالإيذاء له أو الجبس فإد الأمانات لأهلها ، ولا تكن ظلوماً ، واعمل على تحقيق الثقة بك ، وارحم المدين العاجز وأمهله أو تصدق عليه ، ولا ترفض ما ينفع غيرك وينفعك ، أو ينفعه ولا يضرك . ودع النزاع والخصام وأحل محلها الألفة والوثام ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

الحديث ٢١

في واجب الرؤساء نحو مرء وسيهم

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ . قَالَ : وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ : وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ - رواه البخاري ومسلم والترمذي .

اللفظ : الراعي الحافظ المؤمن ، وبعبارة أخرى من اليه تدبير الشئ ، وسياسته . حفظه ورعايته مأخوذ من الرعى وهو الحفظ ، والرعية كل ما بشمله حفظ الراعي ونظرة ، وحسب ظننت .

الشرح : ما من إنسان إلا قد وكل إليه أمر يديره ويرعاه ، فكلنا راع وكلنا مطالب بالاحسان فيما استرعيه ، ومسئول عنه أمام من لا تخفى عليه خافية فان قام بالواجب عليه لمن تحت يده كان أثر ذلك في الأمة عظيماً ، وحسابه عند الله يسيراً ، وثوابه جزيلاً ، وإن قصر في الرعاية ، وخان الأمانة أضر بالأمة ، وعسر على نفسه الحساب ، وأوجب لها المقت والعذاب ، فان فرّ في الدنيا من يد الادارة ، أو النياية ، أو برأه القضاء ، أو لم يكن تقصيره داخلًا في حدود القوانين القائمة فان حساب الله آت ، وعقابه بالمرصاد ، وكل امرئ بما كسب رهين

فإمام الناس من ملك أو أمير — راع كفيل ، وحافظ أمين ، مسئول عن أهل مملكته أو إمارته ، فعليه إقامة العدالة فيهم ، ورد الحقوق لأربابها ، واحترام حرياتهم في دائرة الحق والأدب ، واستشارتهم في الأمور ، والاستماع لنصائحهم والذود عن كرامتهم ، والحرص على مصالحهم ، والدفاع عن حقوقهم ، وفتح الأبواب لمعايشهم ، وتذليل السبل لتنمية ثروتهم ، والضرب على أيدي المفسدين ، والتنكيل بالمجرمين الخائنين ، والعمل على قطع الفساد في الأرض ، ومنع الجرائم منها — الى غير ذلك مما ترقى به الأمة ، وتسلم من الأضرار ، وإن الامام مسئول أمام الله عن أمته وجماعته ، يسأل عن كل فرد فيها ، وعن كل عمل من أعمالها ، يسأل عن ثروتها مورداً ومصرفاً ، وعمّا عمل لمصلحتها ، وسلك لسعادتها ، بل يسأل عن حيوانها : ماذا صنع لراحته ، وتخفيف مشقتها ، وبعبارة أوجز : بقدر ما في يده من الشؤون ، وما وكل اليه من الأمور يكون الحساب ، وتكون المسئولية ، فلا يُلْة ذو منصب بمنصبه ، عن القيام بواجبه ، ولا يفتن الرؤساء بمظاهر الرياسة ، عن الحيلة والكياسة ، وإعداد العدة لحساب أحكم الحاكمين .

كذلك الزوج أو رب الأسرة راع في أسرته ، ومؤتمن على من تحت ولايته فعليه التعليم لهم والتثقيف ، والتربية والتهديب ، بنفسه أو بواسطة ماله ، حتى يكونوا ككلة في الأخلاق ، أئمة في الآداب ، سواء في ذلك بنوه وبناته ، وأخوته وأخواته

وزوجه وخدمه، وفي مقدمة التهذيب تعليمهم فرائض الدين ، وتأديبهم بأدب العليم الحكيم ، وتأديبهم له من طريق عمله ، أجدى عليهم من كله ، وعليه الأخذ بهم عن طرق الدنيا ، والابتعاد عن مواطن الريب ، ومبائات الفتن ، وعليه أن يقدم لهم مسكناً مناسباً ، وطعاماً وشرباً موافقاً ، ولباساً في دائرة الأدب والحشمة ، وزينة لاتدعو الى الفتنة ، كل ذلك في غير تقتير ولا إسراف ، بل يسلك طريق الاقتصاد ليدخر لهم ما يكون عدّة للشدائد ، وسعة في المضايق ، وتركه تقيم ذل المسألة ، وتحفظ عليهم الكرامة ، وليكن في بيته عينا راعية ، وأذنا واعية ، يتفقد الأمور ويتحرى الصالح ، ويقوم العدل في رعايا هذه المملكة الصغيرة ، وليعلم أن الله سائله عن زوجه : هل عاشرها بالمعروف ، وقام لها بالحقوق ، ولم يخنها في غيبته ، وسأله عن ولده : ما صنع في نفسه ، وما عمل في ماله ، وعن أقربائه الذين هم تحت كنفه : ماذا قدم لهم ، وكيف واسمهم؟ فليعد الجواب الحسن من عمله وخلقه ، وكرم رعايته وحسن ولايته « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ »

وكذلك المرأة في بيت زوجها راعية ، ومؤتمنة موكلة ، وربة مملكة ، رعيتهما البنات والبنون ، والزوج الروم ، والبيت وما وعى ، والمال والخدم ، فلتكن للأولاد خير مربية ، ولزوجها خادماً طائعة ، وفي بيتها حكيمة مندبرة ، وعلى المال قاعة راعية حافظة له منمية ، وخدمها قدوة صالحة ، ترشدهم إلى الواجب ، وتهديهم إلى الصالح تهذب من أخلاقهم ، وتقوم بواجبهم ، تراقب سيرتهم ، وترعى نفوسهم ، ولا تهجر في زجرهم ، وبعبارة أخرى : نريد من المرأة بيتاً نظيفاً منظماً ، وولداً صحيحاً مؤدباً ومالاً مرعياً ، وطعاماً شهيماً ، وتمرّاً جنياً ، وطاعة لزوج في معروف ، وأدباً في منطلق وكالا في نفس ، ونظافة في بدن وزى ، وفي ولد وخدم ، فان فعلت ذلك فنعمت الراحية ، ونعمت من ترعى ، وإن المرأة لمسئولة أمام الله عن هذه الرعية : أقامت بواجبها أم قصرت في حقها ، فان كان القيام فروح وريحان وجنة نعيم ، وإن كان التقصير فنزل من حميم وتصلية جحيم ، فليتنق الله نساؤنا ولا يكن كل همهن الطعام

والشراب ، وزيارة الأحاب ، والتفنن في الزينات، والمشى في الطرقات ، أما البيت وتدييره ، والولد وتقويمه ، والزوج وشثونه فلا عناية ولا رعاية ، ذلك شين في الدين الخطر فيه كبير ، والوزر عظيم ، والحساب عليه عسير

كذلك الخادم راع في مال سيده ، وحافظ مؤتمن ، فليرعه كما يرعى ماله ، يذميه بما استطاع ، ويحفظه من الضياع ، يرحم حيوانه ويرأف به ، ويفقد صالحه وخيره ، أليس من هذا المال يطعم ويشرب ويلبس ويسكن ؟ أليس منه يتخذ الأجر ؟ فلم لا يكون فيه أمينا ، وعلى تسميره حرصا ، وإذا كان مكلفا برعاية المال فما بالك برعاية الأهل والولد ، فلا يخن سيده في ماله ، أو ولده أو أهله ، وليبعد عنهم الدنس والدنايا ، وليصح لسيده في كل ماله صلة به ، والدين النصيحة ، وليعلم أن الله سائله عن رعيته . كذلك الولد راع في مال أبيه ، يستثمره وينميه ، ويحفظه ويرعاه ، فلا يبذره تبذيرا ، ويبدده تبديدا ، ولا يخونه فيه بالسرقة أو الاغتصاب ، أو الكذب عليه في الحساب ، وهل مال أبيه إلا ماله ؟ فان رعاه فأما يرعى لنفسه ، ويدبر لمستقبله ، ويسأل الله الأبناء عما صنعوا في مال الآباء ، فليتقوا الله فيه ، وليعملوا ما يُحمدون عليه

وكلنا راع ، وكلنا مسئول عن رعيته ، فالعمدة راع في بلده ، ومسئول عن رعيته والمأمور راع في مركزه ، ومسئول عن رعيته ، والنائب أو الشيخ راع في دائرته . ومسئول عن رعيته ، ورئيس النواب أو الشيوخ راع في مجلته ، ومسئول عن رعيته ، والناظر راع في مدرسته ، ومسئول عن رعيته ، والمدرس راع في فصله ، ومسئول عن رعيته ، وكل رئيس راع في مصلحته ، ومسئول عن رعيته ، والصانع راع في صنعته ، ومسئول عن رعيته ، والتاجر راع في تجارته . ومسئول عن رعيته ، والزارع راع في مزرعته ، ومسئول عن رعيته

فالحديث دعامة كبيرة في القيام بالواجبات والحقوق ، والاحسان في الأعمال . والرعاية لما تحت اليد ، وإنه ليقرر مسئولية كل فرد فيما وكل اليه من نفوس وأموال ومصالح وأعمال .

الحديث ٢٢

في وجوب صلاة الجماعة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَّ بِمُحَطَّبٍ فَيُحَطَّبَ، ثُمَّ أَمُرَّ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَدَّنَ لَهَا، ثُمَّ أَمُرَّ رَجُلًا فَيُؤَمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أَخَالَفَ إِلَى رَجَالٍ فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ يَوْمَهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يُجَدُّ عَرَقًا سَمِينًا أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ لَشَهِدَ الْعِشَاءَ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ

اللفظ: ألهم العزم أو مادونه، ويحطب يكسر، ويؤم الناس يصلى بهم إماما وأخالف أخلف أو آتى من الخلف، وأذهب إلى من تخلف، والتحريق المبالغة في الحرق، والعرق العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم، وجمعه عُرَاقٌ، وهو جمع نادر، ويقال: عَرَقْتُ العظم واعترقته وتعرقته إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك، وقال الأصمعي: العرق قطعة لحم، والمرمأة ظلف الشاة وقيل ما بين ظلفتيها من اللحم، وتطلق المرمأة على سهم صغير غير محدد بتعلم به الرمي وهو أنحس السهام وأدناها

الشرح: مما شرعه الإسلام أداء الصلوات جماعة في المساجد لحكم بالغة، ومزايا حمة، ذلك أن القيام بها تألف بين المسلمين، وجمع لقلوبهم في أكبر عمادة، مهذبة للنفوس، مرقبة للشعور، مدكرة بالواجب، معلقة الآمال بالكبير المتعال، وفيها يتقف الأمير محاسن الصغير، والعنى بحجاب الفقير، فتساوى الرؤوس كما تساوت الأقدام في الصفوف، وإذ ذاك تنسى مظاهر الترف التي كثيرا ما فتنت الناس، وفيها يتعلمون من الأمام الذين بطريق عملي أو نظاري بما روده من الصالح

عقب الصلوات ، وفيها معنى الوحدة ، والتمرين على الأعمال المشتركة ، والتدريب على مواقف الحرب تحت إمرة قائد واحد ، وفي صلاة الجماعة أيضا حركة بالسمى الى المساجد ، فيزول الكسل ، ويحلو العمل ، وفيها سهولة إعلام الناس بالأمر العامة ، والحوادث المهمة — إلى غير ذلك من مزاياها

فلما كانت بهذه المثابة أكد الرسول (ص) طلبها ، وحتم على الرجال حضورها فالرسول (ص) يقسم بمن نفسه بيده ، وروحه بقدرته ، يتصرف فيها كما يشاء — أنه قد هم وعزم ، وقدر وصمم أن يأمر بعض الناس باحضار حطب محطم ويكسر ليسهل اشتعال النار فيه ، ثم يأمر بالصلاة يؤذن بها المؤذن ، ثم يتخير من بين الحاضرين رجلا يؤم الناس في الصلاة نيابة عنه ، ويتخلف هو الى رجال في منازلهم قعدوا عن صلاة الجماعة ، وتركوها بلا عذر ، فيحرق عليهم بيوتهم بالحطب الذي حطب ، فيذهب الحريق بنفوسهم وأموالهم ، عقابا لهم على ترك هذه الشعيرة ، ثم أعاد الرسول (ص) القسم تأكيذا وتثبيتا ، وقال : لو يعلم أحد هؤلاء المتخلفين أن في الذهاب الى المسجد شيئا حقيقا من متاع هذه الحياة يأكله أو ينتفع به لحضر صلاة العشاء التي هي من أثقل الصلوات على ضعفاء النفوس لظلام الطريق ، واقتراب موعد النوم ، والميل فيه الى الراحة من عناء الأعمال طوال النهار ، وقد مثل الشيء الحقيقير بظلف الشاة — نعلها الطبيعي — أو بعظم به بقايا لحم أو بلعيمة ، وبسهمين دقيقين حسنين ، يتعلم بهما الصبيان الرماية ، وقيمتها ضئيلة ، يعنى بذلك الرسول أن هذا المتخلف لو وجد في الحضور الى المساجد منفعة دنيوية يسيرة لهرول اليها ، فهو ضعيف الايمان ، غافل عن مزايا الجماعة ، مؤثر لعرض هذه الحياة على ما عند الله والحدث كما ترى فيه وعيد شديد لتاركى صلاة الجماعة ، وأنه هم بقتلهم ، وتحريق بيوتهم ولعله منعه من التنفيذ أن غرضه مجرد التهديد ، أو نساء وصبيان يسكنون بيوتهم لا ذنب لهم ولا جريرة

ومن أجل هذا الوعيد ذهب عطاء والأوزاعي ، وأحمد وجماعة من محدثي الشافعية ، كأبي ثور وابن خزيمة ، وابن المنذر ، وابن حبان إلى أن صلاة الجماعة

خرض عين ، بل بالغ داود بن علي وأتباعه من الظاهرية ، فاشتروا الجماعة لصحة الصلاة بناء على أن ماوجب في العبادة كان شرطاً فيها ، وظاهر نص الشافعي أنها فرض كفاية إذا قام بها جماعة سقطت عن الباقيين ، وعليه جمهور المتقدمين من أصحابه وكثير من الحنفية والمالكية، والمشهور عند الباقيين أنها سنة مؤكدة، وأجابوا عن حديثنا بجملة أجوبة ، لاتسلم من قدح ، أمثلها أن المراد بالصلاة صلاة الجمعة ، واستدلوا لذلك بالتصريح بها في رواية لمسلم ، ولكن جاء التصريح بالعشاء في روايات كثيرة صحيحة ، ومن الأجوبة الأحاديث المفضلة لصلاة الجماعة على صلاة الفرد كحديث : صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذِّ بسبع وعشرين درجة ، وفي رواية : بخمسين وعشرين — رواه البخاري عن أبي هريرة ، فقالوا : إن الأفضلية تقتضي الاشتراك في أصل الفضل ، ومن لازم ذلك الجواز

والحديث يدل على جواز أخذ مقترفي الجرائم على غير لأنه (ص) هم بذلك في الوقت الذي عهد منه فيه الاشتغال بصلاة الجماعة ، فأراد أن يعيظهم في الوقت الذي يتحققون أنه لا يطرقتهم فيه أحد

ويدل أيضاً على تقديم الوعيد والتهديد على العقوبة ، وسر ذلك أن المفسدة إذا ارتفعت بالأهون من الزجر اكتفى به عن الأغلظ من العقوبة

فاحرص أخى على صلاة الجماعة ، ولا تدعها إلا لعذر قوى ، ولا يشغلنك عنها لعبة ، أو أكلة ، ولا تتساهل في حق الله كما لا تصرف في حق نفسك ، وكن لمبيت الله معمرًا ، ولمصاحبة إخوانك راعياً كما راعى رسول الله (ص) مصلحة صحبه ، وحملهم على القيام بالواجب ، ولو ناداك عظيم لبّيت نداءه ، وهرولت نحوه لتنفيذ إشاراته ، فالله يناديك : حى على الصلاة : حى على الفلاح ويثنى لك النداء ، أفلا تجيب نداءه ؟ ألا تهرول إلى الجماعة ؟ ألا تعدو إلى التشرف ببقائه ، والتلذذ بمناجاته في ذلك الجمع العظيم ، من أولى النفوس الطاهرة ، أكبر ظنى أنك تجيب ، وكيف ؟ وأنت الفطن اللبيب

الحديث ٢٣

في معاونة الاخوان في الدين

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ — أخرجه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ،

والترمذي وقال : حسن صحيح

اللفظة : يقال : أسلم فلان فلاناً إذا ألقاه الى الهلكة ، ولم يحجبه من عدوه ، وهو عام في كل من أسلمته إلى شيء . لكن غلب على الالتقاء في الهلكة ، والكربة النعم الذي يأخذ بالنفس ، وتفريجها كشفها وإزالتها .

الشرح : المراد بأخوة المسلم للمسلم توثق العلاقة بينهما كتوثقها بين إخوة النسب توثقاً يترتب عليه المحبة والمودة ، والمواساة والنصرة ، وجلب كل خير ، ودفع كل ضرر ، ومن مقتضى الأخوة أنه لا يظلمه ولا يُسلمه ، وظلمه انتقاص حقه في نفسه أو ماله أو عرضه ، طيباً أو فاسقاً ، فالظلم باطلاقه محرم ، وقد نهى عنه القرآن في مواضع كثيرة ، وفيه يقول الرسول (ص) الظلم ظلمات يوم القيامة — رواه الشيخان — وإسلامه خذلانه وتركه لعدوه ينكّل به ، أو يقضي عليه ، وإذا كان الانسان يحمي أعضائه مما يضرها فليحتم أخاه المسلم الذي اعتبره الشارع كعضو منه ، فلينصره ظالماً أو مظلوماً ، ونصره ظالماً ممنعه من ظلمه ، وقوله : ومن كان في حاجة أخيه الخ حدث على السعي في مصالح الناس سواء كانت مصالح

مالية ، أو علمية ، أو أدبية ، وقد دلت هذه العبارة على أن الوقت الذي ينفقه الانسان في قضاء مصالح غيره لا يضيع عليه ، بل التقدير العليم الذي بيده خزائن السموات والأرض يسعى في قضاء حاجاته ، فهو إن بذل للانسان قليلا نال به من الله خيراً كثيراً ، فليستعن المرء على قضاء حاجه بقضاء حاجات الناس ، وهذا المعنى يدخل في عموم قوله تعالى : « إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ » وكذلك ما بعده ، وقوله « ومن فرج عن مسلم كربة الخ حوض على السعى في دفع البلايل تحمل بالمسلمين في الحياة الدنيا ، فمن أصابته مسغبة بذلت له من مالك أو حثت الأغنياء على معونته ، ومن بلى بالعطلة سعت له في عمل ، ومن حاق به ظلم ظالم رفعت عنه الظلم ما وجدت لذلك سبيلا ، ومن اتابه مرض داويته ، أو أحضرت له طبيباً ، وعلى الجملة تسعى لآخوانك في إزالة النوائب أو تخفيفها ، وقد ضمن الله لفاعل ذلك رفع الكرب عنه يوم القيامة ، وكرب يوم القيامة شديدة لا تماثل كرب الدنيا ، فليس لدرئها يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا معونة تقدمها في الدنيا لدوى الحاجة ، وقوله « ومن ستر مسلماً الخ حث على ستر زلات أخيه المسلم إذا اطلع عليها ، وظاهر هذا الاطلاق يشمل كل زلة صغيرة أو كبيرة مما يوجب الحد كسرقه وزنى وشرب خمر أولاً ، فستر الجميع مطلوب ، ولكن للعلماء في ذلك تفصيل فقالوا : إذا رأى الجرم أثناء ارتكابه الجريمة تقدم اليه منكرراً ، ومنعه منها استطاع ، فإن تركه كان آتماً لأنه لم يقم بواجب النهي عن المنكر ، ويعتبر كساعده على الجريمة ، والله يقول « وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنِّمِ وَالْعُدُوَانِ » وإن عرف الجريمة بعد ارتكابها فإن كان مرتكبها من المعروفين بالاجرام وجب عليه تبليغ أولى الأمر « الادارة أو النيابة » ما لم يخش من ذلك مفسدة راجحة لأن الستر في هذه الحال يدعوه إلى التماهي في الاجرام ، ويجرى غيره من أهل الفساد على الطغيان ، وأن لم يُعرف بالاجرام فالستر عليه مستحب ، ويجوز له تبليغ أولى الأمر ، ولا يكون بذلك آتماً ما لم يعلم أنه تاب وأقلع ، فإن التبليغ يحرم عليه ، وقد قالوا : إن جرح الشهود والرواة والأمناء على الأوقاف والصدقات وغير ذلك من باب

نصيحة المسلمين الواجبة على كل من اطلع عليها ، ولا يعتبر ذلك من باب الغيبة ، ولا من قبيل هتكِ العورة ، ومدار البحث في هذا الموضوع أن النهي عن المنكر واجب قولاً وعملاً لمن استطاعه ، فلا يمكن شخصاً من ارتكاب جريمة أو إتمامها إن استطعنا ، وأن العورة أو السيئة إذا كان في الاخبار بها مصلحة للمسلمين أو دفع مضرة عنهم ، وجب التبليغ لمن يملك التأديب ، وإن كان في الاخبار مجرد الفضيحة ولا مصلحة من ورائه فينبغي الستر خصوصاً على الذين لم يُعرفوا بالفساد ، واعلم أن هناك عيوباً خلقية ، مستورة عن عيون الناس ، ويؤلم الشخص أن تعرف عنه ، فالواجب على من اطلع عليها ألا يذيع أمرها ، فإن الاذاعة إيذاء ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

وقد وعد الله ساتر العورات بالستر عليه يوم القيامة ، فلا يفضحه على رؤس الاشهاد ، بل يتجاوز عن سيئاته بما قدم من حسناته ، ولو فسرنا ستر المسلم بسكوته لم نُبعد ، ولكن الأول أظهر

الحديث ٢٤

في نصر الظالم والمظلوم

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا تَنْصُرُهُ مَظْلُومًا ، فَكَيْفَ تَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ فَقَالَ : تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ —

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ

الشرح : الأخوة في الدين رابطة متينة ، وعلاقة وثيقة ، توجب على المرء السعى في خير أخيه ، من طريق المساعدة على الخير ، والمنع من الشر إن أراده ، أو سلك طريقه « وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ

بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ - ترجع - إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝

ولقد أمرنا الرسول (ص) بنصر الأئمة ظلما أو مظلوما ، فالمظلوم في حقه أو ماله يمنع عنه الظلم ، ونرفع الحيف ، بكل مانستطيع من الوسائل ، فان كان الكلام مجديا في ارفعوا الظالم عن ظلمه آثرناه ، وإن كان القضاء هو السبيل لاسترداد الحق الملوب ساعدناه بالمال رسما للقضايا ، وأجرا للمحامين ، ومكافأة للخبراء ، وإن كان لا يرتدع عن بغيه إلا بشكايته على صفحات الجرائد سننا له القلم ، وسودنا له الصحف ، وإن كان غشوما لا تردعه إلا القوة سلطنا سبيلها ، والمضطر يركب الصعب ، والقصد أن تكون يدنا الى يد المظلوم حتى يأخذ حقه ، ويبرد غضبه ، وتطمئن نفسه .

أما نصر الظالم فر بما خلته مساعدته على ظلمه ، أو مجاراته في عدوانه كما كان العرب يصنعون في عهد الجاهلية .

إذا أنا لم أنصر أخى وهو ظالم • على القوم لم أنصر أخى حين يظلم وكما يصنع أولو العصبية والجاهلة ، والمتهالكون في الحزبية ، ينصرون شيعتهم بالحق وبالباطل ، وليس نصر الظالم ذلك ، بل تمنعه من الظلم ، فان أراد استلاب مال أخذت يديه ، وإن أراد اغتصاب حق حلت بينه وبينه ، وإن أراد البطش ببرى ضربت على يده إن كانت يدك أقوى منها ، وتراعى الحكمة في المنع لئلا ينقلب ظلالك ، وقد يكون شديد النكاية ، وأنت ضعيف الرماية ، فان كانت النصيحة رادعة سلك سبيلها ، فان لم تك مجدية فاستعن عليه بمن هو أعلى منه ، بمن يخشى بأسه ، أو يرهب سلطانها ، أو يرجو مصلحة عنده ، فالأولى أن يكون في ذلك رادع فاستعمل معه القوة ما قدرت عليه حتى يعود الى حظيرة الحق ، ويستقيم على النهج ، وإعانة سعى الرسول (ص) ذلك نصرا وإعانة مع أنه معاكسة وعداوة لأن ظلمه إضرار بنفسه في حياته الحاضرة ، يعرضها للعقوبات القصائية ، ويشين سمعتها بين البرية •

ويدنسها بالعيش من الحرام واستمراء الحقوق ، ويعرضها لعقوبة الله في الحياة الآخرة ، بل في الحياة الدنيا « وَلَنذِيقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ » فمن أراد قتل نفس عدوانا وظلما إذا أرخيت له العنان حتى ارتكب هذا الجرم الكبير عرض نفسه للقصاص ، واستلاب الحياة ، فأعقب ذكرى سيئة، وتاريخا أسود ، ورمل زوجته ، ویتيم ولده ، وأساء إلى أسرته ، وكان مثلا سيئا في الباقين ، فاذا منعتة من جرمه ، وضربت بسيفك على يده حفظت له الحياة ، وأبقيت على ذكراه ، وأنجيت أهله وولده ، وحفظت الشرف على أسرته ، فكان ذلك نصرا مؤزرا ، بل كنت له الصديق في ثوب العدو ، والحريص على خيره في لباس الراضب في شره .

فيأياها المسلم لا تجعل للظلم بين المسلمين وجودا ، ولا تر فيه مظلوما ، بل اعمل على تمتع كل امرئ بحقوقه، وطمانينته على شئونه ، وآثر الحق والخير ، وإن أغضبت الجهول ، فانه لك بعد نعم الشكور ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه

الحديث ٢٥

في تعاون المؤمنين

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ، ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ

البيت مكون من جدران اتصل بعضها ببعض ، والجدار مكون من لبنات أو طوب أو حجارة ، وللقطعة منها في الجدار من القوة والمتانة ما ليس لها خارجه ، إذ شددت إلى ماحولها بالشيد ، وكان لها سند من جميع نواحيها ، ولهذا يصعب

تحريكها في جدارها ، بل يصعبُ تكسيرها ، أما خارج الجدار فليس لها مناعة وقوة فكسرها سهل ، ونقلها أسهل ، كذلك الجدار اذا كان قائماً وحده ، عمره قصير تنزله حوامل الأثقال اذا مرت بجانبه ، وتمزه العواصف الشديدة ، أو تطرحه أرضاً فإذا ما اتصل بغيره من طرفيه حتى كانت من الجدر حجرة ، وكان من الحجرات منزل أو عمارة ، رسخ في مكانه ، وصلب في مقامه ، لا تؤثر فيه الحوادث إلا بقدر فالجدار وحده ضعيف ، وبأمثاله قوى شديد ، ذلك مثل المؤمن للمؤمن ، فهو معه كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، فالؤمنون شأنهم التعاون والتناصر ، والتظاهر والتكاتف على مصالحهم الخاصة ، والمصالح العامة « وتعاونوا على البرِّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثمِ والعدوانِ » أما التفريق والتخاذل فلا يعرفه الإيمان ، وليس من الدين في شيء ، فإن كان التعاون كانت القوة للمسلمين ، والشوكة للموحدين ، يستخدمونها في التنكيل بعدوهم ، حتى يستردوا حقوقاً مغصوبة ، وأرضاً منقوصة ، أو يرهبون بها من يحدتهم جسعهم باستلاب ملكهم ، واستعمار بلادهم ، فلا يقدمون على ما عزموا ، وبيتوا ووقدروا ، أو يسخرونها في الانتفاع بخيرات هذا الكون ، وتذليل عناصره ، بعمل الجمعيات ، وإنشاء الشركات ، وإقامة النقابات ، وبقدر ما بين المسلمين في أنحاء الأرض من حسن الصلات ، ووثيق العلاقات تكون قوتهم ، وثبات ملكهم ، وقيامه خالداً ، وإن كثرت الزلازل ، وتوالت العواصف ، وأجمع الأعداء من أمرهم ، وأجلبوا علينا بغيرهم ورجلهم ، وإن كان التخاذل والتدابير والتقاطع وتبديد عرا الاخوان ، وانصراف كل الى نفسه وهواه وشهوته — كان الضعف والانحطاط ، والفشل والخور ، فصيحة من عدونا ، وإبراق وإرعاد، يزلزل ملكنا ، ويذهب بوجدنا ، ويجعلنا أذلاء في ديارنا ، بل ضعفاء في ديننا — فلا دنيا حصلنا ولا دنيا أقمنا ، ولا ثواباً آجلاً ضمنا ، فخرنا الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين ، والذئب إنما يأكل من الغنم القاصية التي تركت جماعتها ، واستقلت عن قصيلتها ، ولقد مثل الرسول (ص) أمجاد المسلمين ومعونة بعضهم لبعض بالتشبيك بين أصابعه ، وإدخال بعضها في خلال بعض ، ولا شك أن ذلك يزيد في متانة كل

إصبع ، ويعطى كل يد قوة إلى قوتها ، كذلك المسلمون إذا تضامت أيديهم ، وتظاهرت قواهم ، وتحابت نفوسهم ، وتساندت أممهم ، زادوا قوة ، وخلقوا لهم عزة ، فدانت الأمم لسلطانهم ، وخضعت لأمرهم « وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ »
 فيأيها المسلمون ذلكم رسولكم ، وأسوتكم وإمامكم ، يرشدكم إلى سلاح ماضٍ وجيش غلاب ، وعدة عتيقة ، تنفعكم في البأساء والضراء ، وتدفع عنكم الأعداء ، وتزيل عنكم الاستعباد ، وترد إليكم العزة الماضية ، والكرامة الراحلة ، وتبوثكم المكانة العالية . ذلكم هو سلاح الائتلاف ، والاتحاد والوفاق ، سلاح ضم اليد إلى اليد ، ومعونة الأخ للأخ ، وترك النزاع جانباً ، والعداء ظهرياً ، فاستمعوا لإرشاده ، واعملوا بنصحه فإنه من يطع الرسول أطاع الله ، ومن يعصه عصاه ، وإذ كروا قوله تعالى « وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَإِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ، فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا » وقوله « وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ، وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ »

الحديث ٢٦

في دعوة المظلوم

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ ، فَقَالَ : اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهَا لَيْسَ يَنْبَغُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ — رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

اللفظ : الاتقاء الخذر ، وأصله اتخاذ الوقاية مما يضر ، والحجاب الحاجز المانع حسياً أو معنوياً ، وهو في الأصل مصدر حَجَبَهُ يُحَجِّبُهُ حَجْبًا وَحِجَابًا إِذَا مَنَعَهُ وَسَتَرَهُ .
 الشرح : هذا الحديث قطعة من وصية وصى بها رسول الله (ص) مُعَاذَ ابن جبل حين بعثه إلى اليمن سنة عشر قاضياً عليها ، أو والياً قال له : إنك ستأتي قوماً ،

أهل كتاب ، فإذا جئهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة ، تؤخذ من أغنيائهم ، فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم — نفائسها — واتق دعوة المظلوم . . . الخ

دعوة المظلوم على ظلمه دعوة حقّة ، وإنها لا تنتصر من ظلمه « وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ » وهي دعوة حارة سخنت من نار الغضب صادرة من أعماق النفس ، فكانت في السماء متصعدة ، شأن الهواء إذا سخن ، بعيدة المدى ، شأن القنبلة إذا أطلقت من مدفع بعيد الغور ، فما تزال تشق أجواز الفضاء ، لا يحجبها حاجب ، ولا يردها صاد ، حتى تصل إلى السماء ، فتخترق طبقاتها ، وتنفذ من بنائها ، فيتقبلها ربها ، برداً وسلاماً لمن دعا ، ونارا وجحماً لمن ظلّمه ، وكان الرسول (ص) استنبط هذا المعنى من قوله تعالى « لا يُحِبُّ اللهُ الْجُهْرَ بالسُّوءِ مِنْ التَّوَلَّى إِلَّا مَنْ ظَلِمَ ، وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً » فالدعوة مشروعة بقوله « إِلَّا مَنْ ظَلِمَ » ومقبولة مسموعة بتعقيب الاستثناء بقوله « وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً » وقد جاء في حديث رواه أحمد بسند حسن ، قبول دعوة المظلوم وإن كان فاجراً ، وأن فجوره على نفسه ، لا يقف دون دعوته ، وجاء في الحديث الصحيح أن إجابة الدعاء على ثلاث مراتب . إما أن يجاب الداعي إلى ما طلب ، وإما أن يدخر له أفضل منه وإما أن يدفع عنه من السوء مثله ، فلا تعجب إذا لم تجب إلى عين ما طلبت ، وقد ظلمت فإن الله عليم حكيم قد تقتضى حكمته عدم الإجابة إلى ما سألت « وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ »

وقد حذر الرسول (ص) واليه وعامله ، وبعيته وقاضيه ، من دعوة المظلوم ، وأمره أن يتخذ من دونها وقاية ، وما اتقاؤها إلا بتجنب أسبابها ، فلا يظلم أحداً من تحت ولايته في نفسه بإذناء ، أو في ماله بانتقاص ، كأن يأخذ في الزكاة كرائم أمواله ، ونجائبه

حيوانه ، دون الوسط من ذلك ، فيوغر صدره ، ويسن لسانه ، ويبعث بدعوة المظلوم من قلبه ، ولا يجابى في عمله الأغنياء ، ويعرض عن الفقراء ، ولا يعفو عن ظلم مكانة أو وجاهة ، ولا يقبل رشوة أو شفاعة في باطل ، وان كان قاضيا تجنب المحاباة ، ووزع المساواة ، وأخذ للضعيف من القوى ، وتمجرى الحق في قضائه ، والعدل في أحكامه — إلى غير ذلك من آداب الولاية والقضاة ، فليكن قاضي الجنة ، والامام العادل الذي يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله

فيأبها القضاة والولاية ، ويأبها الحكام والرعاة ، خولكم الله رعية ، وجعل تحت أيديكم حقوقا وأمانات ، فاتقوا الله فيها ، وأدوا الأمانات لأهلها ، ولا تنقصوا أحدا حقه ، ولا تبخسوا عاملا عمله ، ولا تسلبوا مجداً أملة « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا » واعلموا أن من ظلمت أو خذلت فأنه ناصره ومعينه ، ووليه وكفيله ، وإنه لتقبل دعوته ، ومستمع شكايته ، ومنتم من ظلمه ، وأخذله منه حقه ، فاتقوا الدين ، واحذروا النكال « وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ »

الحديث ٢٧

في اغتصاب الأراضى

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ — رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ
اللفظ : القيد — بكسر القاف — القدر كالتقاد والقيس والقاس ، فكلها بمعنى

واحد ، والتطويق وضع الطوق في العنق ، ويقال للتكليف ، والالزام

الشرح : هذا الحديث روى عن عبد الله بن عمر أيضا بلفظ : من أخذ شيئا

من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين ، وكذلك روى عن سعيد بن زيد في قصة حكاها مسلم : قال سعيد : إن أروى خاصمته في بعض داره ، فقال : دعوها وإياها ، فإني سمعت رسول الله (ص) يقول : من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه طوقه في سبع أرضين يوم القيامة ، اللهم إن كانت كاذبة فأعمر بصرها ، وأجعل قبرها في دارها ، قال : فرأيتها عمياء تلتمس الجذر تقول : أصابني دعوة سعيد بن زيد ، فبينما هي تمشي في الدار مرت على بئر في البارة فوقت فيها ، فكانت قبرها

الظلم حرام قليله وكثيره ، وسرقة الأرض وغصبها باب من أبواب الظلم ، شبرا كان المأخوذ أو ذراعاً ، قصبة كان أو فداناً ، ملكاً للأفراد أو من المنافع العامة لما رواه أبو يعلى باسناد حسن عن الحكم بن الحرث أن رسول الله (ص) قال : من أخذ من طريق المسلمين شبرا جاء يوم القيامة يحمله من سبع أرضين ، فالذين يأكلون من الطرق الخاصة أو العامة في المباني أو المزارع أو يأخذون من جور السكك الحديدية أو من شواطئ الأنهار والترع كل أولئك ظلمة غصبة ، وكذلك الذين يغيرون معالم الضياع أو أراضي البناء ، ويزحزون حدودها عن أماكنها ليضموا إلى ملكهم من أملاك غيرهم ، وقد بين الرسول (ص) أن من ظلم مقدار شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين ، أى ألزم إثم ذلك ، ولم يكن له مفر من عقابه . فليس معنى التطويق أن يجعل ذلك طوقاً له يوم القيامة يحيط بعنقه ، أو أن يكافئ ثقل تراب ذلك الشبر من سبع أرضين تعديباً له فإن ذلك مر في ذوق اللغة في هذا الموطن وأشباهه ، وإنما القرض لزوم الأثم له لزوم الطوق ، وأخذ العذاب الشديد بخناقه ، وليس العقاب على سطح مأخذه ليزرع فيه أو يبنى عليه فقط ، بل العقاب على ما اغتصبه بالغاً في جوف الأرض وطبقاتها أقصاها ، وهذا يفيد أن السفلى تابع للسطح كما العلو تابع له ، ولذلك استنبط الفقهاء من هذا الحديث أن من ملك ظاهر الأرض ملك باطنها بما فيه من حجارة ثابتة ، وأبنية ومعادن ، وعيون ومنابع ، وغير ذلك ، وله أن ينزل بالحفر ماشاء ما لم يضر بجيرانه ، فإنه لا ضرر في هذا الدين

ولا ضرار ، وله أن يمنع من يريد حفر بئر أو سرداب تحت أرضه لئلا يسير فيه عربات أو قطارات ، وكذلك له منع الأنايب وأسلاك البرق والكهرباء أن تمد تحت ملكه ، والمراد بالأرضين هنا طبقات الأرض السبع التي نبه إليها القرآن « اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ، وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ » ، وليعلم القارى أن الاعتداء على الحدود كثيرا ما سبب مشاكل خطيرة ، وقضايا عدة ، بل كثيرا ما أريقت فيه دماء ، وأنفقت في سبيله خزائن الأموال ، فلو أن الناس عملوا بهذا الحديث ، ووقف كل عند حده ما وقعنا في هذه البلياء ، بل لأرحنا الحكومة ، وخففنا عن مصلحة المساحة ، ولم تنقل عبء المالية بما تنفقه من مئات الآلاف في سبيل إقامة الأعلام الحديدية ، بل كنا نتصد ذلك من هذا الباب ، لينفق في أبواب أخرى كتنبيد الطرق ، وشق الترع ، وإقامة السدود والقناطر ، وغير ذلك مما يساعد على تنمية الثروة ، ويخفف عن الفلاح عبأه

وبعد فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، وفي الدنيا نزاع وعداوة ، ومتلفعة وخسارة والطمع غبه الندم ، فلا بد من نفسك الطاهرة برجسه ، ولا تفسد أرضك بشبهه ، فتنتابها الأمراض الزراعية ، ويرسل الله عليها من جنوده الخفية ، فإذا بالتمر قليل وإذا بالقليل ذاهب البركة ، وقليل في عفة ، خير من كثير في همة

الحديث ٢٨

في أن القضاء لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا سَمِعَتْ خُصُومَةَ بِيَّابِ حُجْرَتِهِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، وَإِنَّهُ يَأْتِينِي النَّخْصُ ، فَلَمَلَّ بِمَضْجِكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ ، فَأَحْسَبُ أَنَّهُ صَادِقٌ ، فَأَقْضِي لَهُ بِذَلِكَ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ ، فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ لِيَتْرُكْهَا — رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ

اللفظة : الخصومة المنازعة والمجادلة، وفي بعض الروايات جلبة خصام ، والجلبية اختلاط الأصوات ، والبشر الخلق يقال للجماعة والواحد ، والخصم المنازع وهو في الأصل اسم مصدر يستوى فيه الواحد والمثنى والجمع ، والمذكر والمؤنث ، ويجوز تثنيته وجمعه ، وأبلغ أكثر بلاغة ، وللمتقدمين في بيان البلاغة عبارات مختلفة ، وقيل : هي أن يبلغ المرء بعبارة لسانه كنه ما في قلبه ، وقيل إيصال المعنى إلى الغير بأحسن لفظ ، وقيل : قليل لا يبههم وكثير لا يسأم ، وقيل : إجمال اللفظ واتساع المعنى . وقيل : حسن الإيجاز مع إصابة المعنى ، وقيل الإيجاز من غير عجز ، والأطناب من غير خطأ ، وقيل النطق في موضعه ، والسكوت في موضعه ، وقيل غير ذلك وأنسب المعاني بحديثنا أولها ، أما المتأخرون فعرفوها بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ، وأحسب أظن ، وهذا وقد جاء في رواية للشيخين : ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، أى أعرف بالحجة وأفطن لها من غيره ، وأصل اللحن الميل عن جهة الاستقامة يقال : لحن فلان في كلامه إذا مال عن صحيح المنطق ، وجاء في رواية لأبي داود زيادة : فبكي الرجلان وقال كل منهما : حتى لك ، فقال لها النبي (ص) أما إذا فعلتما فاقسما ، وتوخيا الحق ، ثم استهما ، ثم تحاللا

الشرح : كان لأزواج الرسول (ص) حجرات بجوار مسجده المعروف ، ومن بينها حجرة أم سلمة ، فبينما النبي (ص) في حجرتها إذ سمع بيابها نزاعا ومحاوره ، وخصاما ومجادلة ، ارتفعت فيها الأصوات ، واختلط بعضها ببعض ، وكان ذلك على إرث قديم كما صرح بذلك في رواية ، فخرج إلى الخصوم رسول الله (ص) وقدم لهم هذه العظة البالغة ، قبل أن يقضى في الشجار ، ويفصل في النزاع ، فقال لهم : إنما أنا بشر مثلكم ، أمثالاً لا مرر به « قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا »

فلا علم لي بالغيب ولا ببواطن الأمور كما يزعم الجاهلون إلا ما يوحى إلى ربي من آي القرآن وأمور التشريع ، أما الوقوف على دخائل النفوس وخفايا الأمور فأنا وسائر الناس فيه سواء ، فلنا ما ظهر وإلى الله ما بطن ، فإذا حضر مجلسي الخصوم لأفصل

بينهم في نزاع قائم فر بما كان بعضهم أشد بيانا من بعض ، وأقوى تأثيراً ، وأقوم قيلاً ، وأقدر على صوغ الحجج ، وتوضيح المشتبه ، وإجلاء الغامض ، لدرابة لسان وقوة بيان ، وطول مران ، ووحدة ذهن ، وسرعة بديهة ، والآخر دونه في ذلك ، فلا يحسن البيان والخصام ، والحوار والدفاع ، وقد يكون الحق في جانبه ، والصدق في قوله ، ولكن عيه وضعفه ستر معالم حقه ، وبيان الأول و بلاغته جلي دعواه ، وألبسها ثوب الحقيقة وقد تكون دعوى باطلة ، وقضية مزورة ، فيغلب على ظني ، ويقع في نفسى صدق من علا بيانه ، وقوى حجاجه ، وهو في الباطن كاذب ، فأقضى له بما ادعى ، فمن قضيت له بحق أخيه في الانسانية مسلماً أو ذمياً ، معاهداً أو حربياً — فذكر المسلم من باب التهبيج لالتزام الحق — فانما أقضى له بقطعة من نار إذ كان في الواقع حق غيره لاحقه ، فهو معذب به للاحالة ، فان رآه الآن مالا ونفعا فسيراه في الآخرة ناراً ولهباً ، فان شاء فليأخذ ما حكمت له به ، وإن شاء فليترك ، فان أخذ فالنار موعده ، وإن ترك فلعل الله مسامحه فالأمر هنا للتهديد مثله في قوله تعالى « وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ »

والحديث كما ترى أصل كبير في المحاماة والقضاء ، ونبين لك المهم من أحكامه :
 (١) المحاماة عن الباطل إثم كبير ، وفي ذلك يقول القرآن « وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنفُسُهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَأَيُّبٌ مِّنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً » فان انضم إلى ذلك استخدام القوة الخطائية ، والمواهب النفسية ، في إظهار الحق في معرض الباطل ، ورسم الباطل في مظهر الحق كان الإثم أشد ، والجرم أكبر ، أما أن تستخدم البلاغة ، وقوة العارضة في نصره الحق ، وإزهاق الباطل ، في عبارة سياجها الأدب ، منزهة عن التشهير بالخصم ، والنلم للعرض ، فذلك مالا حرج عليك فيه ، بل لك من الله أجر الدفاع ، وثواب الاقناع ، وإذا كان قضاء الحاكم بالباطل لا يحل حراماً ، ولا يحرم حلالاً فبأى وجه يستحل المحامون أجر الدفاع عن الباطل إذا وقفوا على الحقيقة قبل التوكيل

أو في أثناء الزنافة . ليعلموا أن الحياة الدنيا متناع ، وأن ما عند الله خير وأبقى ، وأنه لا يبقى على الحرام ملك ، ولا يضيع عند الله حريص على حق ، (٢) من ادعى حقاً أمام القاضى ، وعجز عن إثباته ، وطلب يمين المدعى عليه فخلف ، فبرأه القاضى — وهو فى الحقيقة مدين — لم يبرأ عند الله ولم يحل له بذلك حق أخيه ، فلو تمكن المدعى من إثبات دعواه بعد وجب على القاضى الاستماع لبينته ، ونقض الحكم الأول ، فان الحق قديم ، والرجوع إلى الحق خير من التمدى فى الباطل ، وكذلك لو ادعى إنسان على آخر مالا ، أو ادعى زوجية امرأة . لم ترض به زوجاً ، أو ادعى على رجل تطليقه لزوجته ، وأقام البينة على ذلك ، وكانت فى الظاهر بينة عادلة ، فحكم بها القاضى ، وهى فى الواقع كاذبة مزورة ، لم يحل له المال ، ولم يكن له حقوق الأزواج ، ولم تحرم المدعى طلاقها على زوجها ، بل المدعى مؤاخذ بعلمه ، ومعاقب على كذبه ، ولا يرفع عنه حكم القاضى الذى أداه اليه اجتهاده

(٣) يدل الحديث على أن الرسول (ص) قد يخالف قضاؤه الواقع ، وليس ذلك بمناف لمقام النبوة ، ومبدأ العصمة ، فإن ذلك فى المبادئ التشريعية ، والأحكام الدينية ، التى هى قانون عام للناس يرجعون إليه فى كل العصور ، فهذه لا يخفى . فيها ، وإن أخطأ — بأبى هو وأمى — على رأى من يرى له الاجتهاد فى سن الأحكام الشرعية نزل عليه وحى الله بالصواب ، إذ هو أسوة للناس وقدوة ، فلا يقر على الأخطاء ، وإن كانت من غير قصد ، أما الأحكام القضائية فقد يكون فيها الخطأ ، لا فى مبادئها ، ولكن فى طرقها ، فقد يحكم بينة يراها عادلة ، والواقع أنها فاسقة ، وقد يحكم بينين خالفاً صادقة وهى غموس كاذبة ، وقد يحسن أحد الخصمين الدفاع والبيان ، فيحسب الحق فى جانبه ، فيحكم له والحق لصاحبه ، فمثل هذا القضاء يجوز من الرسول (ص) كما يجوز من غيره ، والقضاء ينفذ فيه ظاهراً لا باطناً ، فلا يحرم حلالاً ، ولا يحل حراماً ، فان كان القضاء طبق الواقع نفذ ظاهراً وباطناً .

فأيها المسلم لاتسلك الى الباطل الحيل ، ولا تأكل الاثم وإن قضت به لك الحاكم ، أو عجز صاحب الحق عن رفع دعواه لفقده الرسوم ، أو لأنه يخشى بأسك وسطانك ، أو لأنه نعوزه البينة والدليل ، واجعل لملك قيمة فاعمل به ، وإن خالفه القضاء ، واعلم أن الله رقيب عليك ، يعلم سررك وجهرك ، وباطلك وحقك ، وهو أولى بالخشية ، وأجدر بالرعاية « وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ »
وأما أنت أيها القاضى فليكن لك فى رسول الله (ص) أسوة حسنة ، فاذا تقدم اليك الخصوم ، وقد جد بينهم النزاع فتقدم اليهم بالموعظة الحسنة ، والمقالة المؤثرة ، عسى أن يرجعوا عن خصامهم ، ويعترفوا بالحق ، فيعودوا من مجلسك إخوانا متصافين ، ولنصحك شاكرين

الحديث ٢٩

فى حقوق الطريق

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **إِيَّاكُمْ وَالْجُلُومَ عَلَى الطَّرِيقَاتِ** - فى رواية بالطرقات - **فَقَالُوا: مَا لَنَا بَدُّ إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا.** قَالَ: **فَإِذَا أَيُّكُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا.** قَالُوا: **وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟** قَالَ: **غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ** - رواه البخارى ومسلم وأبو داود

اللغة: إياكم كلمة تستعمل للتحذير ، والطرقات جمع طرق ، وهذه واحدها طريق ، فالطرقات جمع الجمع ، والبسطة المناس والمهرب والعوض ، والاباء الامتناع ،

والغض النقصان من الطَّرْف والصوت وما في الاناء يقال : غض وأغض ، والكف المنع ، هدا وقد جاء في روايات أخرى : حسن الكلام ، وهداية الضال ، وتسميت العاطس إذا حِد ، وإغاثة الملهوف ، وإعانة المظلوم ، والمساعدة على الجولة ، وذكر الله كثيرا ، فتلك سبع إلى خمس

الشرح : نهى رسول الله (ص) صحبه عن الجلوس على الطرقات ، على المساطب أو الأرائك ، أو الكراسى ، أو على الأرض بجانب الحوائط مفروشة وغير مفروشة ، فقالوا للرسول (ص) : مالنا يد منها ، ولا غنى لنا عنها ، لأنها مجتمعاتنا وأنديتنا ، التي نتحدث فيها بثنونا ، ونتذاكر في مصالحننا ، في ديانا وديننا ، ونروح عن نفوسنا ، ويسررى بعضنا عن بعض مما ألم بنا ، فتركها يشق علينا ، وكأنهم فهموا أن النهى للتنزيه ، ولا يراد به التحريم ، لأنهم لم يمهّدوا من الرسول (ص) تحريم نافع ، ولا إباحة ضار ، أو أن النهى لمعنى متصل بالمجالس ، لا لنفسها وذاتها ، وقد يكون في إمكانهم مجانبة المعنى الذى من أجله كان النهى ، ولذلك راجعوا الرسول (ص) ذاكرين أنها مجالس محادثة ومذاكرة ، ومؤانسة ومجاملة ، فلم ينهون عنها؟ ولو علموا أن النهى عزمة من العزمات ماراجعوه ، ولكانوا أول من يمتثل ، كما عهدناهم في مواطن كثيرة ، ينفذون بمجرد الإشارة ، فما بالك بصريح العبارة ، ولقد أجاهم الرسول (ص) بما يدل على أن النهى ليس لذات المجالس وإنما هو من أجل حقوق الطريق ، التي يتعرض لها المجالس ، وقد يقصّر فيها ، فيبوء بأثمها ، فقال لهم : إذا أيتّم إلا المجالس ، ورغبتم عن غيرها اليها ، تجلسون فيها وتتسامرون فأعطوا الطريق حقها ، فسألوه عن حقها ، شأنهم في استبانة القامض ، واستفصال الحمل ، حين لهم حقوقها

فأولها عص البصر ، فإن أرسلته لتعرف سائر ، أو تمتع بمنظر فأتين ، من خضرة باصرة ، ومياه حارية ، وسماء صافية ، وصور متحركة - فلا ترسله إلى السيدات ، والفتيات المارات ، مسعيا بجرائم الشهوة ، محملا ببواعث الفتنة ، فان ذلك الذى

حرم القرآن بقوله « قُلْ لِلَّذِينَ يَفُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ » وإذا كان النظر اليهن محرما فما بالك بمن يلفظ بالهتات ، ويقول المفظعات ، ويرمى المحصنات الغافلات ؟ إن وزره لكبير ، وإيمه عند الله عظيم ، وكما تحرم عليك النظرة المسمومة للسائرات كذلك تحرم للاتى يطلن من خدورهن ، ويبرزن من فتحات دورهن ، لقضاء مصلحة ، ولترويح نفس ضائعة ، كذلك لاترسل البصر ساخرا بالناس ، أو حاسدا أو زاريا أو غاضبا ، بل كف منه ، وأرسل منه ، فكفه عن الحرام ، وأرسله في الحلال وثانيتها كف الأذى ، فلا تؤذ سائرا بلسانك أو يدك ، قشتمه أو تسبه ، أو تنهال عليه ضرا باليد أو العصا من غير ماجرم اجترمه ، ولا ذنب اقترفه ، ومن الإيذاء سلبه شيئا مما يحمله من غير أن تطيب به نفسه ، أو إراقة الماء في طريقه حتى تنزل به الأقدام ، أو وضع عقبات في الطريق يعثر فيها المشاة ، أو إلقاء قاذورات ، أو إشواك تضر بالسابلة ، أو تضيقه الطريق بمجلسه ، أو قعوده حيث يتأذى الجيران فيكشف نساءهم ، ويقيد عليهم حريتهم ، كل ذلك وأضرابه مما يجب كفه ، والعمل على إبعاد المارة منه

وثالثها رد السلام ، فإن ذلك فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، وإنه رسول الألفة ، وداعية المحبة ، ولا تسأم كثرتة من المارين ، فإن كلا يتجنب به اليك ، ويحميك ويكرمك ، أفلا تجيب التحية بمثلها أو خير منها ؟ أفلا تود من وادك ، وتكرم من كرمك ؟ ذلك خلق الكريم أفلا تكونه ؟

ورابعها وخامسها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإن ذلك لواجب مقدس للمسلم على أخيه المسلم ، فإذا رأيت عربة ذا حمل ثقيل ، ناء بجرها البهيم ، أو رأيت حيوانا حمل فوق طاقته فإنه عن هذا المنكر ، ومر السائق بالتخفيف ، وإذا رأيت سائرين يتسابان أو يتقاتلان فرهما بالكف ، وإذا رأيت شاياعا كس فتاه وعتبرضا في طريقها فانصح له بالاستقامة ، فإن أبى الا بالرفع أو بالأخذ الى القسم فافعل ما استطعت في غير تهور ولا إضرار بك ، وإن رأيت من يبخص الكيل ، ويطفف الميزان فره بالعدل أو سلمه الى الشرطي ، وإن رأيت من يعيث بحديقة الحار أو ببعض

حاجاته فخل بينه وبين العيب ، وإن رأيت من يبيع طعاما عفنا ، أو شرابا أسنا فاضرب على يده — الى غير ذلك مما يقترفه المارة ، ويحترمه الباعة .
أما سماع الروايات الأخرى فأولها حسن الكلام ، فإن سألك طارق في بعض شئونه فأرهف له أذنك ، وأجبه بعبارة جشوها الأدب ، وأرشده بهوادة ولطف ، ولا تنقله بالخسونة وتجاوبه بالفظاظة ، ولا ترفع من صوتك مع جلسائك ، ولا تهزأ ، ولا تقل هجرا ولا فحشا ، ولا تهوش على جيرائك ، فتؤذيهم في بيوتهم ، أو تفضهم في مضاجعهم ، وثانيها هداية الضال ، فمن استهداك الطريق فاهده ، ومن رأيت ضل الحجة فأقه على صراطها ، وإن رأيت كيفيا فخذ بيده أو وصله الى مقصده ، وثالثها تسميت العاطس فإذا حمد مولاه فقل له: يرحمك الله تدعوه بالرحمة والمغفرة ، فتجلب من وده ، وتزيد في أنه ، فتسميته الدعاء له وكل داع مجير فهو مشمت ، ورابعها إغاثة الملهوف ، وقد قدمنا القول فيه في الحديث العاشر ، وخامسها إغاثة المظلوم ، فتأخذ بيده حتى يصل الى حقه وسادسها إغاثة المحولة فإن رأيت حيوانا زل بحمله ، أو فرسا عثر في عدوه ، أو عرابة انقلبت ، أو سيارة وقفت ، أو فرغ منها الوقود فخذ بيد الكأبي حتى يرجع سيرته الأولى ، فإن زل انسان حاملا أو شاغرا فهو أولى بالمعونة ، وسابعها ذكر الله كثيرا حتى يكون لك منه باعث على الخيرات ، ومبغض في السيئات ، ومرغب على القيام بحق الطرقات

فتلك ثنتا عشرة خصلة هي حقوق الطريق التي يطالب بها كل جالس فيه ، بل يطالب بها من أطل من شرفات منزله ، ومن جلس في طنوفه ، ومن جثم في متجره أو مصنعه بحيث يرى السابلة ، والساكنون تجاهك في الطبقات العلوية أو السفلية أولى بمراعاة الأدب ، وتجنب الضرر ، وللجار من الحقوق أضعاف ما للسالك وقد استدل بالحديث من قال: إن ما نهى عنه الشارع سدا للذريعة يجوز للمرء فعله إذا أمر شره ، وجانب ضره ، وإن كان الأولى تركه ابتعادا عن بواعث الفتنة ، ونأيا عن المذلة ، وذلك أن الرسول (ص) نهى عن الجلوس أو لاحتام اللماذة فلما بوا إلا الجلوس بين لهم مواضع الخطر ، فإن تجنبوها فلا عليهم إن جلسوا ، واستدل

به على أن دفع المفسد مقدم على جاب المصالح إذ نهام الرسول (ص) اتقاء لأخطار
وإن كان في الجلوس شتى المنافع

فيأبها الأبخ إن آنت في نفسك القيام بالواجبات ، فلا عليك أن تجلس في
الطرقات ، على المقهى ، أو أمام المسكن ، أو دون المتجر ، تستشق الهواء ، وتستدنى
بالشمس ، أو ترتاد غير ذلك من المصالح ، وإن خشيت عدوان نفسك عليك ،
ومغالبتها لك ، وطغيان شهوتك على عقلك ، وشيطانك على ملكك فدعها الى
داخل منزلك ، أو الى السير في الهواء الطلق ، أو الجو الدافئ تسلم من المعاطب ،
وتفر بطيب الرغائب .

الحديث ٣٠

في إكرام المالك والخدم

عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُؤَيْدٍ قَالَ : رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ وَعَلَيْهِ حَلَّةٌ ، وَعَلَى غُلَامِهِ حَلَّةٌ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنِّي
سَأَيْتُ رَجُلًا ، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعِيرْتَهُ بِأُمَّه ؟ إِنَّكَ أَمَرُؤُوفِيكَ جَاهِلِيَّةٌ ، ثُمَّ قَالَ :
إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوْلَكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ
أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيَلْبَسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلَا
تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ - رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

اللفظ : الحلة الكسوة ولا تسمى بذلك إلا إذا كانت ثوبين من جنس
واحد ، وقد نقل بعض أهل اللغة أن الحلة لا تكون إلا ثوبين جديدين يحملهما من

طيهما فأفاد أنها من الخُل، والنلام الطار الشارب ، وسابته وقع يدي وبينه سباب من السب وهو الشتم الوجيع ، والتعير النسبة الى العار وهو العيب ، وفي بعض الروايات : وكانت أمه أعجمية فملت منها والأعجمي من لا يفصح باللسان العربي أعجمياً كان أو عربياً ، وفي رواية : قلت له : يا ابن السوداء ، والجاهلية الخال التي كان عليها العرب قبل الاسلام وقد شرحناها قبل ، والخول الخدم سموا بذلك لأنهم يتخولون الأمور أي يتعهدونها ويصلحونها ، ومنه الخَوْلَى لمن يقوم باصلاح البستان ، ويقال إن الخول جمع خائل وهو الراعى ، وقد يطلق الخول على الواحد ، والتكليف تحمیل النفس ما فيه كافة ومشقة .

الشرح : المرور بن سويد لقي أبا ذر الرّبذة - موضع بالبادية بينه وبين المدينة ثلاث مراحل - وعليه حلة ، وعلى خادمه مثلها ، فسأله : كيف يُلبس خادمه مثل ما يلبس ، وذلك غير مهود ، فأجابه ببيان السبب ، وأنه حصل بينه وبين شخص سباب ومشاقمة ، وأنه عايره بأمه ، وعابه بها ، وقال له : يا ابن الاعجمية أو يا ابن السوداء ، أو ما شا كل ذلك من الكلمات ، فشكاه الى النبي (ص) فقال له الرسول (ص) أعيرته بأمه؟ منكرأ عليه ذلك إذ الأيم لادخل لها في الخصام ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وقال له : إنك امرؤ فيك جاهلية أي خصلة من خصالها التي قضى عليها الاسلام : أن تعتدى في الخصام ، فتتجاوز الخصم الى أبيه وأمه ، وما لها من ذنب اليك ، ثم أوصاه هذه الوصية القيمة التي رفعت من شأن الخدم الى درجة المخدومين والسادة ، فبين الرسول (ص) أن الخدم والماليك إخوان في الدين أو في الانسانية ، وكان الظاهر أن يقول : خولكم إخوانكم ، ولكن قدم ما أصله التأخيراهما بالاخوة ، وأنه لا ينبغي أن تُنسبها الخدمة ، وهل الخدمة إلا إعانة ، فكيف تجعلها سبب تحقير وإهانة ؟ إن الأخوة وحدها داعية التبرجيل والاكرام ، فكيف اذا انضمت اليها الخدمة ، والمعونة والمساعدة ؟ إن كنت تحسب أنك تطعم الخادم وتسقيه ، وتكسوه وتؤويه ، أو تنقده أجرأ على خدمته ، فلا تنس أنه يقوم لك بأمور ، أنت مضطر اليها في حياتك ، وكثيراً ما تعجز عن معالجتها ،

والقيام بها ، فهو يكمل نقصك ، ويوفر عليك وقتك ، ويحقق غرضك ، وتصور الوقت الذى تفقد فيه الخادم كيف تعتل أمورك ، ويقف دولابك ، ويختل النظام وتتعسر الحاجات ، فالذى يكفيك شئونك ، ويحقق مصالحك جدير بمعونتك ، خليق برعايتك ، فهو لاء الخدم الاخوان جعلهم الله تحت يدك ، وممكنك منهم بالملك أو الأجر ، وصاروا مسخرين لك طواعية واختيارا ، فالواجب عليك العناية بهم ، والاحسان اليهم « وَاَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » فطعمهم من جنس ما تطعم ، فلا تعد لهم طعاما دون طعامك ، ولا عيشا دون عيشك ، وكيف تستمرى ، طعاما يطهوه الخادم ويمده ، وعينه اليه ناظرة ، ويده فيه عاملة ، فتأكله كله ، ولا تبقى له بعضه ، أما تحشى سم عينيه ؟ فان كان طيبخك لحما وأرزاً ، وخبزاً وحبوا فأبق له من كل ، ولا تحرمه من بعض ، وخل عنك الكبر والتعاضم ، فولوا هذا ما طعمت الشهى ، ولا شربت الهنى ، وكذلك تلبسهم مما تلبس ، وإن لم يكن مثيله من كل الوجوه ، فان المدار على المساواة ، وإن كانت بدون المساواة ، وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : اذا أتى أحدكم خادمه بطعامه ، فان لم يجلسه معه فليناوله لقمة أولقمتين ، أو أكلة أو أكلتين فانه ولي علاجه - رواه البخارى - فالغرض أن تكون نفوسهم قانعة ، وبجملهم راضية ، وقد نهانا الرسول (ص) أن نكلفهم من من الأعمال ما يشق عليهم ، ويهدم قوتهم ، أو يستفرغ جهدهم ، بل التكليف بالسهل المستطاع الذى لا يسأه الخادم ، فان كلفناهم بالشاق وجب علينا أن نعينهم بنفوسنا أو بخدم إلى خدمنا ، والحديث نصر للعمال ، وأخذ بيد الخدم والغلمان ، ورفع لستواهم وتنبه لهم الى حقوقهم قبل ساداتهم ، وإرشاد لأرباب البيوت أن يقفوا منهم موقف العدالة ، ولا يتناسوا رابطة الاخوة ، ولا تبادل المنافع ، وفيه النهى عن السباب للخدم وعدم التعرض لأبائهم وأمهاتهم بما يسوءهم ، أو يحط من قدرهم

« وبعد » فهذه اشتراكية الاسلام وهذا موقفه نحو الأرقاء ، وهذا حرصه على

مصلحة العمال ، فهل بعد هذا رقى في دين ؟

الحديث ٣١

في أكبر الكبائر

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ — مَثَلًا — قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ .
عَالَ : الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعَمُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ :
أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ : فَأَزَالَ يُكْرِرُهَا حَتَّى قُلْنَا : لَيْتَهُ سَكَتَ —
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ

اللفظة: نبأه وأنبأه أخبره بهمهم ، ويلي حرف تصديق مثل نعم ، وأكثر
حانتعمل بعد الاستفهام ، والعقوق الإيذاء والعصيان أصله من العق وهو الشق
والقطع ، والزور الباطل وأصله تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل لمن
سمعه أنه بخلاف ماهو به

الشرح : الذنوب درجات ، فما فحش ضرره فكبيره ، وما زاد فحشه فأكبر
الكبائر ، وما قل ضرره فهو الصغيرة ، وكلُّ حرم الله ، ومنع مقارفته ، والرسول
(ص) يعرض على حاضرهم لتحديثهم بأكبر الكبائر ، وفي هذا العرض لفتهم
إلى ما يحدث ، وصرف آذانهم لسماعه ، وقلوبهم لوعيه ، وقد كرر كلمة العرض
ثلاث مرات ، حتى يزدادوا تنبهاً ، ويتوجهوا إليه توجهها ، فقالوا : نعم يا رسول الله
حدثنا بأكبرها ، فحدثهم الرسول بثلاث:

أولها الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، واتخاذ الأنداد والوسطاء ، والأولياء والشفعاء ، ودعاؤهم
في الملمات كما يدعى ، وعبادتهم كما يعبد ، والتقرب اليهم بالقرايين والنذور وضروب
التقديس ، وتلك أكبر جريمة أن تجعل لمن خلقك ندا ، أن تشرك به ما لا يملك
ضرا ولا نفعاً ، ولا حياة ولا موتاً ، أن تشرك به أمواتاً غير أحياء ، عجزة غير

أقوياء ، أن تشكر من لا نعمة له عليك ، ولا يد له واصله اليك ، أن تعبد وهما وخيالاً ، وتدعو أسماء ، أن تنادي من لا يسمع ولا يبصر ، وربك أقرب اليك من جبل الوريد ، قد فتح أبوابه للسائلين ، ووعد بالاجابة للداعين ، فداع الله وحده مخلصاً له الدين ، وصدق بعملك ، قولك لربك « إِيَّاكَ نَعْبُدُ ، وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » واذ كرقوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا » وقوله « وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا نَحَرَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ ، أَوْ تَهَوَّىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ »

وثانيها عقوق الوالدين ، وإيذاؤها بالقول أو العمل ، فسبهما وشتمهما ، بل قول أف لهما عقوق وقطيعة ، وكذلك عصيان أمرها ، والتلكؤ في قضاء شئونها ، ومد اليد بالسوء اليهما ، كل ذلك عقوق ، ونكران للجميل ، نعم إن دعواك إلى الاشرار ، أو عصيان الخلاق فلا تطعما ، وإن وجب عليك البر بهما ، وحسن المصاحبة لها « وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ، وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ » واعلم أن الله تعالى قرن الاحسان اليهما بالقضاء له بتوحيده في العبادة اذ يقول « وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا » وأمرك بالقول الكريم ، والضعف الجميل ، والدعاء لها بالرحمة ، فلا تضع الاساءة موضع الاحسان ، ولا الكفران مكان الشكران ، واعلم أن الله لا ينظر يوم القيامة إلى ثلاثة ، العاق لوالديه ، ومدمن الخمر والمنان - روى ذلك النسائي والحاكم وصححه ابن حبان ، وقد قرر العلماء وجوب طاعتها في المباحات فعلا وتركها ، واستحبابها في المندوبات وفروض الكفاية كذلك ، ولقد استأذن امرؤ رسول الله (ص) في الجهاد فأبى الاذن له إلا بعد استرضاء والديه ، فياك أن تهمل في حق من ربيك صغيراً

وثالثها قول الزور والباطل ، وقد أكبر الرسول (ص) خطره ، وأعظم جرمه ، اذ جلس له بعد اتكائه ، اهتماماً بشأنه ، وصدر قوله بأداة التنبيه ، وكرر كلمته حتى شق على نفسه ، وبدا الغضب في وجهه ، وتمنى أصحابه لو سكنت ، شفقة عليه ، ورحمة

به ، كما كان بهم رء و فاحيا ، وقول الزور قرنه القرآن بالشرك في قوله « فَاجْتَنِبُوا
الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ، وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ » وجاء في ضمن أوصاف عباده
الخبثين قوله « وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ » ، وقول الزور يشمل شهادة الباطل ،
والحكم الجائر ، ورمى الأبرياء بما هم منه براء ، والقول على الله بغير علم ، فكل
ذلك داخل في قول الزور ، هذا وإن شاهد الزور يسئ الى نفسه ، إذ يبيع آخرته
بدنيا غيره ، ويسئ الى من شهد له باعائه على ظله ، وإلى من شهد عليه باضاعة
حقه ، وإلى القاضى باضلاله عن الحجة ، وإلى الأمة بزلزلة الحقوق فيها ، وعدم
الاطمئنان عليها ، ومن الخزي الفاضح أن يكتر بيننا من يشهدون زورا لمجرد صداقة
أو رجا ، أو نظير مبلغ يسير يتقاضونه ، أولئك الذين خربت ذمهم ، وخبثت
نفوسهم ، ولم يخالط الايمان قلوبهم ، أولئك قرناء المشركين ، وإخوان الشياطين .

الحديث ٣٢

في اليمين الفاجرة

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرٍ ، وَفِي رِوَايَةٍ يَمِينٍ كَاذِبَةٍ ،
لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ ، وَفِي
رِوَايَةٍ : فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ « إِنَّ
الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا - إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، فَدَخَلَ
الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ ، فَقَالَ : مَا حَدَّثَكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَقَالُوا :
كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : فِي أَنْزَلْتِ : كَانَ لِي بِرَمِي فِي أَرْضِ ابْنِ عَمِّ لِي ،
فَجَحَدَنِي ، فَقَدَّمْتُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَبْنُتُكَ .

أَوْ يَمِينُهُ ، وَفِي رَوَايَةٍ : فَقَالَ لِي : شَهُودُكَ ، قُلْتُ : مَالِي شُهُودٌ قَالَ : قَيَمِينُهُ ، فَقُلْتُ : إِذَنْ يَحْلِفَ ، وَيَذْهَبَ بِمَالِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ... الخ - رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن وغيرهما بعبارة متقاربة

اللفظ : يمين الصبر هي التي أزم بها صاحبها ، وحبس عليها وكانت لازمة له من جهة الحكم ، والفجور شق ستر الديانة مأخوذ من الفجر وهو شق الشيء شقاً واسعاً ، والاقطاع من القطع وهو الفصل ، وذلك أن الحالف كذباً يقطع المال عن صاحبه ، أو يأخذ قطعة من ماله ، وتبوأ المكان سكنه ونزل به مأخوذ من البؤاء ، وهو استواء المكان وعدم الانخفاض فيه والارتفاع ، يقال بؤأت لفلان مكاناً سويته له فتبؤأه أي أقام فيه ، والآية تقدم شرحها في الحديث ١٦ ، والجحود الإنكار ، والبينة الدلالة الواضحة عقلية كانت أو حسية ، وتقال للشاهدين لأنهما يبينان الحق .

الشرح : عبد الله بن مسعود كان يحدث جماعة بحديث اليمين الكاذبة ، ويذكر الآية التي أنزلها الله من آل عمران تصديقاً للرسول (ص) في حديثه ، فدخل عليهم الأشعث بن قيس ، وسألهم عما يحدثهم به أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود فقالوا : كذا وكذا يعنون حديث اليمين والآية المصدقة له ، فقال : هذه الآية نزلت في ، وذلك أنه كان لي بئر ضمن أرض لابن عم لي ، فجحدني ملكي ، ومنعني حتى ، فاختصمته إلى رسول الله (ص) ورفعت أمره إليه ، فقال : بينتك أو يمينه ، أي لك بينتك تقيمها على صدق دعواك ، أو يمين خصمك إن لم تكن لك بينة ، فإن حلف لم يكن لك عليه طلب ، وإن نكل كان لك ما ادعيت ، فقال : إنه إذا وجهت إليه اليمين حلفها زورا ، ويذهب بمالي ، ويضيع على بئري ، فقال رسول الله (ص) من حلف على يمين صبر . . . الخ أي أنه ان كذب عليك

في اليمين، واقتطع مالك فإن الله يتولى عقابه في الآخرة ، وسوف يعوضك الله من حقتك المال الكثير ، أو الثواب الجزيل ، ذلك ملخص القصة ومعنى الحديث أن من حلف على شيء حلفا كاذبا ألجأته إليه الخصومة ، وحمله عليه الجحود والمكابرة في الحق ، وهو بها يحدث في دينه حدثا ، وفاتق فيه فتقا . وخارج عن الحق خروجا — من حلف هذه اليمين ليسلب بها مال إنسان أو حقه ، ويحول بينه وبينه لقي الله في القيامة وهو عليه غضبان، فينتقم منه على كذبه ، واستيلائه على مال غيره ، بهذه الطريقة الخاطئة ، واليمين الفاجرة ، ويدخله ناره ليتخذ له فيها منزلا ، يصلى سعيره ، ويقاسى جحيمه ، فإن كان الذي اقتطع ماله أخا مسلما كان الجرم أكبر ، والعقاب أعظم ، فإن واجب المسلم نحو المسلم مساعدته على استرداد حقوقه ، واسترجاع ماله ، أما أن يقتطع قطعة من ماله ظلما وعدوانا ويكذب في سبيلها ، ويمتنع اسم الله لسلبها فذلك ما ينافي الإيمان ، وبهذا التحليل عرفت أن ذكر المسلم لا يراد به التخصيص ، وقصر الحكم عليه ، وإباحة أموال غيره ممن لا يدين بدينه ، بل ذكره لتنظيف الجريمة ، وأن أخوة الإسلام تستدعي الصدق ، والتزام الحق ، وكذلك كلمة « يمين » في قوله : من حلف على يمين صبر يراد بها المحلوف عليه وسمى يميننا لتعلقه بها ، أو تقول : على زائدة ، والمعنى من حلف يمين صبر . . .

الكذب في نفسه جريمة لأنه قلب للحقائق ، وتعمية على الناس ، وإضلال لهم عن الحقيقة ، وداعية فقد الثقة في المعاملة والمحادثة ، فإن انضم إليه تأكيد بالأيمن الكاذبة الفاجرة ، التي فيها امتهان أسماء الله المقدسة ، وصفاته العالية كانت الجريمة أكبر ، فاذا أصيف إلى ذلك قطع الحقوق عن أربابها ، والحيولة بينهم وتربك في العقيدة كان الفحش نهاية النهاية ، وأقصى الغاية . فلا تعجب أن يكون العقاب غضب الجبار ، وأن يكون الثبوء النار ، فأياك واليمين الفاجرة ، وإياك ومال أحبك ، واحترم للقضاء مكاتته ، ولبارئك أسماءه وصفاته ، ولا تتعصمها عرضا من

الدنيا ، غناؤه قليل ، وعقباه جسيم ، وقرأ الآية المرة تلو المرة ، وعد بأولها على آخرها وناخرها على أولها لترى عظم الجريمة ، وشدة العقوبة .

وقد استنبط الفقهاء من هذا الحديث أحكاماً كثيرة نذكر لك منها ماصلته

بالحديث ظاهرة

- (١) الأحكام تبني على الظاهر وإن كان المحكوم له مبطلاً في نفس الأمر
- (٢) حكم الحاكم لا يبيح للمرء ما ليس بحلال له ، وقد خالف في ذلك أبو حنيفة وأبو يوسف في مسائل الفروج دون الأموال
- (٣) البينة على المدعى واليمين على من أنكر
- (٤) صاحب اليد أولى بالمدعى فيه
- (٥) يمين المدعى عليه تصرف عنه دعوى المدعى فقط ، ولا تستوجب الحكم له بالمدعى فيه ، فلا يحكم له القاضى بملكيته أو حيازته ، بل يقره على حكم يمينه
- (٦) يمين الفاجر تسقط عنه الدعوى ، ولا يؤثر في اعتبارها فجور
- (٧) من أقام البينة قضى له بحقه من غير طلب يمين منه على صدق بيئته
- (٨) شرح طريقة القضاء ، فالقاضي يسمع الدعوى أولاً من الطالب ، ثم يسأل عنها المطلوب : هل يقر أو ينكر ، فان أنكر طلب من المدعى البينة ، فان لم يقمها وجه اليمين الى المدعى عليه
- (٩) يعظ الحاكم المطلوب اذا هم بالحلف لعنه يرجع الى الحق ان كان مبطلاً ، ويدع اليمين الغموس

الحديث ٣٣

في الوصية بالمال

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمُودُنِي وَأَنَا بِمَكَّةَ ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ يَمُوتَ بِالْأَرْضِ

أَلَّتِي هَاجَرَ مِنْهَا ، قَالَ : يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ عَفْرَاءَ . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِي بِمَالِي كُلِّهِ ؟ قَالَ : لَا ، قُلْتُ : فَالشَّطْرُ ؟ قَالَ : لَا ، قُلْتُ : الشُّلْتُ ؟ قَالَ : فَالشُّلْتُ ، وَالشُّلْتُ كَثِيرٌ ، إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ ، وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ حَتَّى اللُّقْمَةَ تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَكَ ، فَيَنْتَفِعَ بِكَ نَاسٌ ، وَيُضْرِبَكَ آخِرُونَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا ابْنَةٌ — رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنين وغيرهم

اللُّقْمَةُ : الشَّطْرُ النِّصْفُ ، وَالْعَالَةُ جَمْعُ عَائِلٍ وَهُوَ الْفَقِيرُ يُقَالُ : عَالَ الرَّجُلُ يَعْيِلُ عَيْلَةً وَعَيُْولًا إِذَا افْتَقَرَ ، وَتَكَفَّفَ وَاسْتَكْفَفَ بَسَطَ كَفَّهُ لِلسُّؤَالِ ، أَوْ سَأَلَ مَا يَكْفِيهِ عَنِ الْجُوعِ ، أَوْ سَأَلَ كَفَافًا مِنْ طَعَامٍ

السَّرْحُ : لَمَّا كَانَ النَّبِيُّ (ص) بِمَكَّةَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ ذَهَبَ إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ يَعُودُهُ مِنْ مَرَضٍ اشْتَدَّ بِهِ ، حَتَّى أَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ ، وَكَانَ سَعْدٌ يَكْرَهُ أَنْ يَمُوتَ بِالْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ مِنْهَا — فِي الْحَدِيثِ التَّفَاتِ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْغَيْبَةِ كَمَا يَدُلُّ لَذَلِكَ رَوَايَةُ مُسْلِمٍ عَنْ سَعْدٍ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ خَشِيتُ أَنْ أَمُوتَ بِالْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرْتُ مِنْهَا كَمَا مَاتَ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ — لِأَنَّهَا كَانَتْ حِصْنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ آذَوْا الرَّسُولَ (ص) وَأَسْحَابَهُ وَأَخْرَجُوهُمَ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا : رَبَّنَا اللَّهُ ، وَيُودَى أَنْ يَمُوتَ بَدَارَ الْهَجْرَةِ الَّتِي أَعَزَّ اللَّهُ فِيهَا الْإِسْلَامَ ، وَسَكَنَهَا الْمُهَاجِرُونَ الْمُخْلِصُونَ ، الَّذِينَ نَصَرُوا رَسُولَ اللَّهِ (ص) بِكُلِّ مَا اسْتَطَاعُوا حَتَّى ظَهَرَ دِينُ اللَّهِ ، وَصَارَتْ كَلِمَتُهُ حَى الْعَالِيَا ، وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا هِيَ السُّفْلَى ، فَحِينَ أَجَلَ ذَلِكَ رَغِبَ سَعْدٌ عَنْ مَكَّةَ إِلَى طَيْبَةَ ، عَنْ الْأَرْضِ الْمَلُوثَةِ بِالشَّرْكِ وَأَرْجَاسِ الْأَعْدَاءِ ، إِلَى الْأَرْضِ الْمُطَهَّرَةِ

بالتوحيد وأعمال البررة الأتقياء ، ولما سمع الرسول (ص) اسم سعد بن خولة من سعد بن أبي وقاص ترحم عليه ، وكان (ص) بالمؤمنين رءوفا رحيمًا ، فكان يواسيهم ويعطف عليهم في حياتهم ، ويدعو لهم بعد وفاتهم ، وابن خولة هذا من المهاجرين الأولين الذين شهدوا بدرًا ، وقد توفى بمكة في حجة الوداع ، فخشى سعد أن يكون نصيبه نصيب أخيه — فكلمة عفراء في الحديث وهم من الراوى صوابها خولة كما ذلك رواية الزهري — ولقد قال سعد للرسول (ص) لما عاده : إنه قد بلغ بي من الوجع ما ترى ، وأنا ذومال ، أفأوصى بمالى كله ؟ قال : لا ، قال : أفأوصى بالثلثين — جاء ذلك في رواية — قال : لا ، قال : أفأوصى بالنصف ؟ قال : لا ، قال : أفأوصى بالثلث ؟ قال : فالثلث توصى به ، والثلث كثير ، أى أن الأولى النقصان عنه ، ولا يزداد عليه ، ذلك ما يتبادر الى الفهم من هذه العبارة ، ويجوز أن يكون معناها : الثلث كثير في الأجر فهو الأكل ، ثم ذكر الرسول (ص) الحكمة في ترك الوصية بالكثير الى الوصية بالقليل وهي أن ترك الورثة أغنياء ، بما يرثونه عن الآباء خير من تركهم فقراء يمدون أكفهم الى الناس استجداء ، ليضعوا في أيديهم من صدقاتهم ما يدفعون به الجوع ، ويزيلون به ماض الحاجة ، ثم بين الرسول (ص) له أن كل نفقة ينفقها على زوجته أو ولده ، أو أقاربه أو خدمه صدقة ، له ثوابها ، ما دام ينفع بها وجه الله ، ويقصد وقاية هذه النفوس من ذلة المسألة ، وكراب الحاجة ، أو يقصد كف أيديهم عن الحرام ، وتوفيرها على العمل في سبيل الله ، فكل ما أنفق صدقة ، ولو كان قليلا ، حتى اللقمة يرفعها الى فم امرأته — اذا كانت مريضة مثلا ، أو كان يداعيها بذلك ، أو الفرض من رفعها إعدادها للأكل — وإنما ذكر الرسول (ص) ذلك لسعد ليبين له أن إنفاق المال على الأهل والأقرباء طريق الى تكثير الأجر ، فان استقل أجر الوصية بالثلث أو بما دونه فليست بكثرة بالإنفاق ، والأقربون أولى بالمعروف ، فان امتدت به الحياة فليسالك هذا الطريق ، ثم رجاله الرسول ربه أن يرفعه من مرضه ، ويعطيل عمره ، ويعلى من شأنه ، حتى ينتفع به أناس ، ويضر به آخرون ، وقد حقق الله رجاءه لسعد ، فبرىء من مرضه .

وأطال في عمره ، حتى عز به الاسلام ، وذل به خصومه كما ترى بعد ، ولم يكن لسعد ساعة مرض الا ابنة واحدة ، وقد وهب الله له من الذرية بعد برئه بضعة عشر ابنا ، واثننا عشرة بنتا

والحديث يدل على جواز الوصية بالثلث ، وعلى أن الأولى أن ينقص عنه ، واستدل به على منع الوصية بأزيد من الثلث ، قال في الفتح : وقد استقر الاجماع على ذلك لكن اختلف فيمن ليس له وارث خاص ، فذهب الجمهور الى منعه من الزيادة على الثلث ، وجوزه الحنفية وإسحاق وشريك وأحمد في رواية ، وهو قول علي وابن مسعود ، واحتجوا بأن الوصية في القرآن مطلقة ، فقيدتها السنة بمن له وارث ، فبقي من لا وارث له على الاطلاق ، وفي الحديث زيارة الامام للمرضى ، فلا يستنكف الملوك والوزراء والعظماء من زيارتهم ، وإن كانوا من الطبقة الدنيا ، وفيه الفسح للمريض في طول الحياة ، وجواز تحذئه بشدة مرضه ، وزيادة آله ، اذا لم يقترن ذلك بالاعتراض على القدر ، وأن ذلك لا ينافي الصبر على البلاء ، خصوصا اذا كان في ذلك رجاء دعاء ، أو طلب دواء ، وفيه الحث على صلة الرحم ، والاحسان الى الأقارب ، وأن ذلك أولى من صلة الأبعد والانفاق في وجوه البر الأخرى ، وفيه التزام العدالة في الوصية ، ومنع حرمان الورثة ، ولو كانوا بنات كما جرت به عادة الجهلاء ، يكتبون أموالهم لبنينهم ، ويحرمون بناتهم خشية أن تنتقل الثروة لغير الأسرة . وما درى هؤلاء أن المال يرفع من شأن الزوجة لدى زوجها ، ويعظم مكانتها ، ويرغب الخاطبين في الفتيات ، وأن البنات قد ينكبن في أزواجهن الذين يعولونهن ، وقد يدعون لمن ذرية ضعافا ، فاللأعد لمن اذا ترمكن ، بل عدة لمن اذا قل مال الأزواج أو زال ، فالعدالة في العمل على تنفيذ ما أوصانا الله به في أولادنا ، بل في سائر ورثتنا ، وإنك لا تحسن التوزيع في حال الحياة ، فدعه لله بعد الوفاة ، والله يعلم وأتم لاتعلمون

تمتة : سعد بن أبي وقاص هذا الذي رحاله رسول الله (ص) العلو هو صحابي .
جليل هاجر إلى المدينة قبل أن يهاجر إليها رسول الله (ص) وقد شهد بدرًا والمشاهد:

كلها ونشره الرسول بالحنّة ، وأول من رمى في سبيل الله ، وأحد ستة الشورى الذين عينهم عمر للحلافة ، وفارس الاسلام ، وقائد جيوشه في فتح العراق ومدائن كسرى ، وهو الذى خطط أرض الكوفة لقبائل العرب ، ومكث واليا عليها مدة عمر ، وأقره عثمان زمانم عزله ، فعاد إلى المدينة ، وقعد بصره ، وعاش قليلا ، ثم مات في قصره بالعقيق على مقربة من المدينة سنة ٥٥

الحديث ٣٤

في الجرائم الموبقة ، والسبع المهلكة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمَوْبِقَاتِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : الشِّرْكَ بِاللَّهِ ، وَالسَّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ — رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ

اللفظ : الاجتناب الابتعاد وأصله جعل الشئ على جنب ، والموبق المهلك والسحر يطلق عند العرب على كل ما لطف مأخذه ودق وخفي ، يقال سحرت فلانا وسحرتة إذا خدعته واستملته ، وكل من استمال شيئا فقد سحره ، ومنه سحر العيون ، وقول الرسول (ص) إن من البيان لسحرا ، وأصل المادة السحر — بالفتح والتجريك — بمعنى طرف الحلقوم أو الرئة لأنهما باطنان خفيات فأخذ من اسمهما السحر لدقة مسلكه ، وخفاء سببه على أكثر الناس ، ويطلق على ضرب من التحليل لاحقيقة له تخدع به العيون حتى ترى ما ليس واقعا واقعا ، كالذى يعمل المشعوذ يصرف به الأبصار عما يعمله بجمفة يده ، وسرعة حركته ، وإلى ذلك الإشارة بقوله « يُحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنْهَا تَسْعَى » وقد استعان على ذلك باستخدام حواص الأشياء

وطبائعيها التي لا يعرفها العامة كخاصية جذب المغناطيس للحديد ، فهذا الضرب إما حيلة وشعوذة ، وإما صناعة علمية خفية ، يجملها أكثر الناس ، فيسمونها سحرا كالذي حكاه المؤرخون عن سحرة فرعون أنهم استعانوا بالزئبق على إظهار الجبال والمعصى بـ صور الحيات والثعابين ، حتى خيل إلى الناس أنها تسعى ، وقال بعض العلماء إنه يطلق على ضرب ذلك ، يحصل بمعونة الشياطين ، والتقرب اليهم بالمعاصى ، يؤثر في القلوب بنحو الحب والبغض ، وفي الأجسام بنحو الألم والسقم ، وهذا الضرب يحتاج إلى برهان عملي ، قال القرطبي : السحر حيل صناعية يتوصل إليها بالآكتساب غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس ، ومادته الوقوف على خواص الأشياء ، والعلم بوجود تركيبها وأوقاته ، وأكثرها تخيلات بغير حقيقة ، وإلهامات بغير ثبوت ، فيعظم عند من لا يعرف ذلك كما قال الله تعالى عن سحرة فرعون « وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ » مع أن حبالهم وعصيم لم تخرج عن كونها حبالا وعصيا ، ثم قال : والحق أن لبعض أصناف السحر تأثيراً في القلوب كالحب والبغض وإلقاء الخير والشر ، وفي الأبدان بالألم والسقم ، وإنما المنكور أن الجاد ينقلب حيوانا ، أو عكسه بسحر الساحر ونحو ذلك ، والمراد به في الآية الضربان الأخيران أما الأول فإنه السحر الحلال ، والربا في اللغة الزيادة مطلقا ، يقال : ربا يربو ربوا إذا زاد ونما ، وفي اصطلاح الفقهاء : الزيادة على رأس المال من وجه خاص ، والربا المعروف في الجاهلية أن يقول الدائن لمدينه إذا حل الأجل : إما أن تعطى ، وإما أن تربى ، واليتم من الانسان الذي فقد أباه ، ومن الحيوان ما فقد أمه ، والتولى الفرار والهرب ، وأصله إعطاؤك الغير وليك أى ظهرك ، والزحف المشى ، وزحف الجيش مشيه إلى عدوه في ثقل لكثرتة ، وأصل الزحف اللب على المقعدة أو الركبتين قليلا قليلا ، والقذف الرمي ، والمراد به هنا الرمي بالزنى ، والمحصات الطعيفيات اللاتي أحصن نفوسهن من الخنا مأخوذ من الحصن وهو المكان المنيع إذ نفوسهن في حصن من العفاف ، وتقال للحرائر وللمترجات لأن الحرية والزواج (٦ - أدب)

من دواعى العفة ، والابتعاد عن الفاحشة ، والغافلات اللاتي لم تحظر الفاحشة بياهن .
لطهارة قلوبهن ، فهن ساهيات عن المنكر

الشرح : الحسنات درجات ، والسيئات درجات ، فما كان من الحسنات نفعه كبيراً كان ثوابه عند الله عظيماً ، وما كان نفعه دون ذلك كان ثوابه أدنى ، وما كان من السيئات ضرره بليغاً فهو الكبيرة الموبقة ، والفاحشة المهلكة ، وما كان ضرره دون ذلك فهو الصغيرة التي يكفرها مجانبة الكبيرة ، وفي هذا الحديث أمرنا الرسول (ص) باجتنب السبع الموبقات ، وليس الفرض حصر الموبقات في هذه السبع ، بل الفرض التنبيه بها الى أمثالها ، أو ما زاد فحشها عن فحشها ، كالزنى ، والسرقه ، والغلول — الخيانة في الغنيمه — والعقوق ، واليمين الغموس ، والاحاد في الحرم ، وشرب الخمر ، وشهادة الزور ، والنميمه ، ونكث البيعه ، وفراق الجماعة ، وترك التنزه من البول ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمته ، والاضرار في الوصية ، والجمع بين الصلاتين من غير عذر ، فكل هذه من الجرائم المهلكة ، والموبقات المردية ، التي جاء فيها الوعيد الشديد بالعذاب الأليم .
وهناك بيان السبع

فأولها الشرك وهو أكبر الذنوب ، وفيه يقول الله « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » وقد فصلت ذلك في الحديث ٣١ .
ثانيها السحر ، وهو حُوبٌ كبير ، ووزر عظيم ، لأن فيه تلبياً وتعمية ، وستراً للحقائق ، ووضع غشاء على الأبصار ، وإضلالاً للعامة ، وززالاً لعقيدتهم في ترتب المسببات على أسبابها ، والتناجج على مقدماتها ، فان كان من سبله الاتصال بالشياطين ، والتقرب اليهم بالعصيان كانت تلك أضراراً أخرى ، وإن كان منه ما يؤثر في القلوب بالحب والبغض ، وفي الأجسام بالألم والسقم كان أشد فحشاً ، وأعظم ضرراً ، وقد اتفق العلماء على حرمة تعلم السحر وتعليمه وتعاطيه ، وقالوا : إن كان فيه قول أو فعل يقتضى الكفر كان كفراً ، وقال مالك وأحمد وجماعة من

الصحابة والتابعين : تعاطى السحر كفر يوجب القتل ، وكان حرمة التعلم والتعاطي لأن ذلك وسيلة إلى العمل به ، فان كان ذلك مجرد الاحاطة به ، والوقوف عليه وأمين العمل به ، ولم يكن في سبيله اقرار جريمة لم يتجه التحريم ، كمن يتعرف الأديان الباطلة ، وطرق العبادة فيها لا يأنم بذلك ، ولا يخرج من حظيرة الملة ، بل له ثواب إن أراد النهي عنه ، والتحذير منه

وثالثها قتل النفس المحرمة ، وإزهاق الروح الآمنة البريئة ، وإراقة الدماء الطاهرة الزكية ، فتلك جريمة ترفع الأمن ، وتفسد الخوف ، وتفتك بالأمة وتضعفها ، وتقطع روابط الاخاء بينها ، تلك الجريمة المرملة للنساء ، الميتة للأطفال ، الزارعة للآحن والعداوات ، تلك التي يقول الله فيها « مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ ، أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا » تلك التي يقول الله في عذابها « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَلَعَنَهُ ، وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » تلك الجريمة التي لا تحظر بقلب مؤمن ، أو لا تطاوعه نفسه عليها « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً » و قتل النفس يشمل قتل العدوان ، و قتل الأولاد خشية الاملاق ، وواد البنات مخافة العار ، فالنفس الانسانية محترمة الا إن كانت نفا شريرة . مجرمة مفسدة ، فان دواءها إراحة المجتمع منها ، فالقاتل يقتل « وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ » ، والزاني الذي تحت يده امرأة تعفه اذا اتهمك عرض امرأة ، واقترف الفاحشة يرحم ، والتارك لدينه ، المفارق للجماعة ، المحارب لله ورسوله يقتل ، وبعبارة أخرى : لا تزيد نقض المجتمع ، والاعتداء على حياته ، ولكن نقض من نقض بناءه ، وأراق دماءه

ورابعة المواقبات أكل الربا ، وهو ظلم للانسان ، وأكل لماله بالباطل ، ومحاربة لله ورسوله ، وموجب للخلود في النار كما حكى القرآن ، وكيف لا يكون كذلك وأنت تنتهز فرصة الاعسار ، وشدة الفقر ، وخالو اليد ، الذي يوجب عليك الصدقة ،

فتخرج الجنيه بعشرة قروش أو عشرين ، ثم تفعل ذلك كلما حل الأجل حتى يكون الربا أضعافاً مضاعفة ، فتثقل ظهر أخيك ، وتذهب بما قد يكون في يده ، من مال يتسكى ، عليه في الحياة ، أو من بيت يؤويه ، ويؤوى زوجته وبنيه ، وإن الربا لمحة للمال ، ومذهبة للبركة ، ونازع للرحمة ، وموجب للعداء ، وناشر للبسفية التي تهدد أرباب الثراء « يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ، وَيُرِي الصَّدَقَاتِ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ » . ولقد كان من آثاره الوحيدة أن أصبحت ضياعنا الواسعة ، وعماراتنا الشاهقة ملكاً للأجانب ، أو نستغلها لحسابهم ، ليس لنا منها إلا النقاء والنصب ، ولهم منها الثمرة والريح ، أصبحت الأمم مستعمرة لنا اقتصادياً ، وإن ذلك من أخطر الأنواع في الاستثمار ، من أجل هذا كله عدده الرسول (ص) من الموبات ، ولعن آكله وموكله ، وكتبه وشاهده

وخامستها أكل مال اليتيم ، وكان واجباً على الناس أن يكفلوه ، وينموا ماله ويرعوه ، ويساعدوه حتى يبلغ أشده ، ويدرك رشده ، ولكن هناك نفوس خبيثة ، همة شرهة ، تنهز فرصة الصغر والضعف ، فتأكل أموال اليتامى إسرافاً وبداراً أن يكبروا ، وفيهم يقول الله « إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ، وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا » وهل ترضي أخى أن تكون لك ذرية ضعاف تركهم صغاراً ، فيأتى ظلم يقص أجنتهم ، ويحتاج ثروتهم ، إذا كنت تمت ذلك أشد المقت فلماذا لا تمته من نفسك ، لأولاد غيرك « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » « وَلَيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَكَلِمَاتُ اللَّهِ قَوْلًا سَدِيدًا »

وسادستها التولى يوم الزحف ، والفرار من لقاء العدو ، والمهرب من وجه الجيش المهاجم ، والعدو المناجز ، فإن ذلك الجبن ، وإن ذلك إضعاف الشوكة ، والفت في عضد المجاهدين ، وأن في ذلك ضياع البلاد ، وإضعاف الدين ، أو القضاء عليه ، في ذلك تمكين الأعداء من دماننا ونسائنا ، وأولادنا وأموالنا ، في ذلك الاستعباد والاستذلال ، والقضاء على الحريات ، فبيع نفسك لربك ، واشتر بمالك ونفسك جنة

عرضها السموات والأرض ، وما الشجاع إلا من يميت نفسه في سبيل حياة دينه ، وإرضاء ربه ، وإن الموت لا محالة مدرتك ، فليكن في سبيل العزة والكرامة ، ليكن في سبيل الحياة لقومك ، وفي التولى يوم الزحف يقول الله « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ، وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ ، أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ قَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ »

وخاتمة السبع قذف المحصنات ، الغافلات المؤمنات ، وكيف لا يكون جريمة منكورة ، وإفكاً إذاً أن تعد إلى امرأة متمتعة بالحصانة ، بعيدة عن الريبة ، لا تحظر بقلبها الفاحشة ، ولا تتحدث بها نفسها الطيبة ، تعد إلى هذه الحرة العفيفة ، التي ملئ قلبها بالايمان ، فلم يكن فيه موضع لنية خبيثة ، ورطب لسانها بذكر الرحمن ، فلم ينطق بالزور ، ولم يتحرك بالخنا ، وصرفت كل جوارحها في العمل الصالح ، وكل وقها في تدبير بيتها ، وتربية ولدها ، وتطهير نفسها ، من يرم هذه بالفاحشة ويقذف الطهارة بالقذارة ، والعفة بالمهارة ، والطيب بالخبث — فجزاؤه ما قال الله « وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ، ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ مِائَتًا نَجْدَةً ، وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » « إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » « إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تُشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »

فياها المسلم لاتدنس نفسك بهذه الموبقات ، فتوحب لها مقت الله ومقت الناس وتعرضها لشديد العذاب في الدنيا والآخرة ، بل اجعلها الطاهرة الائمة ، الطيبة المهذبة ، التي لا ترضى بالخير بدبلا

الحديث ٣٥

في الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، والجهاد

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ وَفِي رِوَايَةٍ : أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الصَّلَاةُ
عَلَى وَقْتِهَا . قَالَ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : بِرُّ الْوَالِدَيْنِ . قَالَ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ :
الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . قَالَ : حَدَّثَنِي بِهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَكَلَّوْا اسْتِزْدَاتَهُ لَزَادَنِي - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ

الشرح : سأل عبد الله بن مسعود رسول الله (ص) عن أحب الأعمال إلى
الله ، وأفضلها عنده ، ليكون حرصه عليه أشد ، وعنايته به أكبر ، فأجابه الرسول
(ص) بأن الأحب ، والأفضل ، والأرفع درجة ، والأجزل ثوابا الصلاة على وقتها ،
وفي رواية : الصلاة لوقتها ، وقد قال الشراح : إن على هنا بمعنى اللام ، واللام
هنا تحمل الاستقبال مثلها في قوله تعالى « فَطَقَّةٌ وَهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ » أي مستقبلات
عدتهن ، وتحتمل الابتداء مثلها في قوله تعالى « أقيم الصلاة لدلوك الشمس » أي
من ابتداء زوالها ، وتحتمل الظرفية أي في وقتها ، ويشهد للابتداء رواية مرجوحة فيها :
الصلاة في أول وقتها ، وقد سبق الكلام على الصلاة وآثارها في الحديث الثاني ،
وهنا يبين الرسول (ص) أن أداء الصلاة في أوقاتها المحددة أفضل الأعمال إذ في
ذلك العمل بقوله تعالى « إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا » وتعود
النظام ، واحترام المواعيد ، وذكر الله ، والقيام بين يديه ، ومناجاته خمس مرات في
اليوم واللييلة ، وتلبية داعي الحق كما دعا : حتى على الصلاة ، حتى على الفلاح ، والدأب ،
على رياضة النفس وتهذيبها ، والمبادرة إلى الخيرات ، وملك النفس والشهوات ،
وعدم التمكين للشيطان في الفتنة ، فانه يتصيد النفوس العاقلة عن ذكر الله ، المهمة

في شئون الحياة ، وأداء الصلاة في غير وقتها يعرضك للآثم والعذاب ، بل يعرضك لعدم قبول الصلاة منك ، فإن كثيراً من المحققين على أن الصلاة لا تؤدى في غير وقتها ، فإن فاتتكَ بؤت بائها ، ولم يكن لك مخلص من عقابها ، على أنه إذا كان القضاء جائزاً مع الحرمة ، فإن الصلاة تكون ثقيلة على النفس ، إذ تضم إلى أحوالها التاليات ، فيثقل الحمل ، فتنو به النفس ، أو تؤديه على مضض ، أو بسرعة تفوت الخشوع ، الذى هو لب الصلاة وروحها ، نعم لو نسى الانسان صلاة ، أو نام عنها ، أو كان هناك عذر شرعى يبيح تأخيرها لم يكن عليك إثم فى التأخير ، وكان وقتها وقت الذكر ، أو التيقظ ، أو زوال العذر ، وإذا قلنا : إن اللام للابتداء كان أفضل الأعمال أداء الصلاة فى أول وقتها ، إذ ذلك مبادرة إلى الخيرات ، ولحاق لأول الجماعات ، وتبرئة للذمة من دين الصلوات ، وأنتك أول الملبين ، المسرعين إلى مرضاة الله ، والحظوة بمناجاته ، فأداء الصلاة كل يوم فى أوقاتها ، أو فى أول الأوقات أفضل عند الله من سائر الأعمال الأخرى

ثم سأله عبد الله عما يلى ذلك فى المرتبة ، فقال له : بر الوالدين ، وكان الرسول (ص) استنبط ذلك الترتيب من قوله تعالى فى وصية الانسان بوالديه « أن اشكر لى ولوالديك » فشكر الله بالصلاة ، وشكر الوالدين ببرها ، وبرها بطاعة أمرها ، وتفقد مصالحهما ، والاتفاق عليهما ، وحسن معاملتهما ، وخفض الجناح لهما ، وأن تقول « رب أرحمهما كما ربباني صغيراً » وهل الترية ، والعطف والرحمة ، والحب الطبعى ، والسكد لراحتك ، والسهر لنومك ، والشقاء لسعادتك تقابل منك إلا بالبر إلا أن تكون جحوداً كفوراً ، ولا أخالك ، وحسبك بياناً لمنزلة الوالدين ، وإشادة بحتهما أن الله قرن الاحسان اليهما بالأمر بتوحيده فى كثر من الآيات ، وأن الرسول (ص) لم يأذن لراغب فى الجهاد إلا بعد استئذانه من أبويه ، وأنه جعل السعى عليهما جهاداً فى سبيل الله .

ثم سأله عبد الله عما يلى بر الوالدين ، فأخبره الرسول (ص) بأنه الجهاد فى سبيل الله ، وسبيله دينه الذى شرعه ، والحق الذى رسمه ، وما الجهاد إلا بذل

المستطاع من مال ونفس ، ومركز وجاه ، وقوى وتفكير ، وقلم ولسان ، في سبيل إعلاء كلمته ، وحفظ دينه ، ونشره بين الناس وتعليمه ، وحفظ البلاد التي يقطنها الاسلام ، وحفظ أهله من أرادهم بسوء ، من الأمم العاشمة ، والدول المستعمرة ، التي لاترعى فينا إلا ولا ذمة ، فلنستخدم كل وسيلة في سبيل إقامة الدين ، ورفع لواء القرآن ، والتحكين للحق في الأرض ، وفي نفوس الناس عامة «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلنا ، وإن الله لمتع الحسنيين»

قال عبد الله : ولو طلبت من الرسول (ص) الزيادة على ذلك مما هو بيان لدرجات الأعمال ، أو مما يحتاج اليه المرء في دينه ل زاد ، لأنه إمام الارشاد ، فكيف لا يجيب السائل ، ولو تابع السؤال ، وكان عبد الله وقف عند هذا الحد شفقة على الرسول (ص) وحرصا على راحته ، ويؤيد ذلك ما جاء في رواية لمسلم عن عبد الله : فما تركت أن أستزیده إلا إرعاء عليه ، أى شفقة عليه لثلاثين ، وفي هذا إرشاد للطلبة والمتعلمين ألا يكثرؤا من الأسئلة حتى يشقوا على أساتذهم المرين ، وإرشاد للمربين أن يتقبلوا أسئلة الطلبة بصدور رحبة ولو سألوا مرارا ، مادام لم يكن في ذلك مضية ولا مضرة

وكان الظاهر أن يقدم الجهاد على الصلاة لوقتها وبر الوالدين لأن المشقة فيه أكبر ، إذ فيه بذل المال والنفس ، ولكن الجهاد واجب وقى ، والصلاة واجب دائم كالبر بالوالدين ، فالصبر على مشقتهم وإن كان أدنى من الصبر في مواطن الكفاح ولقاء الأعداء ، لكن المداومة على ذلك طوال السنين مما أكبر المشقة فيهما ، ورفع درجتهم عن الجهاد قرينهما

واعلم أن الرسول (ص) قد أجاب في مواطن أخرى عن سؤال «أفضل الأعمال» بغير هذه الاجابة ، وليس من تعارض بين ذلك وتضارب لأنه كان يجيب كل سائل بما يناسب حاله ، أو يلتئم مع رغبته وميله ، أو لاختلاف الأوقات والأحوال ففي أوقات الحرب والنزال ، وهجوم الأعداء الجهاد أحب ، وفي أوقات الجماعات الصدقة أفضل ، وفي أوقات الهدوء والطمأنينة الصلاة أهم ، وهكذا لكل حال

ما يناسبها ، فالرسول (ص) كان يلبس لكل حال لبوسها ، ويجيب بما يسايرها ، وهو البليغ الحكيم

ولعل تاركى الصلاة ، الذين يحسبون أنفسهم مؤمنين ، ولم يركعوا لله ركعة أو يسجدوا له سجدة ، ولم يغشوا بيوت الله ، وإن غشوا بيوت الناس - لعلمهم يعتبرون بهذا الحديث ، فيقلعوا عن حرمهم ، وينيبوا الى ربهم ، ولعل الكسالى الذين يجمعون الصلوات ، أو يؤدونها آخر الأوقات يكون لهم من ذلك موعظة ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

الحديث ٣٦

فى طاعة الأئمة والرؤساء فى المعروف

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

الشرح : قال الله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » فأمر عباده المؤمنين بطاعته ، وطاعة رسوله ، وأولى الأمر . فأفاد أنه لا طاعة للمخلوق فى معصية الخالق ، لأنه اذا أمر بمعصية فأطعناه لم نحقق طاعة الله وطاعة الرسول ، فكانت الآية شاهد ما قال الرسول (ص) وأنه لا طاعة لأولياء الأمور ، فيما فيه مخالفة الله أو الرسول

أولو الأمر هم الذين وكل اليهم القيام بالشؤون العامة ، والمصالح المهمة ، فيدخل فيهم كل من ولى أمرا من أمور المسلمين ، من ملك ووزير ، ورئيس ومدير ، وأمور وعمدة ، وقاض ونائب ، وضابط وجندى ، وقد أوجب الرسول (ص) على كل مسلم السمع لأوامر هؤلاء ، والمبادرة الى تنفيذها ، سواء أكانت محبوبه له -

أم بغيضة إليه « وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ » فإذا دعونا الى الحرب ، وبذل المال في سبيلها لبينا الطلب ، وإذا طالبونا بالضرائب المشروعة دفعناها ، وإن طلبوا منا المساعدة على حفظ الشواطىء والمزارع من المياه الطاغية أجبنا ، وإن رغبوا في معونتنا لأهل بلد اجتاحتهم حريق أو نابتهم نائحة حققنا رغبتهم ، وهكذا نسمع كل ما أمروا به وننفذه ، سواء وافق رغباتنا وميولنا أو خالفها ، وسواء شق علينا أم سهل مادام في ذلك المصلحة العامة ، وما دام في دائرة الحلال المشروع ، أما إن أمرونا بمعصية كآتهم برىء ، أو حبسه ، أو إيداعه ، أو مصادرة ماله ظالما وعدوانا ، أو رغبوا الى القضاء أن يحيد عن الحق ويحكم بالباطل ، أو أرادوا مالنا وحيواننا ورجالنا لمساعدة عدونا ، أو أرادوا أن نخط بيدنا صلح الاستعباد لنا ولأبنائنا وأحفادنا ، أو طلبوا أن نرخص لمن يرغب في الاتجار بأعراضهن ، أو من يتجرون في الخمر ، أو يفتحون ناديا للميسر — إن أمرونا بشئ من ذلك أطعنا الله ومعصيتنا ، وأرضيناه وإن أغضبناهم ، فطاعتهم محرمة ، ومخالفتهم واجبة هذا وقد جاءت أحاديث فيها إطلاق الأمر بطاعة الولاة ، والصبر على مكارههم ، وعدم الخروج عليهم ، كحديث أنس بن مالك أن رسول الله (ص) قال : اسمعوا وأطيعوا ، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة — يريد بذلك صغرها ، وكحديث ابن عباس أن النبي (ص) قال : من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر ، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا ، فيموت الامت ميتة جاهلية ، وكحديث عبادة بن الصامت قال : دعانا النبي (ص) فبايعناه ، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا — في حال النشاط والكرهية — وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا — استئثار بحظ ديني — وألا تنازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا — جهارا — عندكم من الله فيه برهان — روى هذه الأحاديث الثلاثة البخارى ، فيجب تقييد الإطلاق فيها بالآية السابقة ، وبحديثنا الذى نشرحه ، وبحديث معاذ الذى رواه أحمد : لاطاعة لمن لم يطع الله ، وأحاديث أخرى تحرم علينا طاعتهم فى المعصية ، ويدل لتقييد حديث أنس حديث أم الحصين

عند مسلم : اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله ، والمكروه الذي أمرنا بالصبر عليه في حديث ابن عباس ماشق على نفوسنا ، ولم يكن معصية لله . والرسول ، فان كان معصية فالنهي عن المنكر واجب ، ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة ، فلا تثير الفتن ، ونبذ شمل الأمة ، ونعرض دماءها وأموالها ومصالحها للضياع إذا أمكننا إزالة المنكر بالحسنى والمسأللة ، وكذلك إذا كان ضرر المنكر دون الضرر المترتب على الانكار ، وأما حديث عبادة الذي فيه ألا تنازع الأمر أهله إلا أن نرى كفرا بواحا فالمراد بالكفر هنا المعصية ، وكل معصية للخالق ججود . بنعمته ، يدل على ذلك رواية : إلا أن يكون معصية لله بواحا ، فلا تنازع ولاة الأمور في ولايتهم ، ولا نعترض عليهم في تديريهم إلا إن رأينا منهم منكرا محققا لاشبهة فيه ولا تأويل ، فان رأينا ذلك أنكرنا عليهم إنكارا يقلعون به عن المعصية مع التزام الحكمة في النصيحة ،

فأطع من ولوا أمرك ماداموا لله مطيعين ، واصبر على ما تبغض منهم ما لم يكن معصية بينه ، واحرص على اتحاد الكلمة ، وبقاء الألفة ، وسلامة الجماعة ، مادامت على الحق قائمة ، و بأمر الله عاملة ، وإياك أن تدهن الولاية في معصية ، أو تجاريهم على مظلمة « وَلَا تَرَوْكُمْ كُنُوزًا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ، فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ، وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ » ، ثم لَا تُنصَرُونَ »

الحديث ٣٧

فيمن يضاعف لهم الأجر

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ : الرَّجُلُ تَكُونُ لَهُ الْأُمَّةُ ، فَيُعَلِّمُهَا ، فَيُحَسِّنُ تَعْلِيمَهَا ، وَيُؤَدِّبُهَا ، فَيُحَسِّنُ تَأْدِيبَهَا ،

ثم يُعْتَقُهَا ، فَيَتَزَوَّجُهَا ، فَلهُ أَجْرَانِ ، وَمُؤْمِنٌ أَهْلُ الْكِتَابِ الَّذِي
كَانَ مُؤْمِنًا ، ثُمَّ آمَنَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلهُ أَجْرَانِ ، وَالْعَبْدُ
الَّذِي يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ ، وَيَنْصَحُ لِسَيِّدِهِ ، لَهُ أَجْرَانِ — رواه البخاريُّ
وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ

الشرح : لكل حسنة أجرها وثوابها ، وعلى قدر الاخلاص فيها ، والنفع
بها يكون مقدار الأجر ، وإذا كانت الحسنة واحدة ، وكان لها جهات متعددة تعدد
الأجر ، كما يتعدد بتعدد الحسنات ، وفي هذا الحديث يذكر الرسول (ص) ثلاثة
أشخاص يؤتون أجرهم مرتين

أولهم الرجل تكون له أمة تحت يده ملكا واستخداما ، فيحسن اليها الاحسان .
كاه ، فيعلمها فرائض الدين وسننه ، وشئون المنزل وأعماله ، من نظافة وطهوى ،
ومعجن وخبز ، وترتيب ونظام ، وخدمة أولاد ، سواء أكان ذلك التعليم بنفسه ،
أم بوساطة غيره ، من زوج وخدم ، أو بنات وحشم ، ولا يقتصر على تعليم ناقص ،
بل يجدد فيه ، حتى تبلغ نهايته ، وتدرك غايته ، وتكون فيه الحاذقة الماهرة ،
والحكيمة المدبرة ، وكذلك يؤدبها ويهذبها ، ويرؤضها على مكارم الأخلاق ،
وأحسن الآداب ، كاللغة والقناعة ، والصدق والأمانة ، وحسن المعاشرة ، والآداب
في المحادثة ، ويبالغ في ذلك التأديب ، حتى تكون الفتاة المهذبة ، والأمة المكتملة
وبعد ذلك التعليم والتأديب ، والبلوغ بهما الغاية يعتقها من رقها ، ويطلقها من قيدها ،
ويعين عليها بالحرية التي فطر الناس عليها ، فتصبح ذات شأنها ، والمستقلة بأمرها ،
لاسلطان لأحد عليها ، تتصرف في مالها ونفسها كما تريد ، في الدائرة المشروعة ،
والخططة المحمودة ، ثم يضيف الى ذلك منة أخرى ، وحسنة كبرى : أن يتخذها
زوجا له ، فيسويها بزوجه الحرة ، ويلحقها بسيدتها ، ويرفعها من درجة الخدمة الى
مرتبة القرينة ، فهذا الشخص له أجران في هذه الأمة ، أجر التحريم بعد الاستعباد ،

وأجر الزواج بعد الاستخدام ، وله فوق ذلك أجر التعليم ، وأجر التأديب ، وكأنه لما كان العتق من الحسنات في الدرجة العليا ، حتى عده الله في القرآن اقتحام العقبة وكان زواج الأمة بعد تحريرها أكبر نعمة تسدى إليها اقتصر على أجرهما ، إشارة الى علو شأنهما ، وبعد مرتبتهما ، ولم يذكر أجرى التعليم والتهديب ، وحكمة أخرى ، وهى التنبيه الى أن التعليم والتأديب لا يختص بالاماء والعبيد ، بل ذلك واجب السيد نحو البنات والبنين ، أفترى بعد ذلك أن الاسلام لم يرفع من شأن الرقيق ، ولم يرق به الى درجة الحر في تربيته ، وتهذيبه ، ولم يأخذ بيده الى الحرية المنشودة ، والحقوق العامة ، ثم أترى بعد ذلك أن الاسلام لم يحض على تعليم البنت وتأديبها ، وتهذيبها وتقيفها ، بما ينمى عقلها ، ويحسن أخلاقها ، ويرفع شأنها ، ويعلمها واجبات بيتها ، اذا كان الشارع يُشيد بذلك فى الاماء ، فما بالك بالحرائر المحصنات ، فعلمت بنتك وأدها يكن لها ولك المستقبل السعيد ، والعيشة الراضية ، والكرامة العالية وثانيهم من آمن بديننا وكتابنا ، وإمامنا ونبينا ، من أهل البكث المقدسة ، يهودا أو نصارى ، فأولئك لهم أجران على الايمان لتعدد جهته ، أجر على الايمان بدينهم ، والعمل بكتابهم ، وأجر على الايمان بنبينا ، والعمل بكتابنا ، وفى هذا ترغيب عظيم لليهود أوالنصارى فى المسارعة إلى اعتناق الاسلام ، الذي هو خاتمة الأديان ، وأن ماأرادوه من الثواب فى المحافظة على دينهم محفوظ لهم الى ماينالون من ثواب الايمان الجديد ، والعمل بالقرآن المجيد ، فالاسلام لاينمط لذى جق حقه ، ولا يحرم عاملا أجره

وثالثهم العبد الذى يتقم بواجب الرق لسيدة ، وواجب العبودية لربه ، فهو لسيدة الخادم المطيع ، والحافظ الأمين ، يخلص لسيدة فى سائر أعماله ، يحرص على ماله وينميه ، ويحافظ على بناته وبنيه ، يرشده الى مايراه الخير ، وينبئه الى مواطن الشر ، وهو لربه مؤد للحقوق ، قائم بالواجبات ، فلا يلهيه القيام بخدمة سيده ، عن القيام بحق بارئه ، فاذا مانودى للصلاة هرول اليها ، واذا مادعى لمكرمة أجبها ، واذا مارغب اليه سيده فى اقتراف جريمة نصحه ، وأطاع ربه ، بأوامر الدين قائم ،

ولنواهيته تارك ، وللاقرآن ذاكر ، وللسوء مخاصم ، فهذا له أجران : أجر النصيح لسيدته ، وأجر الطاعة لربه

هذا والعدد هنا لا مفهوم له ، فهناك من يؤتى أجره مرتين غير أولئك ، كمناء الرسول (ص) فقد قال الله فيهن « وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ، وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا » ، وكن يتصدق على قريبه ، له أجران ، أجر الصدقة ، وأجر الصلة ، وكالحاكم إذا أصاب في حكمه فله أجران ، وكالذي يسن سنة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها ، وكالذي تيمم وصلى ، ولما وجد الماء أعاد الصلاة ، فقد قال له الرسول (ص) لك الأجر مرتين ، وكالذي يقرأ القرآن وهو شاق عليه ، له أجران ، كل ذلك جاءت به الأحاديث الصحيحة ، فدل على أن مضاعفة الأجر ليست قاصرة على الثلاثة « وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ »

الحديث ٣٨

في التيسير ، والتبشير ، والتطوع

عَنْ عَامِرِ بْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُمَا : يَسْرًا وَلَا تُعَسِّرَا ، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِرَا ، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا — رواه البخاري

اللفظة : التيسير التسهيل ، وضده التعسير ، والتبشير الاخبار بما يسر ويبدو أثره على البشرية ، ويقابله الانذار ، والتنفير إزعاج الشيء وإثارته من مكانه ، وضده التسكين ، والتطوع إطاعة كل واحد منهما صاحبه ، وضده التخالف كان من عادة الرسول (ص) إذا بعث ولاته وعماله إلى الأقطار المختلفة أن يزودهم بالنصائح ، حتى يكونوا للناس قدوة حسنة ، ويجمعوا قلوبهم على الاسلام ،

فلما بعث أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن كلا منهما على اختلاف فيها
— إقليم — زودهما بهذه النصيحة ، فأمرهما بثلاثة ، ونهاهما عن ثلاثة .

(١) أمرهما بالتيسير ، ونهاهما عن التعسير ، فالتيسير التسهيل على الناس ، وقد
ندب إليه القرآن في قوله « يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ، وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ »
وقوله « وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » فلا يجشمهم صعبا ، ولا
يكافهم عسرا ، يتأذون به ، أو تتمهل منه نفوسهم ، فإذا صلى بهم إماما لا يطيل في
صلاته ، بل يخفف كتخفيف رسول الله (ص) فإن فيهم المريض والضعيف وذا
الحاجة ، وإذا خاطبه بعضهم بعبارات جافة ، لكنهنافطرية لا يتخير منها ، وفي جباية
الزكاة يأخذ منهم ما يسهل على نفوسهم ، دون ما يشق عليها ، من غير تقصير في
حق ، وإذا أراد نهيهم عن قبيح ، وإقلاعهم عن باطل سلك بهم في الزجر سييلا
سهلا ، خاليا من الغلظة في القول ، والقسوة في الموعظة ، كالذي فعل رسول الله
(ص) لما بال أعرابي في المسجد ، وثار إليه الناس ليوقعوا به ، فقال لهم الرسول (ص)
دعوه وأهْرَ يَقُوا على بوله ذَنُوبًا من ماء ، أو سَجَلًا من ماء — الذنوب والسجل
الدُّو — فأما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين ، وكما نيسر على الناس في
معاملتهم ، ونهيمهم وزجرهم كذلك نيسر على النفس ، فلانكثر عليهم من الطاعات
حتى تسامها وتعلمها ، ولا نشق عليها في أداء الواجبات اذا أمكن القيام بها في يسر
فالذي يشق عليه القيام في الصلاة يتركه الى القعود ، أو يشق عليه الصوم لمرضه
أو سفره أو كبره يتركه الى الأفطار ، أو يصعب عليه التوضؤ بالماء في البرد والقارس
ولم يتيسر له الماء الساخن يستبدل به التيمم ، وهكذا يرفق بنفسه ، ولا يعسر عليها
حتى تخرج عن أمره ، ومن فهم التيسير عرف التعسير ، وإماما نهى الرسول (ص)
عن التعسير بعد أمره بالتيسير مع أن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده تقوية
وتأكيدا ، حتى لا يبقى لمنقطع علة يمتل بها لتنطعه ، على أنه لو اقتصر على : يسرو
لتحقق الامتثال بالتيسير مرة ، وإن عسر مرارا ، فلما قرنه بالنهي عن التعسير ،

والنهي يقتضى الكف عن الفعل دائماً فهمنا المداومة على النيسير ، وكذلك يقال في الأمر والهمى الأخيرين

(٢) وأمرها بالتبشير ، ونهاها عن التنفير ، فنبدأ الناس بالأخبار السارة ، المروحة للنفوس ، المزيلة للهموم ، فتشخذ منهم العزائم ، وتعلو الهمم ، فيقبلون على الأعمال الطيبة ، فاذا دعونا جماعة الى هذا الدين بدأناهم بذكر الثمرات التي يجنيها العبد من ورائه ، فنذكر لهم العزة في الدنيا ، والملك والغنى « **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** » « **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** » « **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِّنْ أَمْرِهِ يسراً** » ونذكر ما أعد الله للمؤمنين في الحياة الآخرة ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ونبين لهم سهولة الدين ، وأن شرائعه لا تثقل النفوس ، ولا تخرجها ، بل هي لها طهارة وسعادة ، وبرد وراحة ، واذا وعظنا شريراً ليرعوى عن غيه رغبتاه في التوبة ، وعرفناه أنها تحبب السيئات ، وأن أبواب الله لها مفتحة ، وأن الاستقامة أجدى عليه من الاجرام ، واذا نصحننا طالباً ليجد في دروسه بينا له آثار الجِد ، وثمراته في المجدين ، وما كسبوا من كبير المناصب ، وعلو الجاه ، وسعة الثروة ، ذلك هو التبشير ، أما التنفير فجانب سبيله ، فلا تبدأ من دخل الاسلام حديثاً ، ولم يتمكن من نفسه بذكر أنواع المياه ، وأحكام الاستنجاء ، وفروض الوضوء وسننه وآدابه ، والغسل وأحكامه وأسبابه ، والتيمم وأركانه ، وتستقصى في ذكر الأحكام له استقصاء حتى يرى نفسه أمام تعليمات ثقيلة ، وأحكام كثيرة ، وكل هذا للصلاة وسيلة ، فما الحال في المقاصد ؟ إنها الكبيرة ، فينفر من الدين بعد أن رغب فيه ، ويهم بالنكوص بعد أن خطا فيه خطوة ، وكذلك لا تنفر العاصي بأن ما أسلفه من السيئات لا توبة له منه ولا إنابة ، ولا بد من عقابه على ما أجرم فيرجع عن الاقلاع ، ويستمر في الاجرام ، وكذلك لا تبدأ الطالب الكسلان بوخامة العاقبة ، وسوء النتيجة ، فتفت في عضده ، وتذهب ببقية عزمه فتنصره ولا تنفمه ، وإذا قابلت من تزوج حديثاً بفسره بالحياة الطيبة ، والدرية

المباركة ، ولا ثقل له : زوجك هذه من أسرة خلقتها كيت وكيت ، أوهى لاتحسبن
إدارة منزل ، ولاخدمة زوج ، أو قد خطبها فلان ورغب عنها ، مما يدل على حماقتك
وقصر نظرك ، وأنتك لاتقدر المواقف قدرها

وإنما ذكر الرسول (ص) التنفير بجانب التبشير دون الانذار الذي هو قرينه
لأن الانذار غير منهي عنه إذ كان الرسول (ص) مبشراً ونذيراً « لِيُنذِرَ بِأَسَا
شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
حَسَنًا ، مَا كُنْ فِيهِ أَبَدًا » والقرآن من سنته قرن النعيم بالجحيم ، وأن الأول
للمتقين ، والثاني للمجرمين ، فكيف ينهى الرسول (ص) عن سنته وطريقته ،
وعن سلوك منهج القرآن ؟ لذلك نهى الرسول عن التنفير دون الإندار ، وإن
للتبشير مقاما ، وللانذار مقاما ، فالانذار لمن لا يقيمه على الصراط إلا الأبرار
والارعاد ، والتبشير لمن يحركه الى العمل بارق الأمل ، وكلاهما محمود ، أما التنفير
فانه ممقوت مادام يبعد عن الحق ، ويرغب عن الخير ، فان كان مبعداً عن الرذيلة
فذلك الانذار المحمود ، وإذا كان للإندار مقام ، وللتبشير مقام ، لم يكن الأمر
بالتبشير نهياً عن الانذار لاختلاف الوجهة ، ومن التنفير اذا كنت مدرسا أن
تحدث الطلبة بطول المقرر ، وصعوبته ، وأنه لا أمل في الاحاطة به ، أو أن تبدأهم
بالمسائل الصعبة ، والأبواب العسرة ، بل تحدثهم بسهولة المقرر ، وأن الارادة الماضية
تحيط به في يسير من الوقت وتأخذ بهم من الأسهل ، الى السهل ، فالصعب ثم
الأصعب ، وكذلك كل من تولى مع آخرين عملا مهما ، يسهل عليهم أمره ، ويتدرج
بهم فيه ، حتى يبلغوا غايته ، وكل هذا من الحكمة

(٣) وأمرهما بالتطواع ، ونهاهما عن التخالف ، لأن التطواع قوة وألفة ، والتخالف
ضعف وفترة ، فما دام الأمر في معروف فليطمه ، فان رأى غير ما رأى تباحثا في
وجوه الاختلاف ، ومحصا المسألة ، ثم أصدرنا عن اتفاق تلك نصيحة الرسول (ص)
لأبي موسى ومعاذ ، وجدير بكل من بعث والبا ، وعين حاكما ، على إقليم من
(٧ - أدب)

الأقاليم أن يضع هذه النصيحة نصب عينيه ، لينجح في إدارته ، وبعوفى ولايته هذا وللحديث بقية ، فنذكر لك أصله قال البخارى : حدثنا مسلم ، حدثنا شعبة ، حدثنا ضعيد بن أبي بُردة ، عن أبيه قال : بعث النبي (ص) جده أبا موسى ومعاذا الى اليمن ، فقال : يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا ، فقال أبو موسى : يانبي الله إن أرضنا بها شراب من الشعير المزُرُّ ، وشراب من العسل البتبعُ ، فقال : كل مسكر حرام ، فانطلقا ، فقال معاذ لأبي موسى : كيف تقرأ القرآن ؟ قال : قائما ، وقاعداً ، وعلى راحتي ، وأنفوقه تفوقاً — أى لأقرأ وردي منه دفعة واحدة ، ولكن أقرؤه شيئاً بعد شيء ، في ليلى ونهارى مأخوذ من فوائى الناقة لأنها تحلب ، ثم تراح حتى تدر ، ثم تحلب — قال : أما أنا فأنام ، فأقوم ، وأنام ، فأحتسب نومتى كما أحتسب قومتى ، وضرب فسطاطا — بيتا من شعر — فجعلنا يتراوران ، فزار معاذ أبا موسى ، فاذا رجل موثق ، فقال : ما هذا ؟ فقال أبو موسى : يهودى أسلم ، ثم ارتد ، فقال معاذ : لأضربن عنقه .

الحديث ٣٩

فى إطعام الجائع ، وعبادة المريض ، وتحرير الرقيق

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْمَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **أَطْمِئِنُوا الْجَائِعَ ، وَعَوِدُوا الْمَرِيضَ ، وَفُكُّوا الْعَانِيَّ** — رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

اللفظ : العيادة الزيارة ، وكل من أتاك مرة بعد أخرى فهو عائد وقد اشتهرت العيادة فى زيارة المريض حتى صارت كأنها محتصة به ، والعانى : الأسير ، وكل من ذل واستكان وخضع فقد عنا يعنو وهو عان ، والمرأة عانية ، والجمع عوان ، ومنه الحديث : اتقوا الله فى النساء فانهن عوان عندكم أى أسراء أو كالأسراء .

الشرح: في هذا الحديث طلب أمور ثلاثة :

أولها : إطعام الجائع ، وقد حث على ذلك القرآن في مواضع كثيرة مثل قوله تعالى « فلا اقْتَحِمَ الْعَقَبَةَ ، وما أذْرَاكَ ما الْعَقَبَةُ ؟ فَكُ رِقَبَةً ، أوْ إطْعَامٌ في يَوْمِ ذِي مَسْجَبَةٍ — مجاعة — يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ ، أوْ مِكينًا ذَا مَتْرَبَةٍ — فقر ، فيجب علينا كفايئاً إطعام الجائع إنقاذاً له من ألم الجوع ، ومحافظه على صحته بل على حياته إن كاد يودي بها فقد الطعام ، وليكن إطعامه من خير ما نظم عملاً بقوله تعالى « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » وقوله « ويُطْعِمُونَ الطَّعَامَ على حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا » ولم يبعد من عمم الجائع في الانسان والحيوان .

وثانيها : عيادة المريض ، وقد أوجبها كفايئاً بعض الفقهاء كاطعام الجائع وفك الأسير ، وعضد ذلك بحديث أبي هريرة عند البخاري : حق المسلم على المسلم ، وزرواية مسلم : خمس تجب للمسلم على المسلم ، وذكر منها عيادة المريض ، ولكن الجمهور على أنها في الأصل مندوبة ، وقد تصل الى الوجوب في حق بعض الناس دون بعض ، وعيادة المريض تذكرة ومحبة ومنفعة ، فهي تذكر الانسان بناعى الحياة ، وتعرفه قيمة الصحة التي يتمتع بها ، فينطلق يشكر مسديها ، وهي تزرع المحبة بين المريض وعوده ، بل بينهم وبين قرابته ، وهي نافعة للمريض ترويح عنه وتسلية ، وربما وصف العائد دواء ذهب بالداء ، أو تبرع باحضار نطاسي ، أو أرشد الى طبيب ماهر ، وينبغي أن تكون العيادة في الأوقات المعتادة ، والألا يطيل الجلوس حتى يضجر المريض ، أو يشق على أهله ، ما لم تدع ضرورة الى ذلك ، وأن يلاحظ أوامر الأطباء من ترك اقتراب أو مكالة ، أو قلة الترداد .

وثالثها : فك العاني ، وفكه تخليصه من أيدي العدو بما له أو غيره ، والجمهور على وجوب ذلك كفايئاً حتى لا تكون ذلة لمؤمن كتب الله له العزة ، وقال إسحق ابن راهويه : يجب تخليص الأسارى من بيت المال ، وهو رواية عن مالك ، فتخليصهم واجب حكومي لافردى ، ولو كان في يدنا أسارى للأعداء فادينا بهم أسارانا ،

والفرض ألا ندع قوما جاهدوا لاعزازنا ، في منلة أعدائنا ، بل علينا أن نستردم الى ديارهم بكل ما استطعنا أفرادا وأمة .

الحديث ٤٠

في ائتلاف الأرواح واختلافها

عَنْ حَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولَ: الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا إِئْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ — رواه البخاري — وكذلك مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ اللُّغَةُ: الروح ما به الحياة والحركة ، والجنود جمع جنود ، وهم الأعوان والأنصار وعبارة أخرى: الجيش والعسكر ، وواحد الجنود جندي ، وأصل المادة الغلظ والتجمع ، يقال للأرض الغليظة ذات الحجارة : جَدَدٌ ، وتجنيد الجنود جمعهم ، فمعنى مجندة مجموعة ، والتعارف معرفة بعضها بعضا ، والمعرفة إدراك الشيء بتفكير وتدبر لا أثره ، والتناكر ضده ، والائتلاف الاجتماع مع التثام ، وعبارة أخرى: الائتناس والمحبة ، وضده الاختلاف

هذا والحديث قد رواه البخاري في صحيحه معلقا غير متصل عن الليث ، عن يحيى ، عن سعيد عن عمرة ، عن عائشة ، ولكن وصله في كتابه « الأدب المفرد » فرواه فيه عن عبد الله بن صالح عن يحيى . . . ، وقد تكلم في عبد الله هذا بعض أئمة الجرح والتعديل

الشرح : من الظواهر التي نراها في الاجتماعات العامة ميل كل امرئ إلى من يشاكله ويناسبه روحا وخلقا ، أودينا وأدبا ، أو مبدأ ومذهبا ، أو حرفة وعملا ، فترى المجتمعين بعد مدة وجيزة من بدء الاجتماع قد انقسموا جماعات ، تتحدث كل جماعة في شئونها الخاصة ، وأمورها المشتركة ، وتتغير نفوسها إذا رأت دخيلا بين

جماعتها ، لا تربطه بهم صلة ، ولا تجمعهم به جامعة ، وتجلس في ركوب عام ، قطارٍ أو سفينة ، أو ترام ، أو سيارة ، أو في مجلس من المجالس ، فترى نفسك منجذبة إلى بعض الحاضرين ، نافرة من آخرين ، وربما لم يكن قبل هذا اجتماع ولا تعارف ، ولا تعاد وتخاصم ، فاسر هذا التآلف والتحابب ، وما علة هذا الاختلاف والتنافر ، ذلك ما بينه الرسول (ص) بهذا الحديث ، فهو يقول : إن أرواح العباد ونفوسهم جنود مجتمعة ، وحيوش مجيشة ، فالتى بينها تعارف وتشاكل ، وتوافق وتناسب ، يألف بعضها بعضا ، ويسر باجتماعه ، ويفرح للقاءه ، لاتفاق في المبدأ ، وتقارب في الروح ، روى أبو يعلى في مسنده عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت : كانت امرأة بمكة مزاحمة ، فنزلت على امرأة مثلها في المدينة ، فبلغ ذلك عائشة ، فقالت : صدق حبي سمعت رسول الله (ص) يقول : الأرواح جنود مجندة . . . الخ ، أما التى بينها تناكر وتباين ، وتباعد وتغاير فانها تختلف ، وينفر بعضها من بعض ، ولا يود لقاءه ، فالأخيار الأبرار ، الأجداد الأظهار ، إذا وجدوا في مجتمع جذبوا أشباههم ، أو انجذبوا اليهم ، وسرى بينهم تيار من المحبة جمّع قلوبهم ، ووثق فيها روابط الصلة ، وعرا الاخوان والمودة ، أما من لا يثابرتهم فتتفر منه قلوبهم ، وكذلك الأشرار الفجار إذا حلوا بناد اليهم أضرابهم ، وجذبهم قرناؤهم ، ونفروا عن لايتهاقى بخلتهم ، ولا يسير في سبيلهم ، فاذا عرفت رجالا بالبر والاستقامة ، ونفرت منهم نفسك ، ونبا عنهم قلبك ، فاعلم أن فيك عيبا ونقصا ، وأنك دونهم في الطهارة ، فداو نفسك من عيوبها ، وطهرها من أوزارها ، حتى تتقارب الأرواح ، وتتشاكل النفوس ، فتحل الألفة محل النفرة ، وإذا رأيتك ميالا إلى من تعرفهم بالشر والفسق ، والخلاعة والعهر فاعلم أنك من طبقتهم ، ونسبك في شجرتهم ، فاذا كانت نفسك تحذرك بأنك البر الأمين ، أو الصوفى العظيم ، أو التقى الخالص ، أو الانسان المهذب فكذب نفسك في حديثها ، واعتقد أنك غر مخدوع ، وأبله مفتون ، فتتش في زوايا قلبك تجد للباطل ركنا ، والشيطان حظا ، والفساد جوا ، وهذا ما جذب قلبك إلى الأشرار ، وإذا رأيتك تميل إلى الأخيار ، وتحب مجالسهم ، وتنجذب نفسك اليهم ، مع علمك

بسوء سيرتك ، واعوجاج طريقتك ، فأدرك أن فيك بقية من الخير ، ولا يزال فيك أمل ، فربّ هذه البقية ، وقوّه هذا الأمل ، حتى يرحل عنك الشر ، وتدخل بمجملتك في حرب الخير ، وكذلك إذا كنت طاهرا تقيا ، برا تقيا ، ورأيت في نفسك بعض الميل للمجرمين ، أو الزكون إلى الظالمين فأعرف أن الشيطان قد دفث فيك نقثة ، وشر في قلبك ثغرة ، فتحصن منه ، « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ — الصبح — مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ — ليل إذا دخل — وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ » فالحديث يبين لنا طبيعة من طبائع النفوس ، لننتفع بها ، فنجنبها الشر ، ونعمرها بالخير

الحديث ٤١

في بر الأبوين

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ بِمُحْسِنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ : أُمُّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : أُمُّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : أُمُّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : أَبُوكَ — رواه البخاري ومسلم

اللافتة : الصحبة والصحابة مصدران بمعنى المصاحبة ، وهي الملازمة ، والأصل

فيها أن تكون بالبدن ، وقد تكون بالعناية والاهتمام كما هنا

الشرح : هذا الحديث يدل على أن لكل من الأبوين حقا في المصاحبة

الحسنة ، والعناية التامة بشئونه « وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا » ولكن حق الأم فوق حق الأب بدرجات ، اذ لم يذكر حقه إلا بعد أن أكد حق الأم تمام التأکید ، بدكرها ثلاث مرات ، وإنما علت منزلتها منزلته مع أنها شريكان

في تربية الولد هذا بماله ورعايته ، وهذه بخدمته في طعامه وشرابه ، ولباسه وفراشه . . . الخ لأن الأم عانت في سبيله ما لم يعاناه الأب ، فحملته تسعة أشهر وهنا على وهن ، وضعفًا إلى ضعف ، ووضعت كرهاً ، يكاد يحفظها الموت من هول ما تلقى ، ولكم كان بدء الحياة لوليد نهايتها لأم روم ، وكذلك أرضعته سنتين ، ساهرة على راحته ، عاملة لمصلحته وإن برّحت بها في سبيل ذلك الآلام وبذلك نطق الوحي « وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ، وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ، وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا » فتراه وصى الانسان بالاحسان إلى والديه ، ولم يذكر من الأسباب إلا ما تعانيه الأم إشارة إلى عظم حقها ، ومن حسن الصحابة للأبوين الاتفاق عليهما طعاما وشرابا ، ومسكنا ولباسا ، وما إلى ذلك من حاجات المعيشة ، إن كانا محتاجين ، بل إن كانا في عيشة دنيا أو وسطى ، وكنت في عيشة ناعمة راضية فارفعهما إلى درجتك أو زد ، فإن ذلك من الاحسان في الصحبة ، واذكر ما صنع يوسف مع أبويه وقد أوتي الملك إذ رفعهما على العرش بعد أن جاء بهما من البدو ، ومن حسن الصحبة بل جماع أمورها ما ذكره الله بقوله « وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبَيِّنَنَّ عِنْدَكَ الْكُبَرَٰ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ ، وَلَا تَنْهَرْهُمَا ، وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلٰٓئِلِ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَقُلْ رَبُّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا » فامنع عنهما لسان البذاءة ، ولو بالمُنَّات الصغيرة ، وجنبهما أنواع الأذى ، وأن لها قولك ، واخفض لهما جناحك ، وذلّل لطاقتهما نفسك ، وأذك في روحك العطف عليهما ، والرحمة بهما ، ورطب لسانك بالدعاء لهما ، من خالص قلبك ، وقرارة نفسك ، وقل : رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ، ولا تنس زيادة العناية بالأم ، عملاً بآشارة الوحي ، ومسيرة لمنطق الحديث ، وقد استنبط جمهور الفقهاء من الحديث تقديم الأم على الأب في النفقة اذا كان مال الولد لا يتسع إلا لواحد منهما ، وقيل : إنهما سواء ، وهو مروى عن مالك والشافعي

الحديث ٤٢

فى سب الرجل والديه

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل : يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب الرجل أباه الرجل ، فيسب أباه ، ويسب أمه — رواه البخارى ومسلم

اللعنة : اللعن من الله الطرد والابعاد على سبيل السخط ، ومن الناس

السب والدعاء ، والسب الشتم الوجيع

الشرح : من الذنوب ماضره عظيم ، وسوء أثره فى المجتمع كبير ، كالقتل ، والزنى ، وشرب الخمر ، والسرقه ، وشهادة الزور ، وقطيعة الرحم ، وأكل مال اليتيم ، وهذا النوع يسمى بالكبائر لكبر المفسده فيه ، وللوعيد الشديد عليه ، وهذا النوع درجات بحسب الضرر الذى فيه ، فكما كانت دائرته أوسع كان فى الكبر أدخل ، فكتمان الشهادة كبيرة ، ولكن أكبر منه الكذب على رسول الله (ص) وما كان من الذنوب ضرره يسيراً يسمى بالصغائر ، كعبوسة الوجه ، وهز الرأس احتقاراً ، والحديث يبين أن سب الرجل أبويه من أكبر الكبائر ، وأعظم الذنوب ، لأنه الاساءة فى موضع الاحسان ، والاثم الكبير مكان البر العظيم ، والشتم الذميم عوض القول الكريم ، وهل هو إلا كفر بنعمة التريية منهما ، وغمط لحقوقهما ، ودناءة نفس ، وخسة طبع ، وهل يرجى من شخص يسى إلى أبويه اللذين ربياه صغيراً أن يحسن إلى أحد من الناس ؟ كلا ، فهو مصدر شر ، ومبعث فساد ، فلا جرم أن كان ذنبه عظيماً ، ووزره خطيراً ، ولذلك عجب الصحابة

واستغربوا وقالوا : كيف يسب الرجل والديه ؟ استبعادا أن يكون في بنى الانسان من يقدم على هذا الجرم العظيم ، فبين لهم الرسول (ص) أنه سب غير مباشر ، بأن يسب شخص أبا شخص آخر ، فيسب هذا أبويه ، انتصارا لنفسه ، وانتقاما مضاعفا ل عرضه ، فذلك سب من الأول لأبويه ، لأنه تسبب فيه ، وإذا كان التسبب لذلك من أكبر الكبائر فبالك بمن يسبهما كفاحا ، بله من يؤذيهما ويضر بهما ؟ إن ذلك للوزر الأكبر ، لا يفوقه إلا الشرك ، والأصل في هذا الحديث قوله تعالى « وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا ظَلَمًا — بغير علم » فهي المسلمين عن سب الآلهة التي يعبدها المشركون مخافة أن يسبوا الله انتصارا لأهلهم .

الحديث ٤٣

في أن صلة الرحم تطيل العمر ، وتزيد في الرزق

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ — رواه البخاري ومسلم ، ورواه الترمذي بلفظ : إن صلة الرحم محبة في الأهل ، مثراة في المال ، منسأة في الأثر

اللفظ : البسط النشر والتوسعة ، والرزق يقال للعطاء الجاري كالمرتب ، وللنصيب ، ولما يتفدى به ، والانساء التأخير ، وأثر الشيء ، مانسأ عنه ودل عليه ، فأثر المشى في الأرض صورة القدم فيها ، والمراد به هنا الأجل أى بقية الحياة قال زهير :

والمرء ما عاش ممدود له أمل لا ينتهى الطرف حتى ينتهى الأثر

وسميت بقية العمر أثراً لأنها تتبعه في الذهاب كما يتبع الأثر صاحبه ، ولأن المرء ما عاش لحركاته آثار ، فإذا مات فلا حركات ، فلا آثار ، أو المراد بالأثر الذكر الحسن ، والرحم القرابة لأنها داعية التراحم بين الأقرباء ، وصلة الأقارب تكون بزيارتهم ومعوتهم بالنفس و بالمال ، صدقة إن كانوا فقراء ، وهدية إن كانوا أغنياء ، وبعمل كل ما يستطيع من جر منعم ، أو دفع منعم ، فيعتبرهم كنفسه في جلب الخير ، وابتقاء الشر

الشرح : رتب الرسول (ص) على صلة الرحم أمرين بسط الرزق ، والانساء في الأثر . أما ترتب السعة في الرزق على صااة الرحم فلا أنه بالصلة يستجلب محبتهم ومودتهم ، فيعاونونه على كسب الثروة ، فتزداد ، وينقى بالصلة عداوتهم التي إذ شغل بها استنفدت كثيراً من وقته ، يتعطل فيه عن ابتغاء الرزق ، ولأنه بالصلة ، يقرض الله قرصاً حسناً ، فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ، وبالصلة يتدخل في زمرة المتقين « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا » وفي القرآن آيات كثيرة ترتب السعادة الدنيوية على الأعمال الصالحة مثل « وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكِن كَذَّبُوا ، فَأَخَذْنَا مِنْهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » وأما ترتب الانساء في الأثر على الصلة ، فان فسرنا الأثر بالذكرى الطيبة للانسان بعد وفاته فالانساء فيها معناه التأخير والاطالة ، فالسنة الناس ثناء عليه ، ودعاء له لقيامه بواجب القرابة ، وربما استمرت هذه الذكرى أمداً طويلاً ، فنفسه الرحيمة كأنها خالدة في عالم الأحياء ، وإن فسرنا الأثر ببقية العمر فظاهره أن الأجل يمتد بصلة الرحم ، وذلك يعارض قوله تعالى « وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا » فالجواب أن الأجل يحدد بالنسبة إلى كل سبب من أسبابه ، فإذا فرضنا أن الشخص حدد له ستون عاما إن وصل رحمه ، وأربعون إن قطعها ، فإذا وصلها زاد الله في عمره الذي حدد له إذا لم يصل ، فالأجل لا يتأخر بالنسبة إلى سببه الخاص ،

ويتأخر بالنسبة إلى سبب آخر ، وأحسنُ من هذا أن نفس مد الأجل بالبركة في العمر ، فيهبه الله قوة في الجسم ، ورجاحة في العقل ، ومضاء في العزيمة ، فتكون حياته حافلة بالأعمال الطيبة ، فهي حياة طويلة ، وإن كانت في الحساب قصيرة وذلك لأن المقياس الحقيقي للحياة المباركة ليس الشهور والأعوام ، ولكنه جلائل الاعمال ، وكثرة الآثار ، فرب شخصي عمير طويلا ، وكان لم يكن ، ورب آخر عاش قليلا ، وكأنه لبث فينا قرونا ، لكثرة ما عمل ، وعظم ما خلف ، وإن ماتت البركة في العمر على صلة الرحم لأن المرء إذا وصل أقرباءه أجلاه واحترمواه ، فامتلات نفسه سرورا ، وشعر بمكانة عالية من أجل صنيعه الذي صنع ، والسرور مُنشط ، كما أن الحزن مُثبِّط ، والشعور بالعظمة عن أعمال مجيدة داع للاكثار منها وبذل الجهد في سبيلها

والحديث يقرنا على حب البسطة في العيش ما آمننا وعميئنا الصالحات « لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » ويقرنا أيضا على الرغبة في زيادة الحياة إن كانت في سبيل الطيبات ، كما يحثنا على بر الأقرباء « وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ »

الحديث ٤٤

في فضل كفالة اليتيم

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا ، وَقَالَ بِأَصْبَعِيهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَمَالِكٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ .

اللفظ: اليتيم من الانسان من مات أبوه قبل بلوغه ، ومن الحيوان ما فقد أمه ، وكافله مربيه الذي يقوم بشئوننه، ويدبر مصالحه، وقال بأصبعيه أشار بهما ، والسبابه الأصبغ التي تلي الإبهام

الشرح : اليتيم فقد أباه الذى كان يرعاه بنفسه وماله ، ويحبه من أعماق قلبه ، ويؤثر مصلحته على مصلحته ، وإن مما يذرف الدمع ساخناً ساعة الموت صبياً صفاراً ، وذرية ضعافاً ، يخلفهم المحتضر وراءه ، يخشى عليهم إحن الحياة ، وصروف الدهر ، ويتمنى لهم ولياً مرشداً ، يرعاهم كرعائته ، ويسوسهم كسياسته ، يميزهم بره وعطفه ، عن نفسه الراحلة ، ويجدون فيه من العناية بمصالحهم ما تخرجهم رجالاً فى الحياة ، يملئون العيون ، ويشرحون الصدور ، فالذى يكفل اليتيم ويتعهد ، وينسى ثروته ، ويهذب نفسه يطمئن والده فى جدته ، ويعوضه عنه كافلاً رحيماً ، وراعياً حكيماً ، فلا جرم أن كان مكانه عند الله عظيماً ، وكان حريماً أن يكون لرسول (ص) فى الجنة صاحباً وقريناً ، يتمتع بما فيها من النعيم ، كما تمتع برعايته اليتيم ، وفى هذا ترغيب عظيم فى كفالة الأيتام ، والعناية بأموالهم ، أما كان الكافل أوقرياً ، أو أجنبيّاً أو صديقاً ، وفى حديث عوف بن مالك أن النبي (ص) قال : أنا وسفعا الخدين - التى شحبت لونها من قيامها على خدمة ولدها - كهاتين يوم القيامة : امرأة ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتامها حتى ماتوا أوبانوا - رواه أبو داود

الحديث ٤٥

فى السعى على الأرملة والمسكين

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله - رواه البخارى ومالك وغيرهما

اللفظ : الساعي الذى يذهب ويحى ، فى قضاء المصالح ، والأرملة التى مات زوجها ، والمسكين المحتاج الذى أسكنته الحاجة ، وسبيل الله دينه وشرعه

الشرح : المجاهد في سبيل الله الذي يختم دينه بنفسه وماله ، أوجهه وسلطانه أوعله وفنه — ليس له جزاء الا الجنة الى الذكري الطيبة في الحياة الدنيا ، والمكانة العالية في النفوس ، وكذلك الجزاء للساعي على الأرملة والمسكين ، فيكد ويتعب ، ويجاهد وينصب ، ليكفي تلك الأرملة حاجاتها ، بعد أن فقدت بعلمها ، الذي كان يرعاها وينفق عليها ، فهو بذلك يخفف عنها من ألم المصيبة ، ويسلها عن الفجيعة ، ويكف يدها عن المد ، ويصون وجهها عن العرّض ، وكذلك يصنع للمسكين الذي فقد المال ، وعجز عن الكسب ، أو قدر ولكن لم يجد العمل ، فهو يجمع المال بعرق جبينه ، لا يمتع نفسه أو ولده ، أو لينفقه في البذخ واللذّة ، ولكن ليسد به جوعة للمسكين ، ويفنيه عن الاستجداء ، فيحفظ على وجهه ماء الحياء ، وعلى نفسه خلق العفاف ، فكان خليقا بمرتبة المجاهدين ، ومنزلة المقرّبين ، فإخدم بمالك ووقتك ، ووقتك وسعيك ذوى الحاجات ، وأر باب العاهات تنل المنزلة العالية ، والجنة الخالدة

الحديث ٤٦

فمن يؤذى جاره

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَقِيلَ : وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقِهِ — رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهما

اللفظ : البوائق واحدها بائقة وهي الداهية والشئ المهلك والأمر الشديد يوافي

المرء بفتة

الشرح : من سعادة المرء أن يكون في بيئته يشعر فيها بالعطف عليه ، والمحبة له ، ومن شقائه أن يكون بين جماعة يضمرون له الشر ، ويدبرون له المكائد ، فالشخص الذي يجانبه جيران سوء ، يعملون للاضرار به في نفسه ، أو ماله أو عرضه ، ويجوكون

له العظام والدواهي - منغص في عيشه، لا يهنا له بال ، ولا ينعم بهال، تراه مقطب الوجه ، محزون النفس ، مكلوم الفؤاد ، وكل ذلك من سوء الجوار ، ولقد بين الرسول (ص) أن من هذا خلقه ، وتلك دخيلته مع جاره - غير مؤمن ، وأكد ذلك بالحلف والتكرار ثلاث مرات ، وهل المؤمن إلا من آمنه الناس على دماءهم ، وأمواهم ، وأعراضهم ، وهل الايمان إلا من الأمن ، فاذا كان الجار لجاره حربا ، وعليه ضدا ، فكيف يكون من المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله . لقد كان الواجب عليه أن يتفقد أمور جاره ، ويساعده بكل ما استطاع ، ويعمل على جلب الخير له ، ودفع الشر عنه ، حتى يكونا في عيشة راضية ، وحياة طيبة ، أفما كفاه أن يترك كل ذلك حتى يقف منه موقف العداء ، يدبر له المواقبات المدمرات ، والمفطعات المهلكات إلا يحسن اليه فلا يسىء ، وليقف موقف الحياد إن لم يكن لصنع المعروف أهلا ، والحديث يؤكد حق الجار ، وأنه من بين الحقوق بالمكان العظيم ، حتى أن من يفتك حرمانه يسلب عنه الايمان الذي هو معقد السعادة في الدنيا والآخرة «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ»

الحديث ٤٧

في إكرام الضيف ، والاحسان للجار ، وقول الخبر أوالصمت
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ - أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ وَأَبْنُ مَاجَه

ذكر الرسول (ص) في الحديث أموراً ثلاثة ، يقتضيها الايمان بالله واليوم

الآخِر : إكرام الضيف ، والاحسان إلى الجار ، والنطق بالخير أو الصمت ، وإنما خص بالذكر الايمان بالله واليوم الآخر دون غيرها مما يجب الايمان به كالرسل ، والكتب الالهية لأن الله تعالى مبدأ كل شيء ، ويده الخير والشر ، واليوم الآخر نهاية الحياة الدنيا ، وهو ينتظم البعث والنشر ، والحشر والحساب ، والجنة والنار ، فهو يوم جامع لكثير مما يجب الايمان به ، وإنما كان الايمان بهما مقتضيا لهذه الأشياء الثلاثة لأن من صدق بالله ، وعلم أنه خير بما عمله ، ومحاسبه عليه ، وأن يده الثواب والعقاب يجتهد في عمل الطيبات ، ويدع السيئات ، ومن آمن بيوم يحى فيه الناس جميعاً ، وتعرض عليهم فيه أعمالهم من خير أو شر ، ويلقون جزاءهم من جنة أو نار — من آمن بكل ذلك طمع في الثواب بالمسارعة الى الخيرات ونفر من العقاب باتقائه الشرور

(١) إكرام الضيف : الضيف يطلق على الواحد والجمع ومنه قوله تعالى « وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ » وإكرام الضيف يكون بحسن استقباله ، فيقبله بوجه باش ، ويظهر له السرور بحضوره ، ويقدم له خير ما عنده من الطعام والشراب ووسائل الراحة ، وإن كان ذا سعة والضيف فقير مد اليه يد المعونة ، ويودعه كما استقبله إلى غير ذلك ، وقد قال العلماء : إن الضيافة الشرعية ثلاثة أيام ، وما زاد عليها فهو صدقة ، فنحن مأمورون باكرامه هذه الثلاثة ، وما زاد عليها فهو فضل من المضيف

(٢) الاحسان الى الجار : الجار يطلق على الداخل في الجوار ، وعلى المجاور في الدار ، والمراد به الثاني ، واسم الجار عام يشمل المسلم والكافر ، والعابد والفاسق والصديق والعدو ، والقريب والأجنبي ، والأقرب داراً والأبعد . . . وله مراتب بعضها أعلى من بعض ، فالمسلم القريب العابد الصديق أولى ممن لم تتوفر فيه هذه الصفات ، والاحسان إلى الجار يكون بمعمل ما يستطيع معه من ضروب الخير ، فإن استقرضك أقرضته ، وإن استعانك أعنته ، وإن احتاج أعطيته ، وإن مرض عدته

وإن أصابه خير هنأته ، وإن اتابته نأبته عزيته ، وكن أميناً على أسراره، متودداً إليه بالهدايا ، حريصاً على مصالحه ، كما تحرص على مصالحك

وإذا كان الاحسان للجار مطلوباً فدفع الأذى عنه أمر محتم ، وفي حديث

البخارى عن عائشة أن رسول الله (ص) قال : ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ، وفي القرآن آيات كثيرة تحث على الاحسان إلى الجار من ذلك قوله تعالى « وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، وَبِذِي الْقُرْبَىٰ ، وَالْيَتَامَىٰ ، وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ ، وَالْجَارِ الْجُنُبِ ، وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ ، وَابْنِ السَّبِيلِ »

(٣) قول الخير أو الصمت : سعادة المرء وشقاؤه في طرف لسانه فان حبس

لسانه في دائرة الخير — كما مر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ، أو قراءة علم ، أو منطق أدب نال خيره ، وكفى شره، وإن خرج به عن دائرة الخير جلب

عليه النوائب وأرداه في هوة سحيفة، وقد أمرنا الرسول (ص) بأحد أمرين إما قول الخير وإما الصمت، فمن لم يتيسر له الاحسان في القول والنفع به فليمسك عليه لسانه

فان ذلك أسلم له ، وقد قال العلماء : إن هذه العبارة من جوامع كلمه (ص) لأن القول كله إما خير ، وإما شر ، وإما آيل إلى أحدهما ، فدخل في الخير

كل مطلوب من الأقوال فرضها وندبها ، فاذن فيه على اختلاف أنواعه ، ودخل فيه ما يؤول إليه ، وما عدا ذلك مما هو شر أو يؤول إلى الشر فأمر عند إرادة

الخوض فيه بالصمت

الحديث ٤٨

في وحدة المسلمين

عَنْ النَّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادِهِمْ وَتَعَاطِفِهِمْ كَمَثَلِ الْحَمْدِ إِذَا اشْتَكَى عَضُوهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ بَجْسَدِهِ بِالسَّهْرِ

وَالْحُمَى ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، وَكَذَلِكَ مُسَلَّمٌ بِعِبَارَاتٍ مُخْتَلَفَةٍ

اللفظة : التراحم والتواد والتعاطف كلها من باب التفاعل الذى يستدعى اشتراك الجماعة فى أصل الفعل ، وهى وإن تقاربت فى المعنى بينها فرق لطيف ، فالتراحم رحمة بعضهم بعضاً بأخوة الايمان لا بسبب آخر ، والتواد التواصل الجالب للمحبة كالتراور والتهادى ، والتعاطف إعانة بعضهم بعضاً كما يمطف الثوب على الثوب تقوية له ، وتداعوا دعا بعضهم بعضاً ، ومنه تداعت الحيطان أى تساقطت أو كادت ، وسائر بمعنى باقى ، والحى تلك الحرارة المرتفعة التى تضر بالأعمال الطبيعية الشرح : يمثل رسول الله (ص) المؤمنين فى هذه الخلال الثلاث بالجسد الواحد ، فكما أن الجسد إذا مرض منه عضو تألم له الباقى ، فلم يذق نوماً ، وسرت اليه حرارة الحى ، فألمته ، فكذلك المؤمنون حقيقة إذا ناب واحداً منهم نائبة شعر بألمها الباقون ، فسموا بما فيهم من العواطف لدفع الألم عنه ، وجلب الخير اليه ، فالسالمون فى مجموعهم كشخص واحد ، وكل فرد منهم بالنسبة للمجموع كالعضو بالنسبة للشخص ، فأخير يصيب الواحد منهم كأنما أصاب كلهم ، والشري يؤبه كأنما ناب جميعهم ، فليعتبر بهذا الحديث بعض الأمم الاسلامية التى لا تألم لما يصيب جارتها ، بل ربما ساعدت عدوها على القضاء عليها ، وليعتبر به أولئك الأفراد الذين جدوا فى اصطیاد مصالحهم الشخصية وإن أضرت بآخرين ، وإذا ما طلب منهم مواساة إخوانهم ولوا على أديارهم نفورا ، أولئك لم يتوطن الايمان بعد نفوسهم

الحديث ٤٩

فى الرحمة وعقاب مجانبها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
 مَنْ لَا يَرْحِمُ لَا يَرْحَمُ - أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي بَابِ « رَحْمَةِ الْوَالِدِ »
 (٨ - أدب)

وَتَقْبِيلِهِ وَمَعَانِقَتِهِ « وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمًا وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ بِالْفَافِظِ
مُتَقَارِبَةٍ

للحديث سبب ، ذلك أن النبي (ص) قبل الحسن بن علي ، وعنده الأقرع
ابن حابس التيمي جالساً ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ، ما قبلت منهم
أحدًا ، فنظر إليه رسول الله (ص) ثم قال : من لا يرحم لا يرحم

الرحمة بالناس ، بل بالحيوان ، عاطفة شريفة ، وخليقة محمودة ، ولقد مدح الله
بها رسوله في قوله « بِالْمُؤْمِنِينَ رَهَوفٌ رَحِيمٌ » وضدها القسوة التي عاقب الله بها
اليهود ، لما تقضوا المهود ، اذ يقول « فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا
قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً » فالرحمة فضيلة ، والقسوة رذيلة ، والرحمة تكون بالأبناء ، وأثرها
تقبيل ومعاقة كما صنع الرسول بالحسن ، وتأديب وتربية ، وإجابة رغائب — مادامت
في سبيل المصلحة — وإبعاد من الشر ، وتكون بالأباء والأمهات ، وأثرها قول
كريم ، وصنع جميل ، وطاعة في غير معصية ، وخدمة صادقة ، وقل : رَبِّ أَرْحَمِهِمَا
كما رَبَّيَانِي صَغِيرًا ، وتكون بالأقرباء ، وأثرها بر وصلة ، وزيارة ومودة ، وسعى
في مصلحة ، ودفع لمضرة ، وتكون بين الزوج وزوجه ، وأثرها عشرة بالمعروف ،
وإخلاص متبادل ، وألا ترهقه بالطلبات ، ولا يكلفها بالمهقات ، بل يعاونها على
شئون المنزل وتربية الأولاد — بالخدم مادام في المال سعة ، أو بنفسه إن كان في وقته
فضل ، وتكون بأهل دينك ، ترشدهم إلى الخير ، وتعلمهم ما تعلمت ، وتأخذ بهم
عن الهم إلى السبيل الأم ، وتعمل لعزم ، ودفع المذلة عنهم ، وتكون بالناس
جميعاً ، فتحب لهم ما تحب لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لها ، وتكون بالحيوان
فتقدم له أكله وشربه ، وتداوى جرحه ، ولا تكلفه عسيرا ، ولا تجعله ثقيلا

فإن كانت الرحمة خليقتك رحمك الناس كما رحمهم ، وكانوا لك كما كنت
لهم ، ورحمك الرحمن الرحيم ، فأسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة ، وإن تركتها إلى
القساوة قست عليك الخليفة ، فإن نابتك نائمة ، أو حلت بك ضائقة أغضوا عنك ،

وفروا منك ، فتجرت وحدك صابها ، وصليت نارها ، وكذلك يصنع الله بك ،
يزرع عنك رحمته ، فاذا أنت في الدنيا في معيشة ضنك ، لاتنعم بعزة أو هناة ،
وفي الآخرة لا ينظر الله اليك ولا يكلمك ، ولك العذاب الهون جزاء بما اكتسبت ،
فارحم ترحم ، وكن للناس يكونوا لك ، وتحاق بخناق الله يرفع شأنك ، ويعل
نفسك ، والله لا يضيع أجر المحسنين

الحديث ٥٠

في الصدقة بالمال وبطيب الكلام

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ : ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
النَّارَ ، فَتَعَوَّذَ مِنْهَا ، وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ ، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ ، فَتَعَوَّذَ مِنْهَا ،
وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ - قَالَ شُعْبَةُ : أَمَّا مَرَّتَيْنِ فَلَا أَشْكُ - ثُمَّ قَالَ :
اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ - رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

اللفظ : تعوذ قال : أعوذ بالله ، أي الجأ اليه وآحصن به ، يقال عدت به أعوذ
عوذاً وعباداً ومعاذاً أي لجأت اليه ، والمعاذ المصدر والزمان والمكان ، وأشاح يقال
بمعنى حذر ، وبمعنى جد في الأمر ، ويقال : أشاح وجهه وبوجهه وأشاح عنه وجهه
إذا عرض متكرها ، والاتقاء اتخاذ الوقاية مما يضر ، وبعبارة أخصر الحذر ، والشق
النصف أو الجانب

الشرح : ذكر النبي (ص) النار وسعيرها وشررها ، وتمثلها أمامه كأنه يراها
رأى العين «لَوْ تَعَلَّمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوْنَّ الْجَنِيمَ» : فقال أعوذ بالله منها ، وآحصن
به من شرها وهولها ، وأعرض بوجهه عنها ، متكرها لها ، كأن لفحها يكاد يصل

اليه ، فيحول عنها وجهه ، ثم ذكرها مرة أخرى ، فصنع مثل ما صنع في الذكرى الأولى — وقد جزم شعبة أحد رواة الحديث ورجاله بهاتين المرتين ، أما أن الرسول (ص) زاد عليهما فهذا ما لم يتيقنه شعبة — ثم قال الرسول (ص) اتقوا النار ولو بشق تمر . . . الخ

النار عذابها أليم ، وسعيرها عظيم ، وهولها شديد ، والرسول (ص) بأمرته روف رحيم ، حريص على سعادتها ، ووقايتها مما يضرها ، فكيف لا يرشدها الى ما تتقى به النار ، وتتأى به عن هول الجحيم ؟ لقد بين أن الصدقات وقاية من النار ، فمن بذل المال في سبيل الله للفقراء والمساكين ، والناشرين والمجاهدين ، والمصالح العامة كان ما بذل سورا منيعاً ، وحاجزا حصينا ، يقيه لهيب الجحيم ، وقليل المال ممن لا يستطيع غيره اذا أعطاه بطيب نفس وإخلاص قلب كثير عند الله فهو يربى التمرة الصغيرة ، بل شقها ، حتى تكون كالجبال الشاخنة ، أثرها كبير وثوابها عظيم ، فلا تحقر المعروف وإن قل ، ولا تستقل الصدقة وإن كانت بشق من تمر ، أو مليم من قرش ، أو قطعة من رغيف ، فربما سدت حاجة من جائع ، بل ربما أنقذت نفساً أشرفت على الهلاك ، وقد ذم الله من عاب جماعة بقلة ما بذلوا وهو منتهى جهدهم ، وغاية وسعهم ، فقال « الَّذِينَ يَلْمِزُونَ — يفتابون ويميبون — الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » وعن عائشة رضی الله عنها أنها قالت دخلت على امرأة ، معها ابنتان لها تسأل ، فلم تجد عندي شيئا غير تمر ، فأعطيتها إياها ، فقسمتها بين ابنتيها ، ولم تأكل منها ، ثم فامت ، فخرجت ، فدخل النبي (ص) علينا ، فأخبرته ، فقال النبي (ص) من ابتلى من هذه البنات بشيء كن له سترا من النار — رواه البخاري ، فصدقة المال نافعة ، ومن النار وأقية ، جلت أو قلت ، مادام ذلك الجهد ، فإن لم يجد المرء ما يمد به يده للسائل والمحروم ، فليحرك لسانه ، وليصدق بالكلم الطيب « قَوْلَ مَعْرُوفٍ وَمَغْفِرَةَ خَيْرٍ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ » فإذا رد السائل بالقول الجميل ، أو وعده العطاء عند اليسار كان له

ذلك صدقة « وإما تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا » وحض أهل اليسار على إطعام المسكين ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، والاصلاح بين الناس كل ذلك صدقات ، فان أعوزك المال فلن يعوزك اللسان « لآخِرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا »

الحديث ٥١

في حسن الخلق

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا ، وَفِي رِوَايَةٍ : إِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا — رواه البخارى

الخلق يطابق على كل صفة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بسهولة من غير تكاف ، كالكرم يصدر عنه الاعطاء بلا عناء ، والحلم يستدعى مصابرة السفية والعفو عن المسيء ، والحكمة تقضى وزن كل عمل بميزان المصلحة ، وعرف بعضهم الخلق بأنه العادة في الارادة ، فتعود العزم على منازلة العدو كلما أوقد حر باسمى خلق الشجاعة ، والخلق يقال للمكارم وللمساوى ، كالبخيل والسفه والجن وغيرهما من الرذائل .
وفي هذا الحديث بين الرسول (ص) أن خيار المسلمين من حسنت أخلاقهم وكرمت صفاتهم ، أما من ساءت منهم الأخلاق ، وقبحت الصفات فأولئك الأشرار ، وإن كانوا يصلون ، ويصومون ويحجون ، فان صلاتهم ليست بصلاة الخاشعين ، وصيامهم بمجاعة ، وحجهم رياء ، ولو كان ذلك منهم باخلاص لا ثمر بلا مراء كرم الاخلاق ، فان الصلاة الحققة تنهى عن النجشاء والمنكر ، والصيام الخالص داعية الصبر والكرم ، والحج المبرور ينمى خلق الصبر وحسن العشرة ، والمعونة ... فبرهان الصدق في العبادات والاخلاص فيها كرم الاخلاق ، وآية التقصير فيها سوءها

ولأن حسن الخلق من العلو يمكن مدح الله به خير خلقه فقال « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » وكان خلقه (ص) القرآن كما قالت زوجته عائشة رضى الله عنها ، فكان أدبه آدابها ، وخلقها أخلاقه ، من صبر وحلم ، وكرم وعفو ، وإخلاص وشجاعة وعدل وحكمة . . . الخ ، وأن مما يثمره حسن الخلق في هذه الحياة تسير الأمور لصاحبه ، وموافاة الرغائب ، وحب الخلق له ، وثناءهم عليه ، ومعوتهم له ، والابتعاد عن أذاه ، وقلة مشاكله في الحياة ، واطمئنان نفسه ، وطيب عيشه ، ورضا ربه ، أما الثمرة في الحياة الآخرة فجنة نعيم ، وقرب من رب العالمين ، روى الترمذى من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن من أجكم إلى ، وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً ، وقد وردت أحاديث كثيرة في الحث على مكارم الاخلاق ، منها حديث النّوّاس بن سمعان : البر حسن الخلق — رواه مسلم ، وحديث أبي الدرداء : ما شئ أثقل في الميزان من حسن الخلق — رواه الترمذى وابن حبان وصحاحه ، ورواه أبو داود ، وحديث أبي هريرة : إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه ، وحسن الخلق — رواه البزار بسند حسن ، وحديث أبي هريرة : إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق — رواه أحمد ، وكذلك البزار بلفظ : مكارم ، بدل صالح ، ومن محاسن الأخلاق الصدق ، والشهامة ، والنجدة ، وعزة النفس ، والتواضع ، والتثبت ، وعلو الهمة ، والعفو ، والبشر ، والرحمة ، والحكمة ، والشجاعة ، والوفار ، والصيانة ، والحريّة ، والدّمائة ، والدّعة ، والصبر ، والورع ، والحياذ ، والسخاء ، والنزاهة ، وحفظ السر ، والقناعة ، والعفة ، والايثار ، ومن مساوئها السفه ، والرياء ، والغيبة ، والنميمة ، والتبذل ، والفدر ، والتخرق ، والحق ، والكذب ، والجهل ، والمكر ، والخبث ، والطيش ، والحقد ، والقحّة ، والحسد ، والشراسة ، والعُجب ، والحبن ، وضعف الهمة ، والكبر ، والعبوس ، والغضب ، والدّعور ، والكسل ، والهزء ، والزهو ، والحرص ، والشماتة ، والجون ، وافشاء السر ، والشرة ، والفجور

فاحرص أخى على مكارم الأخلاق، واتخذها حليتك، وتجنب سفافها، لتكون من الخيار الذين يألفون ويؤلفون.

الحديث ٥٢

في مداراة الأشرار

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ أَوْ ودَّعَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ —
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ

اللفظ: ودعه تركه، وقد ذكر بعض النحاة أن العرب أماتوا مصدر يدع وماضيه، وقد جاء الماضى في هذا الحديث عن الرسول (ص) ولكن شكا لاجزما وجاء المصدر في قوله (ص) لينتهين أقوام عن ودعهم الجماعات، والصحيح أن ذلك جائز ولكنه استعمال نادر

الشرح: الناس في الآخرة منازل، كما كانت أعمالهم في الدنيا منازل «وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا» فأحسن الناس عملا أعلام درجة، وأرفعهم منزلة، وأسوؤهم عملا أدناهم درجة، وأحطهم منزلة، وبين هذين درجات متفاوتة، ومنازل مختلفة، بحسب اختلاف الأعمال وتفاوتها، وفي هذا الحديث بين الرسول (ص) أن شر الناس منزلة يوم القيامة من تركه الناس ووادعوه، وفارقوه وسلموه، لا لأنه لاخير فيه، ولا منفعة ترجى من ورائه، بل اتقاء شره، وحذر ضره وبغيه، فهم لا يأمنون إذا كشفوه بحاله، أو نصحوه ليرعوى عن ظلمه، أو جالسوه وخالطوه، أو قابلوا سيئته بالسيئة — لا يأمنون أن يرميهم بالقدعات، ويدير لهم المكيدات، التي تصرم في نفوسهم، أو أعراضهم وأموالهم، أو مناصبهم ومراكزهم، فهو أفاك أثيم، مجرم شرير، لا يتحاشى منكرا، ولا يجافى مائما، أو هو دين من القاذورات،

إن اقتربت منه أو نبشته هبت عليك راحته الخبيثة ، ولو ثنتك نجاسته العليظة ، فالسلامة منه في مجابته ، أو متاركة ومسالته ، فهذا أسوأ الناس منزلة يوم القيامة لأنه وباء على المجتمع ، وهل منزلته السوءى الا جهنم ، يصلى سعيها ، ويعانى هليها ، يستظل بيحمومها ، ويشرب من حميمها ، ويطعم من زقومها ، ويتسربل من قطرانها ، ومثل هذا ليس من الاسلام فى شىء ، فان المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، وليس من الايمان فى قليل ولا كثير ، فان المؤمن من أمنه الناس على دماءهم وأموالهم ، فان كان يحمل لقب الاسلام ، أو الايمان فهو لقب مكذوب ، ونعت مسروق

هذا والحديث له سبب : روى البخارى عن عائشة أن رجلا استأذن النبي (ص) فلما رآه قال: بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة ، فلما جلس تَطَلَّقَ النبي (ص) فى وجهه ، وانبسط اليه ، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة : يا رسول الله حين رأيتَ الرجل قلتَ له : كذا وكذا ، ثم تطلقت فى وجهه ، وانبسطت اليه ، فقال رسول الله (ص) يا عائشة متى عهدتني فاحشا ؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره . اه ، والعشيرة الجماعة أو القبيلة ، أو هي الأذى الى الرجل من أهله ، وهم ولد أبيه وجده ، وتَطَلَّقَ أبدي له طلاقة وجهه ، يقال : وجهه طلق وطلق أى مسترسل منبسط ، ليس بعبوس ، والفحش يقال لكل ما خرج عن الحد حتى استقبح من قول أو فعل أو صفة ، لكن استعماله فى القول أكثر ، وقد قيل : إن هذا الرجل المستأذن هو حَجرمة بن نوفل ، وقيل : عيينة بن حصن الفرارى ، وكان يسمى بالأحمق المطاع لأنه كان رئيس قومه ، وكان الرسول (ص) يتأففه ليسلم قومه ، وقد أسلم فى عهد الرسول (ص) وارتد فى خلافة أبي بكر وحارب ، ثم رجع الى الاسلام ، وحضر بعض الفتوح فى عهد عمر ، وهو الذى استأذن له ابن أخيه الحر بن قيس فى الدخول على عمر ، فلما دخل قال : يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل ، وما تحكمم بيننا بالعدل ، فعضب عمر حتى هم بأن يقع به — يبالغ فى ضربه — فقال الحر : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبية (ص) « خُذِ الْعَمَّوْ ،

وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ» وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقفا عند كتاب الله - روى ذلك البخارى فى كتاب الاعتصام، وسواء كان المستأذن على الرسول (ص) مخزما أو عينته فالقصة مشكلة من جهة المعنى إذ كيف ينم الرسول (ص) شخصا رآه مقبلا، ويقول فيه: بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة، ثم يهش فى وجهه، وينبسط له حينما جلس معه وهل هذا إلا التظاهر بغير ما يضر، فكيف يصدر هذا من الرسول الكريم، الذى شهد له رب العالمين بأنه على خلق عظيم، لقد أوجب عن هذا الذم بأنه من باب النصيحة للأمة، والتحذير لها من أن تغتر بذوى المظاهر الجميلة، أرباب الطوايا الخبيثة، فتقع فى شركهم، ويصيبها شر من جهتهم، بل استدل بهذا الذم على جواز غيبة من أعلن الفسق، أو الفحش، أو جار فى الحكم، أو دعا إلى بدعة جهاراً، أو نحو ذلك، وهذا الاستدلال لا يتم إلا إذا كان من عابه الرسول (ص) بهذه المثابة، وأوجب عن التطلق فى وجهه والتبسط إليه بعد ذلك الذم بأنه من باب المداراة، اتقاء لشره، وليس من قبيل المداهنة فى الدين التى هى من مساوى الأخلق. قال القرطبي: والفرق بين المداراة والمداهنة أن المداراة بذل الدنيا لصالح الدنيا أو الدين أوهما معا، وهى مباحة، وربما استحبت، والمداهنة ترك الدين لصالح الدنيا، والنبي (ص) إنما بذل له من دنياه حسن عشرته، والرفق فى مكالته، ومع ذلك فلم يمدحه بقول، ولم يناقض قوله فيه فعله، فإن قوله فيه قول حق، وفعله معه حسن عشرة، فيزول بهذا الاشكال، ذلك ما أجابوا به ولا زال فى النفس من هذا الذم والتطلق شيء، ولا زلنا نرى مقام الرسول (ص) وكرم خلقه فوق ذلك الموقف، وإن الذى نجمده فى نفوسنا كالذى وجدته عائشة وإذا كان الغرض من ذلك التبسط التألف له كان من تمامه ألا يذكره بسوء قد يصل خبره إليه، وإذا كان الغرض المداراة كفى فيها مقابله له بمجال عادية ليس فيها تصنع، ثم كيف يظهر على وجه الرسول (ص) خلاف ما فى نفسه، ووجهه مرآة قلبه، ثم هل كان عينته بدرجة من القوة والشر بحيث يخشاه الرسول (ص)

وإدباره؟ أما جواب الرسول (ص) فإنه الحق لا مريّة فيه ، فإنه لم يكن فأحشا في حال من أحواله ، وصدق فيما قال ، أما أن يُظهِر للانسان خلاف ما في نفسه ، ويبدى له البشاشة وفي قلبه الكراهة فذلك مايجل عنه مقام الرسالة .
« و بعد » فالرجاء إليك أن تكون حبا للمسلمين لا ضدا ، وسلما لهم لا حربا . وأن تدع شر الأعمال لتجنب شر المنازل عند الديان ، واعلم أن قوة الله فوق كل قوة ، وأن بطشه شديد ، فلا تغتر بقوتك ، ولا ترعب الناس بسطوتك ، فإخذك القهار أخذ عزيز مقتدر ، يوم يؤخذ بالنواصي والأقدام .

الحديث ٥٣

في النيمة وعقابها

عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ ، وَفِي رِوَايَةٍ : نَعْمٌ — رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَأَبُو دَاوُدَ
وَالْتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ

اللفظة : القتات النعام ، يقال : قت الحديث يقته قتا إذا زوره وهياه وسواه ، وقيل النعام الذي يحضر القصة فينقلها ، والقتات الذي يتسمع من حيث لا يعلم به ثم ينقل ما سمعه ، والنعام الذي ينقل حديث الناس بعضهم في بعض على وجه الوشاية والسعاية والافساد ، والنيمة الوشاية ، وأصلها الهمس والحركة الخفيفة ، ويقال نم نم ونيم نيمًا ونيمًا ، والنيمة الاسم ، والرجل نمّ ، ونموم ، ونمام ، ونممّ ، وهي نمة
الشرح : قال الله تعالى : « وَلَا تَطْعُمْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ، هَمَّازٌ مَاءٌ بِنَمِيمٍ »
فهمى تعالى عن طاعة المهاز الطعان ، العيَاب المقتاب ، الذي يمشى بين الناس بالوشاية والافساد ، لأنه باعث الفتن ، وزارع الاحن ، ومتطعم الصلات ، ومفرق الجماعات يجعل الصديقين عدوين ، والأخوين أجنبيين ، والزوجين متنافرين ، والولد

حرباً لأبيه ، والأبَ ضداً لبنيه ، فهو غراب بين ، ونذير شر ، وحمال حطب ، ومشعل لهب ، فكانت طاعته حراماً ، ونهيه لزاماً ، فإياك أن تأخذ قوله مسلماً ، وترتب عليه عداً ، وتحاصماً ، فانه فاسق ، وقد أمرنا الله بالتثبت في خبره ، والتحرى عن صدقه « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَجْهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » بل ان كنت مؤمناً كريماً فلا تشغل نفسك بمحدث الأئمّة ، ولا تضع من وقتك في تسمع أخبار السفهاء ، وظن الخير باخوانك وأقرائك ، وأهم النمام الجهول ، بل قبح له عمله ، وبغض إليه نمّه ، وقل له : لا تفسد بيني وبين إخواني ، ولا تبغض إلى أعوانى ، وخير لك أن تذكر ما يزيد الصلة متانة ، وعراً الأئمة وثيقة ، وإن من ينقل عن غيرك إليك أحاديث السوء ، ينقل عنك إلى غيرك ، فلا تجعله موضعاً لثقتك ، واجعل وشايته دبراً أذنتك

واعلم أن قتل الأنبياء قد تكون فيه مصلحة شرعية ، ومنفعة عمومية ، كمن يتأذى ، إلى شخص مكيدة يدبرها له الخصوم من قتل أو سرقة ، وكن يعرف الأئمة والملوك سيرة الحكام الظالمين ، والموظفين الخائنين ، فهذا لاجرح فيه ، بل ذلك واجب ، حقناً للدماء والأموال ، ونصحا للرعية والولاية ، والدين النصيحة وقد بين الرسول (ص) أن الجنة لا يدخلها قتات ، لأنها دار المتقين ، وهذا من الجرمين ، ما لم يكن له من الحسنات ، ما يمحو أثر السيئات ، أو الغرض من العبارة التحذير من القتل ، والتنبيه إلى خطر النم ، أو المراد : لا يدخلها أول الأمر ، حتى يطير بالنار من خبث الوزر ، ثم يدخلها طاهراً طيباً

الحديث ٥٤

في ذى الوجهين ، المتلون بلونين

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَجِدُ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهِينِ ، الَّذِي يَأْتِي هَوْلَاءَ

بِوَجْهِهِ ، وَهَوَّاءُ لَاءُ بِوَجْهِهِ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ

من الناس من يظهر لك إذا قابلك أنه صديقك الحميم ، الحريص على مصلحتك ، الساعي في منفعتك ، وأنه عدو لعدوك ، وأنه حرب عليه مثلك ناصب له حِبَالَةَ الشَّرِّ ، فتغتر بقوله ، وتنخدع بوشيه ، فتفضى إليه بسر نفسك وتبوح له بخبائثه أمرك ، وتحذثه عن عدوك ، وبما تنقم منه ، وتعيب عليه ، وما تدبره له ، أو تتقى به شره وضره ، وكيد ومكره ، فاذا ما فارقك ذهب إلى عدوك وباح له بكل سررك ، ودخيلة نفسك ، وطعن له في عرضك ، ونال من شرفك ، وأظهر له أنه عدو لك ، وحرب عليك ، وأنه له الصديق الوفي ، فتطمئن نفسه إليه وينطلق فيك بالذم ، وفي عرضك بالنهش ، ثم يحدث هذا بما فكر فيه وقدر ، ويبت له ودبر ، فيذهب به إلى الأول ، ويقصه عليه قصا ، حتى يوغر صدره إيفارا ويشغل في قلبه نارا ، فيزداد العدا ، وتربو الشحنة ، وهكذا دواليك بين الاثنين أو الحزبين ، حتى تتأجج نيران العداوة ، وترمى بشرر كالكفر ، فمثل هذا منافق كذاب ، محتال خداع ، غشاش تمام ، فكان لاريب عند الله من الأشرار ، حريا بصلى النار ، وهذا هو ذو الوجهين ، المتلون بلونين ، اللابس لباسين ، وليس منه من يسعى بالإصلاح بين خصمين ، أو حزبين متعادين ، فيحكي لكل فريق أحسن ما قال الآخرفيه ، ويسكت عما ذكر من مساويه ، ويعتذر لكل عما كان من الآخرفيه ، من دواعى الخصام ، وأسباب العدا ، حتى ينزع الكراهة من نفسهمانزعا ، ويزرع المحبة في قلوبهمانزعا ، فاذا بالخصمين صديقان ، وبالعدوين أخوان ، انما هذا ناصح أمين ، ومخلص كريم ، فله من الناس الشكر الجزيل ، ومن الله الثواب العظيم « وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءً مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا »

الحديث ٥٥

في الظن والتجسس والتحاسد والتدابير الخ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلَا تَجَسَّسُوا ، وَلَا تَحَسَّسُوا ، وَلَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، كَمَا أَمَرَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يَحْذُلُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ ، بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : مَالُهُ ، وَدَمُهُ ، وَعِرْضُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ ، وَلَا إِلَى صُورِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ ، التَّقْوَى هَهُنَا ، التَّقْوَى هَهُنَا ، التَّقْوَى هَهُنَا ، التَّقْوَى هَهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْأَدَبِ مِنْ صَحِيحَيْهِمَا مِنْ طُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَالْأَفَاطَةُ فِيهِمَا مُفْرَقَةٌ

اللفظ : أصل التجسس تعرف الشيء ، من طريق الجس أي الاختبار باليد ، والتجسس تعرفه من طريق الحواس ، ثم استعمالاً في البحث عن عيوب الناس ، وقيل : إن الأول البحث عن العورات ، والثاني الاستماع لحديث القوم ، وقيل : الأول : البحث عن بواطن الأمور ، وأكثر ما يقال في الشر ، والثاني ما يدرك بحاسة العين والأذن كما في قوله تعالى « يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ » وقيل : التجسس تتبع العورات لأجل غيره ، والتجسس تتبعها لنفسه ،

والحسد تمنى زوال النعمة عن مستحقها اقترن ذلك بسعى أم لا ، والتدابير فسر
بالتهاجر ، وبالتعادي ، وبالإعراض ، وهي معان متقاربة ، وأصله إعطاء كل دبره
للاخر إعراضاً ، والحفر الاحتقار أى الاستصغار والاستقلال ، وبجسب امرئ أى
كفايته أو كافيته ، والباء رائدة ، والعرض موضع المدح أو الذم من الانسان سواء
كان فى نفسه ، أو فى سلفه ، أو من يلزمه أمره ، وقيل هو جانبه الذى يصونه من
نفسه وحسبه ، ويحامى عنه أن ينتقص ويسلب ، والتقوى الوقاية والضيانة مما
يضر وذلك بفعل الأوامر ، وترك النواهي .

الشرح : فى الحديث نهى عن ستة أشياء ، وأمر بالأخوة ، وبيان لما تقتضيه ،

ولما حرم من المسلم على المسلم ، ولما ينظر اليه الرب من المرء ، وهاك البيان :

(١) إياكم والظن : الظن هنا التهمة التى لاسبب لها ، كمن يتهم رجلاً بالفاحشة

من غير أن يظهر عليه أثرها ، فهذا ظن سوء لا مبرر له ، وهو الذى نهى الله عنه

بقوله « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ » ولا

يدخل فى الظن المحرم الظن بمن أورد نفسه موارد الريب جهرة ، ولا الظن فى الأمور

المعاتية ، ولا حسن الظن بالله تعالى ، ويدخل فيه الظن فى الالهيات والنبوات فانه

محرم ، والواجب فيها اليقين ، وقد استدل بالحديث على منع العمل فى الأحكام

بالاجتهاد والرأى لأنه عمل بالظن ، ولكن أوجب عن هذا بأن الظن المحرم ظن

مجرد عن الدليل ، ليس مبنيًا على أصل ، ولا تحقيق نظر ، وقد وصف الرسول

(ص) الظن بأنه أ كذب الحديث ، واستشكل ذلك من جهتين ، الأولى أن الظن

ليس من قبيل الحديث حتى يكون أكذبه ، بل هو عمل نفسى ، والثانية أن تعدم الكذب

الذى لا يستند الى ظن أصلاً أشد من الأمر الذى يستند إلى الظن ، فكيف

يكون الظن أ كذب الحديث ؟ والجواب عن الأولى أن الظن حديث نفسى ،

فيوصف بالكذب إذا لم يطابق الواقع ، أو أن المراد بالظن ما ينشأ عنه من الكلام ،

والجواب عن الثانية - أن وصفه بذلك للإشارة إلى أن المراد به ظن لا يعتمد على

شئ ، فهو لا يطابق الواقع ، فكان لذلك كذباً ، وكان أ كذب الحديث لأن

الاغترار به أكثر من الكذب المحض لخفائه في الأكثر، ووضوح الكذب المحض، أو أن وصفه بالكذبية مبالغة في ذمه، لأن الكذب معروف وصاحب الظن معتمد بزعمه على شيء، فكأنه في نظره غير قبيح، فقبحه بوصفه بذلك تنفيراً منه (٣، ٢) ولا تجسسوا، ولا تحسسوا - تقدم الفرق بينهما، وقد نهى القرآن عن التجسس، والمراد المنع من تتبع عورات الناس. والبحث عن مثلهم بأي طريق، فنكتفى منهم بالظاهر، ونكل الى الله أمر الباطن، نعم لو تعين التجسس طريقاً لدرء مفسدة كبيرة، أو جلب مصلحة عظيمة لم يكن محرماً، كما اذا علمنا أن أشخاصاً عزموا على ارتكاب جريمة قتل أو سرقة مثلاً، فتجسسنا عليهم لنحول دون وقوع الجريمة أو لنقبض عليهم، أو تجسسنا لمعرفة جناة ارتكبوا جريمة وفروا فانه لا حرج في ذلك.

(٤) ولا تحاسدوا: أي لا يحسد بعضهم بعضاً ويتمنى زوال ماله من النعم اليه أو الى غيره، ماله كانت أو غيرها، فان هذا ينافي خلق المؤمنين، الذين يحبون لغيرهم ما يحبون لأنفسهم، وقد نهى الله عن ذلك التمني بقوله « وَلَا تَمَنَّوْا مَا فِى يَدَيْهِمْ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَأْمُرْنَا بِالْعُرْوَةِ مِنْ شَرِّ الْحَاسِدِ قَوْلُهُ « قُلْ لَأَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، . . . ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ » والحسد مذموم، وإن لم يقرن بسعى في سلب النعمة عن الغير، نعم لو خطر للانسان فجاهده، ولم يمكن له من نفسه يرجي له الصفح عنه « إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَدَاوَرُوا فَادِّبُوا فَادِّبُوا مُبْصِرِينَ »

(٥) ولا تباغضوا: المراد بذلك تجنب أسباب البغض لأن البغض لا يكتسب ابتداءً، فكل ما يسبب الكراهة والعداوة محذور على الانسان فعله، نعم البغض في الله محمود لأنه كراهة للشر أن يقع، ومحبة للعباد أن يقلع ويتطهر، وهذا إحساس شريف لا يفارق المؤمن.

(٦) ولا تدابروا: بيناً التدابر في اللغة، والمراد بالنهاي ترك التقاطع والتهاجر.

وقال مالك في الموطأ : لا أحب التدابر إلا الإعراض عن السلام ، يدبر عنه بوجهه ، وهذا نوع منه .

(٧) الأمر بالأخوة - أمرنا الرسول (ص) بالأخوة في قوله : وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله ، أى كونوا كإخوان النسب في الشفقة ، والرحمة ، والمواساة ، والنصيحة كما أمر الله في قوله « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » فانه وإن كان خبراً فانه في معنى الأمر ، والغرض من هذا أن يكون الشعور بين أفراد المسلمين كالشعور بين أفراد الأسرة الواحدة ، بمعنى كل فرد في مصلحة الآخر ، ودفع الضرر عنه ، فان رابطة الايمان فوق رابطة النسب ، حتى أنه لا طاعة لمخلوق وإن كان أباً في معصية الخالق « وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ، وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا »

(٨) ما تقتضيه الأخوة : المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم : المراد بأخوة المسلم للمسلم توثق العلاقة بينهما توثقاً يستدعى المحبة والمودة ، والرفق والشفقة ، والملاطفة والمؤانسة ، والتعاون في الخير ، مع صفاء القلوب ، وبذل النصيحة ، وهذه الاخوة تستدعى نفى الصفات التي بعدها ، فلا ينتقص المسلم حقوق أخيه ، ولا يخذله إذا دعاه لنصرته في حق ، ولا يستغفره ويحقره ، فان ذلك قاطع للأخوة ، باعث لاعداءه ، ويكفي المسلم شراً ذلك الاحتقار الذي يقطع العلاقات ، ويشير العداوات

(٩) حرمة المسلم : كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه : كلمة جامعة في محافظة المسلم على حقوق أخيه ، وعدم تعديه عليها بغير حق ، فلا يحل لمسلم أن يسفك لأخيه دماً « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَفْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً » ولا يستلب له مالا ، سرقة أو انتهاكاً ، أو غشاً في المعاملة ، ولا يطعن في أوصافه وأخلاقه ، أو آبائه وأجداده ، أو من يمتون اليه بسبب ، فهو يصون موضع الكرامة منه ، ويرعى جانب العزة فيه

(١٠) موضع نظر الرب : في الحديث إن الله لا ينظر الى الصور والأحساد ، ولكن

ينظر الى القلوب والا اعمال لانها موضع التقوى : حقيقة ليست قيمة المرء في زيه
 الخسر . د . و سورة الجميلة ، ولا في جسمه الضخم ، ولكن قيمته في اعمال
 طيبة ، صادره عن قلوب محاسة ، فمن صفا قلبه ، وامتلا بحسبة الله وعظمته ، ومحبة
 الخير للناس ، وصدرت منه اعمال سالحة ، تصلح بهانفسه ، وأسرتة وأمتة ، ويرفع
 بها دينه ، فذلك الرجل الذي يستحق نظر الله ورعايته ، ورحمته ومثوبته ، وإن
 كان رث الثياب ، نحيف القوام ، تفتحمه الأبصار ، فلننعتن بتطهير الباطن ، ولنسارع
 في الخيرات ، وحذار أن تشغلنا العناية بالظاهر عن العناية بالباطن ، فان ذلك أخذ
 بالقشور وترك للباب

الحديث ٥٦

في المجاهرة بالمعاصي والمجون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 يَقُولُ : كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنْ الْمَجَانَّةِ أَنْ يَمَعَلَ
 الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ ، فَيَقُولَ : يَا فُلَانُ
 عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ ، وَيُصْبِحُ يُكشِفُ
 سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ — رواه البخاري ومسلم

اللفظ : المعافاة سلامتكم من أذى الناس وسلامتهم منك ، ويقال : عافى
 الله العبد وأعفاه اذا سلمه من البليات والعلل ، أو المعافاة مفاولة من العفو بأن تغفو
 ويعفى عنك ، والعفو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه ، وأصله المحو والطمس
 والمعافى اسم المفعول من عافاه عفاء ومعافاة وعافية ، والمجاهرة الاعلان والاظهار ،
 غهى بمعنى الجهر ، يقال : جهر وأجهر وجاهر ، فالجهار والاجهار والمجاهرة بمعنى
 (٩ - أدب)

واحد ، والمجانة الاستهتار وعدم المبالاة بما يقول أو يقال له ، وبما يفعل ، يقال :
سَجَنَ اِيْمَجُنْ مَجُونًا وَمَجَانَةً وَمُجَنًّا ، وفي رواية : المجاهرة بدل المجانة ، وفي ثانية :
الاجهار ، وفي ثالثة : الجهار ، وفي رابعة : الالهجار ، يقال : أهجر في منطقه يُهجر
إهْجَارًا إذا أفض أو أكثر الكلام فيما لا ينبغي ، والاسم المُهْجَر ، والبارحة أقرب
ليللة مضت من وقت القول ، وهي من يرح بمعنى زال ، والسَّتر السَّتارة أى ما يستره
الشرح : المعاصي حى الله ، محرم علينا غشيانها ، بل أن نرتع حولها ، لتسلم
أجسام لنا وعقول ، وأعراض ونفوس ، والغشيان محذور ليلالونها ، سرًا وجهارًا ،
وإن كان الأثر مختلفًا ، والعقاب متفاوتًا ، ذلك أن المستترين في عصيانهم ، الختفين
في فسقهم ، عندهم بقية من الحياء ، إن لم يكن من الله فانه من الناس ، فلا زال
لديهم ضمير يؤنبهم ، وواعظ نفسى ينصحهم ، وإن كان مغلوبًا على أمره ، ومقهورًا
للسيطان ، ولذلك استحووا من الاعلان ، واختفوا عن الأنظار ، وإن كان الله بما
يعملون محبطًا ، هذا إلى أنهم باسرارهم ، لم يلفتوا غيرهم إلى جرمهم ، ولم يجرضوا
النفوس الغافلة بعلمهم ، على الاقتداء بهم في فسقهم ، والى ذلك أن العفو عنهم
مأمول ، اذا ماتوا وأناجوا ، وأصلحوا ما أفسدوا « وَإِنِّي لَفَقَّارٌ إِن تَابَ ، وَآمَنَ
وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى » لأن الضرر لم ينتشر ، والأثر لم يكبر ، والذنب عنهم
لم يعرف ، أما المعلنون لفسقهم ، المجاهرون بعصيانهم ، المستهترون بدينهم ، الذين
يشربون الخمر على قارة الطريق ، ويرتادون الفاحشة جهارًا ، ويتعاملون بالربا
علنا ، ويلعبون الميسر فى النوادي ، ويتجاهرون بترك الصلاة ، ومنع الزكاة ،
ويفشون المطاعم والمقاهى فى رمضان على مرأى من الناس ومنظر ، يأخذون الرشا
أمام العيون — أما أولئك فليسوا بما فتن ، وليسوا من الأذى بسالين ، ولا من
الشر آمنين ، ولا من العفو نائلين ، وكيف ؟ وإعلانهم يدل على تمكن الشر من
نفوسهم ، وامتراجه بلخومهم ودمائهم ، وأنهم فقدوا خلق الحياء ، ومات عندهم
الوازغ ، فأولئك يزیدم الله ضلالا إلى ضلالهم ، وفسقا إلى فسقهم عقابا لهم على

مجاهرتهم « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ، فَرَأَدَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا » ، « فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ » ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ » فالتوبة منهم غير مأمولة ، والنصيحة لهم غير مقبولة ، فكيف يرجى لهم من الله عفو ، ويؤمل عنهم صفح ، وسنته ونظامه أن عفوه للتائبين ، وصفحه عن المنيين ، وأن التأثر بالنصائح لمن لم يمت فيهم الاستعداد بالاستهتار في العصيان ، أما من فقدوا الاستعداد فقرع الآيات يزيدهم غيا إلى غيهم : « وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَأَدْتَهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَاْفِرُونَ » فكيف يكون هؤلاء من المعافين ؟ وإلى ذلك أن مجاهرتهم بالعصية دعوة عملية للاقتداء بهم في إجرامهم ، وسلوك سبيلهم ، فيجبهم ضعفاء الايمان ، واهنوا الارادة ، فيتحملون من وزرهم ، ويكتب لهم من فسقهم « وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا ، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » فإن أمكنهم التخلص من آثامهم بالتوبة النصوح — إن كان لها في نفوسهم موضع — فكيف يتخلصون من أوزار من أضلهم بغير علم ؟

وقد بين الرسول (ص) أن من المجاهرة والاعلان ، أو من النعش والاهجار ، أو من المجون والاستهتار ، وعدم المبالاة بالدين ، وبرقابة الخبير العليم ، وبشعور المسلمين — أن يقتترف المرء جرما بالليل ، ويغشى فاحشة تحت ستره البهيم ، حيث النفوس عنه غاولة ، والأبصار اليه غير ناظرة ، وإن كانت عين الله راعية ، وأقلام الكتبة الكرام مقيدة ، ثم يصبح ، ولم يقف على جرمه الا اعلام الغيوب ، وستار الذنوب ، فيهتك السر ، ويبوح بالسر ، ويعلن عن نفسه بالاجرام ، وعن سيرته بالسوء ، ويلطخ عرضه بدنس الآثام ، ورجس الشيطان ، فيقول للناس اذا ما أصبح وجمعتهم المجلس بالندماء ، وأرباب اللهو والخلاعة : لقد فعلت الليلة الماضية كذا وكذا ، فانتهكت عرضا ، وشربت خمرا ، ولعبت ميسرا ، وكانت ليلة ساهرة ، وصيدة طيبة . . . الخ ، فينزع ستر الله عنه ، ويكشف للناس عن نفسه الجريمة ، وقلمته للمكرة ، ويندفع السوء عن شريكه أو شريكته ، فيتأثر بروايته وقصته الذين

في قلوبهم مرض ، و يبغون ليلة كليلته ، وسهرة كسهرته . هذا هو الأحمق السفيه ، وهذا هو الماجن الأفين ، وهذا عدو نفسه ، وهذا من شياطين الانس ، الذين يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ، ويقص باطلا وزورا ، فهذا لاريب من المجاهرين ، فليس من المعافين « أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا — حرموا الثواب — بِمَا كَسَبُوا ، لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ ، وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ »
فالتزم أنخى سواء السبيل ، وإياك والعصيان ، وحذار حذار الاجهار ، والمجانة والاهتار ، فان زللت فاستتر على نفسك ، عسى الله أن يعفو عنك ، إن تبت وأنبت ، وعلى صراط الحق استقيمت ، وفي حديث ابن عمر : اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها ، فمن ألم بشئ منها فليستتر بستر الله — أخرجه الحاكم ، ورواه مالك في الموطأ من مرسل زيد بن أسلم ، والله يقينا وإياك الزلل ، ويهديننا الى أحسن العمل

الحديث ٥٧

في التواضع والكبر

عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهَبِ الْخَزَاعِيِّ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ : كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ ، وَفِي رِوَايَةٍ : مُتَضَاعِفٍ ، وَفِي أُخْرَى : مُسْتَضَعِّفٍ ، لَوْ أَقَمَّ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ : كُلُّ عُتَلٍ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ — رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالدَّسَاتِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ**

اللفظ : الضعف خلاف القوة ، ويكون في النفس ، وفي البدن ، وفي الحال ، والمتضعف والمستضعف من يتضعفه الناس ، ويتجبرون عليه في الدنيا لفقره ورثاته حاله ، أو لضعف جسمه وانحطاط قوته ، والمتضعف والمتضاعف المتواضع كأنه الذي

يتكلف الضعف ، والاقسام الخاف ، وبرَّ الله قسمه وأبره صدقه فيه ، والعتل الغليظ الجافى خَلَقه ، وكل شديد قوى تسميه العرب عتلا ، مأخوذ من العتَل وهو الأخذ بمجامع الشيء وجره بقهر ، ومنه العتَّال إن يحمل الأشياء الثقيلة ، وفسر العتل بالشديد الخصومة ، وبالجانى عن الموعظة ، وباللفظ الشديد ، وبالفاحش الآثم ، وبغير ذلك ، وكل معانيه تدور على الغاظ والقوة ، والجوَّاز فسر بالجمع المنوع ، وبالفظ العليظ ، وبالفاجر ، وبالسامين المحتال فى مشيئته ، وبالقصير البطين ، والمستكبر الذى يرى نفسه أكبر من غيره بما ليس فيه ، فهو مدَّع متكبِّف

الشرح : الرجال لا تقاس بالضخامة والمنَّة ، ولا بالشكل والقوة ، ولا بالزى

والصورة ، ولكن تقاس بالقلوب التى تحملها ، والأعمال التى تصدرها ، والأخلاق التى تلبسها ، فمن حمل قلبا سليما ، وأصدر عملا نبيلًا ، وتخلق خلقا جميلا فذلك الرجل ، يحمده الله صنيعه ، ويَجْزِل من الثواب نصيبه ، وإن كان ضعيف البنية ، واهن القوة ، رث الحال ، قليل المال ، مشوه الصورة ، أشعث أغبر ، أسود أغم ، ذا طمرين باليين ، وثوبين خَلَقين ، تقتحمه العيون ، وترد ربه النفوس ، ويستضعفه الأحق الجهول ، ويتجبر عليه ذوالبأس والسلطة ، والجاه والقوة ، ذلك هو الضعيف المتضعف ، والمسكين المستضعف ، ذلك هو الذلول المتواضع ، والخنوع المتطامن ، بل ذلك قوى النفس ، متين الخلق ، صافى السريرة ، خالص العقيدة ، لو أقسم على الله أن يهبه مالا أو علما ، أو زوجا أو ولدا ، أو قوة أو جاها لأبره فى قسمه ، وصدقه فى حلقه ، وأجابه الى رغبته ، لعلو مكانته عند الله ، وقرب منزلته اليه ، وكرامته عليه « وَتَرَى يُدْأُن نَمَنَّ عَلَى الدِّينِ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ » « أولئك همُّ الوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » أما من حمل قلبا لثيما ، وأصدر ذميا ، وتخلق رذيلًا ، فكان جافى الطبع ، غايظ القلب ، نفورا من الموعظة ، لدودا فى الخاصمة ، نظا عنيدا ، فاحشا أنيما ، نهما شرها جَوَّازا وقحا ، جموعا منوعا ، أكولا شروبا ، مختالا سميئا ، قصيرا بطيئا ، متكبرا

على الخلق، معرضاً عن الحق، إذا سمع آيات الله تنلى ولى مستكبراً، كأن لم يسمها، يستكف أن يكون لله عبداً، وبوحده مقراً، ورسوله متبعا، يتعالى بما لا يعليه، ويستكبر بما ليس فيه - من كان كذلك فهو إلى الله بغيض «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ» مأواه الجحيم، ومسكنه السعير، وإن كان ضحياً بديننا، وجباراً عتيداً «إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا، وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ - ثقب الابرة - وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ. لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ، وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ» فلا تغتر أحمى بقوتك، وتسخرها في التجبر على الضعفاء، الذين يحملون نفوساً عظيمة، وقلوباً رحيمة، فانهم عباد الله المقرَّبون، وجنده المخلصون، لا يرد عليهم دعاء، ولا ينحيب لهم رجاء «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ»

الحديث ٥٨

في حرمة الهجر

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

اللفظ: الهجر ضد الوصل، فالمراد به الترك قولاً أو فعلاً، وفسر هنا بترك

الشخص مكالمة الآخر إذا تلاقيا

الشرح: المؤمن لأخيه المؤمن ودود متودد، آلف متألف، محب متحجب

لا يعرف الهجر والعداء، والنفور والخصام، لأن ذلك يضعف المنة، ويوجب

الفرقة ، ويمزق الوحدة ، من أجل هذا حرم الرسول (ص) على الانسان أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، معها أيامها ، يلقي أحدهما الآخر ، فينأى عنه بجانبه ، ويلوى الآخر عنقه ، لا ينسان بكلام ، ولا يتنادلان السلام ، وقد دل الحديث بمفهومه على حل الهجر ثلاثاً ، رفقاً بالناس ، ورحمة بهم ، ذلك أن الهجر أثر غضب ونفور ، والغضب ثورة ، وسلطان وحدة ، يصعب التغلب عليها أول الأمر ، فرخص للشخص في ثلاث ، حتى تهدأ نار الغضب أو تتمد ، ويضعف أثره أو يزهد ، أما ما زاد عليها فحرام ما لم يكن في الهجر مصلحة راجحة ، فاذا خاف على دينه الفساد ، أو خشي الضرر على نفسه أو ديناه من المكاملة جازله الهجر ، ورب هجر جميل خبير من مخالطة مؤذية ، ولذلك أمرنا الله به في تأديب الزوجات في قوله : « وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ، وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ، وَأَصْرِبُوهُنَّ ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً » وأمر رسوله (ص) بالصبر والهجر الجميل في قوله « وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ، وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا » وهجر (ص) كعب بن مالك وصاحبيه خمسين يوماً لما تخلفوا عن غزوة تبوك بغير عذر ، وأمر أصحابه بهجرانهم ، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، وهجر (ص) نساءه شهراً ، وتهاجر جماعة من الصحابة ، ومدار البحث أنه اذا كان في الهجر مصلحة تفوق ضرره جاز وإن زاد على ثلاث ، وقد أفاد الحديث أن إثم الهجر يزول بتبادل التحية ، وأن خير المتهاجرين من يبدأ بالسلام ، فله ثواب . السابق ، وكبح جماح النفس ، فإن لم يرد عليه الآخر بآثم . وقال الامام أحمد : لا يزول الهجر بمجرد التحية ، بل لا بد من رجوع الجال الى ما كانت عليه قبل الخصام

وفي هذا الباب قصة لعائشة مع ابن أختها عبد الله بن الزبير استشكلها العلماء فذكروها لما فيها من الأدب الجم ، ونعقها بالجواب عنها
 روى البخارى عن عائشة أن عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة : والله لتنتهين عائشة ، أو لأحجرن عليها ، فقالت : أهو قال هذا ؟ قالوا :

نعم ، قالت : هو الله على نذر ألا أكلم ابن الزبير أبدا ، فاستشفع ابن الزبير اليها حين طالت الهجرة ، فقالت : لا ، والله لا أسفّع فيه أبداً ، ولا أحنث في نذري ، فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة ، وعبد الرحمن بن الأسود ابن عبد يعفوث ، وهما من بني زهرة ، وقال لها : أشد كما بالله لما أذختما نبي على عائشة ، فانها لا يحل لها أن تنذُر قطيعتي — هي خالته ومرييته — فأقبل به المسور وعبد الرحمن ، مشتملين بأرديتهما ، حتى استأذنا على عائشة ، فقالا : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أندخل ؟ قالت عائشة : ادخلوا ، قالوا : كلنا ؟ قالت : نعم ادخلوا كلكم ، ولا تعلم أن معهما ابن الزبير ، فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب ، فاعتنق عائشة ، وطفق يناشدها ويبكي ، وطفق المسور وعبد الرحمن يناشداها : إلا ما كتبه ، وقبيلت منه ، ويقولان : إن النبي (ص) نهى عما قد علمت من الهجرة ، وإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، فلما أكثروا على عائشة من التذكرة — التذكرة فضل صلة الرحم والعمو وكظم الغيظ — والتحريج — التضييق — طفقت تذكرهما ، وتبكي ، وتقول : إني نذرت ، والنذر شديد ، فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير ، وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة ، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك ، فتبكي حتى تبلى دموعها خمارها والاستشكال للقصة من جهتين : الأولى أن نذرها من قبيل نذر المعصية ، وهو لا ينعقد ، والثانية أنه ما كان ينبغي لأُم المؤمنين أن تهجر الهجر المحرم ، والجواب عن ذلك أن عائشة رأت أن ابن الزبير ارتكب بما قال أمراً عظيماً . وهو قوله : لأحجرن عليها ، فان فيه انتقاصاً لقدرها ، ونسبة لها الى ارتكاب ما لا يجوز من التبذير الموجب لمنها من التصرف فيما رزقها الله تعالى ، مع ما انضاف الى ذلك من كونها أم المؤمنين ، وخالته أخت أمه ، ولم يكن أحد عندها في منزلته ، فكأنها رأت أن في ذلك الذي وقع منه نوع عقوق ، والشخص يستعظم من يلود به مالا يستعظمه من قريب ، فرأت أن مجازاته على ذلك تبرك مكالته ، كما نهى النبي (ص) عن كلام كعب بن مالك وصاحبيه ، عقوبة لهم لتخلفهم عن غزوة

تبوك بغير عذر ، ولم يمنع من كلام من تخلف عنها من المنافقين ، مؤاخذة للثلاثة لعظيم منزلتهم ، وازدراء بالمنافقين لحقارتهم ، فعلى هذا يحمل ما صدر من عائشة - وأنها رأت الهجر من النوع المأذون فيه ، فنذرتة ، وكفرت عنه لما لم تف به بمكالمتها ابن الزبير ، وانظر هذا الأدب العالى من الصحابة مع أم المؤمنين ، وكيف كان حرصهم على مرضاتها ، وانظر حرصها على الوفاء بنذرها ، وكيف بكت لما فاتها وكيف سخت نفسها بأربعين رقبة حررتها كفارة عن نذرها ، ثم ما برحت تبكى - بعد ذلك بكاء شديدا على نذرها : أن لم تف به ، هكذا يكون الحرص على شرائع الدين ، واحترام أمهات المؤمنين

الحديث ٥٩

فى الصدق والكذب وأثرهما

عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا ، وَإِيَابًاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا - رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي

اللفظ : قال الراغب فى كتابه مفردات القرآن : أصل الصدق والكذب فى القول ، ماضيا كان أو مستقبلا ، وعدا كان أو غيره ، ولا يكونان بالقصد الأول . الا فى الخبر ، وقد يكونان فى غيره كالأستفهام والطلب ، والصدق مطابقة القول .

الضميرَ والخبرَ عنه ، فان انخرم شرط لم يكن صدقا ، بل إما أن يكون كذبا ، أو مترددا بينهما على اعتبارين ، كقول المنافق : محمد رسول الله ، فإنه يصح أن يقال : صدق لكون الخبرَ عنه كذلك ، ويصح أن يقال : كذب لمخالفة قوله لضميره ، والصدِّيق من كثر منه الصدق ، وقد يستعمل الصدق والكذب في كل ما يحق في الاعتقاد ويحصل نحو : صدق ظني ، وفي الفعل نحو : صدق في القتال ، ومنه « قد صدقت الرؤيا » هذا ما قاله الرابع ، وقال الجمهور : الصدق ما طابق الواقع ، والكذب ما خالفه ، وقال آخرون : الصدق ما طابق الاعتقاد ، والكذب ما خالفه ، والهداية الدلالة الموصلة إلى المطلوب ، والبر التوسع في فعل الخير ، وهو اسم جامع للخيرات كلها ، ويطلق على العمل الخالص الدائم ، والجنة في الأصل المرة من جنه يَجْنُه إذا ستره ، وتطلق على الحديقة ذات النخل والشجر لأنها تجن ما تحتها ، وتستره بظلها ، وتجرى الشئ تعده وقصده ، والفجور شق ستر الديانة ، ويطلق على الميل إلى الفساد ، وعلى الانبعاث في المعاصي ، وهو اسم جامع للشر ، وأصل الفجر الشق الواسع

الشرح : الصدق فضيلة الفضائل ، وأُس الخلاق ، يقوم عليه نظام الاجتماع ، وترتيب الأمور ، وسيرها السير الحميد ، وإنه ليعلى صاحبه عند الناس جميعا ، فيجعله موضع ثقتهم ، مرغوب الحديث عندهم ، محبوبا اليهم ، محترم الكرامة عند حكامهم ، مقبول الشهادة عند قضاتهم ، لهذا أمرنا به الرسول (ص) كما أمرنا القرآن في قوله « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » وأشاد بمكانته في حديثه عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب إذ يقول « وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا ، وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيمًا » ومدح به إسماعيل في قوله « وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إسماعيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ، وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا » وإدريس في قوله : « وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ، وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيمًا » والصدق يكون في القول ، وفي العقيدة ، وفي العمل ، فالصدق في القول أن يكون

مطابقا لضميرك ، أو وفق الحقيقة ، أو وفقهما معا ، وهذا يدعو الى التثبت في الحديث ، والتحرى قبله ، وألا تقول بغير علم ، فإذا حدثت عن الماضى فقل الحق ، وإذا حدثت بما نويته فاجعل حديثك طبق نيتك ، وإذا وعدت فاجعل نية الوفاء قرينة العزم ، ولا تستفهم عن أمر وأنت به عليم لتفرر بالسامعين ، والحاجة فى نفسك ولا تطلب من خادمك طلبا وقد أشرت اليه بعدم الإجابة ، أو نبهته إلى ذلك من قبل ، والصدق فى العقيدة أن تكون طبق الحاصل فى الوجود ، ففى الوجود اله واحد فعال ، يحكم ما يريد ، ويبدىء ويعيد ، فلا تعتقد له فى ذلك ندا وشريكا ، وفى الوجود محمد رسول ، فاعتقد رسالته ، وفى الوجود ظلم أمة أوعداتها ، فاعتقد ما شهد به الوجود ، وهكذا ، والصدق فى العقيدة يستدعى أولا بحثها ، وطلب الدليل عليها من الحسيات أو العقليات ، ونفى الشبهات عنها ، والصدق فى الفعل أن يكون مظهره فى الخارج طبق صورته فى النفس ، فيكون خالصا لله ، تبنى به المصلحة ، لا يشوبه نفاق ولا رياء ، ولا تريد الوصول به الى غرض دنى ، كالذى يزور عظيمًا ، مظهرًا تودده اليه ، ومحبتة له ، وهو يريد من وراء ذلك منفعة شخصية ، وكالذى يجاهد مداراة ومجارة ، أو طمعا فى مركز أو جاه ، فكل ما تقدم يشمله عنوان الصدق ، وقد بين الرسول (ص) أنه يهدى الى البر ، ويرشد الى التوسع فى الخير ، ذلك أنه مذنب الفضائل ، وجذع شجرتها ، ومترفع غصونها ، وهل الإيمان بالله ، والتصديق برسله ووحية ، إلا شعبة من الصدق ، فالصادق موفق للخيرات ، مقيم البرات ، والبر طريق الجنة ، بل مفتاحها الذى لا يفتح بغيره « إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ، عَلَى الْأَرَائِكِ — الْأُسْرَةِ — يَنْظُرُونَ ، تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ — بِهِجْتَهُ وَرَوْقَهُ — يُسْقَوْنَ مِنْ رَجِيقٍ — شَرَابٍ خَالِصٍ — مَخْتومٍ ، خِتَامُهُ مِسْكٌ ، وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ » وقد بين لنا الرسول (ص) فى الحديث مسألة من أهم مسائل الأخلاق ، وهى طريقة تربية الخلق وتكوينه ، وتقويته فى النفس وثبتيته ، وجعله فى صف الطبايع ، ذلك أن يتحرى الانسان القول الجميل ، أو الصنع المجيد ، ويعمله المرة بعد المرة ، والرابعة تلو الثالثة ، والسادسة

بعد الخامسة ، حتى يؤثر في نفسه أثرا ، ويتخذ منها مجرى ، يزداد تعمقا كلما تابع العمل ، فاذا بذلك الأثر الخلق والفضيلة ، التي تصدر عنها الأعمال الطيبة بسهولة ، فمن رغب أن يكون الصدق شيمته وخلقته ، وديدنه وطبعه ، فليتحر الصدق في أقواله وأعماله ، وليتابع ذلك ، فاذا بالصدق خلقه ، واذا به الصدِّيق ، ومن رغب أن يكون الشجاع المقدم ، والبطل المغوار ، فليخض غمار الشدائد كما دعته ، وليناضل الخطوب كما داعمته ، فاذا بالشجاعة خلقه ، ومن أراد نفسه على الكرم فليبدل من ماله كما أهاب به داعي الاحسان ، فاذا به الجواد الكريم

ومعنى كتابة الله من تحرى الصدق وتعوّده صديقا ضبط ذلك في سجله ، وحسابه في زمرة الصديقين ، وإعلان ذلك في الملا الأعلى ، فرحا به ، ورفعا لذكوره ، والوحي إلى قلوب العباد بذلك ، ليحترموه ويحلوه ، ويوقروه ويكبروه وكأن الصدق أس الفضائل فإن الكذب أس الرذائل ، به يتصدع بنيان المجتمع ، ويختل سير الأمور ، ويسقط خدنه من العمون ، لا يصدقونه في قول ، ولا يثقون به في عمل ، ولا يحبون له مجلسا ، أحاديثه منبوذة ، وشهادته مردودة ، لذلك نهى عنه الرسول (ص) وفي القرآن كثير الآيات ، المقصحة للكذب ، المنفرة منه ، المتوعدة عليه بالعذاب الشديد « وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ ، وَهَذَا حَرَامٌ ، لِيَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ، إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » « إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ » والكذب يجرى مجرى الصدق ، فيكون في القول ، والعقيدة ، والعمل ، فقول ما لا يطابق الضمير أو الواقع أوها معا ، أو لا يوافق النية كذب ، واعتقاد ما لا يساير الوجود كذب ، والرياء في الأعمال والباسها لباسا غير لباسها النفسى كذب ، وقد بين الرسول (ص) أن الكذب يهدى إلى الفجور ، ويبعث إلى الشر ، ويهتك ستر الديانة ، فاذا بصاحبه مرتطم في المعاصي ، مهالك عليها ،

وهل الشرك واتخاذ الند الذي هو أكبر جريمة إلا كذب ، وهل النفاق الذي هو شر من الكفر الصريح إلا كذب ، وكذلك النفس في المعاملة ، ونية الاخلاف في المواعيد ، والمراعاة في الأعمال كلها من ضروب الكذب ، وبين (ص) أن الفجور يهدي إلى النار ، ويرمى بصاحبه في دركها الأسفل « وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَنِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ » وكما أن الأعمال الحميدة بتحررها وتعودها تتكون الأخلاق العالية ، التي هي مصدر الخيرات ، كذلك الأعمال السيئة اذا تحراها الانسان وتعودها ، وضرى بها كونت في نفسه الأخلاق السيئة ، التي هي مصدر الشرور والآثام ، فمن سمح لنفسه بكذبة مرة ، وأتبعها بأخرى ، وعززها بثالثة ، فرابعة ، وهكذا أصبح الكذب خلقا له ، وصار الكذاب المهين ، فلتجتبها نفسك ، ولئلا تصبح خلقك أو طبعك دع المحارم ، وإن وقعت في شيء منها فبادر إلى التوبة ، وحذار العود والتكرار ، فتكون من المهالكين ، وكتابة الله متعود الكذب كذابا تدوين ذلك في صحيفته السوداء ، وحسابه من حزب الكاذبين المنافقين ، والتشهير به في الملا الأعلى ، وإلهام النفوس أن تتجه وتحتقره ، وتزدر به وتمتته ، فاذا به بين الناس الطريد المهين ، الكريه البغيض فالترم أخى نهج الصدق لتكون الصديق ذا المكانة العالية بين الناس ، والدرجة الرفيعة عند الله ، ولا تقس الكذب حتى لاتكون الفاجر الأثيم ، والكذاب المهين ، واجعل صحيفتك بيضاء نقيه ، ومكاتبك في المقرين عليّة

٦. الحديث

في ضبط النفس

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ — رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ

اللفظة : الصرعة المبالغ في الصراع الذي لا يغلب ، فهو صيغة مبالغة من الصرع وهو الطرح على الأرض

الشرح : بين الرسول (ص) في الحديث أن الشديد ليس الذي يصرع الناس ولا يصرعونه ، ويطرحهم على الأرض ولا يطرحونه ، وإنما الشديد حقا الذي يملك نفسه عند ثوران الغضب ، فيقهرها بحلمه ، ويصرعها بثباته ، ولا يمكنها من أن تسترسل مع تيار الغضب ، فتشتم وتسب ، وتضرب وتقتل ، وتخرج عن سنن الاعتدال في أقوالها وأفعالها ، تلبية لداعى الانتقام ممن أثار حفيظتها ، وإنما كان الشديد بحق من ملك نفسه عند الغضب لأن النفس الأمارة بالسوء شر خصوم الانسان ، وأعدى أعدائه ، لأنها تدفع به الى المعاطب ، فاذا ملك زمامها ولم تملكه قهر أقوى خصومه ، فكان أشد بأسا من الصرعة ، واعلم أن الغضب غريزة في الانسان كاملة يثيرها اعتداء على حق ، أو انتهاك لحرمة ، وهو اذا ثار احمر منه الوجه والعيان ، وانتفخت الأوداج لثوران الدم ، والمرء اذا جراه ، فاندفع في الانتقام أرداه ، فالواجب مجاهدة النفس في هذه الحال ، ومنعها مما أرادت ، فان ظفر بها فذلك الجندي الباسل ، الذي صرع أشد أعدائه بأسا ، وضبط النفس هو الفضيلة التي علا بها العظماء ، ومكّن بها لمجدهم القادة والزعماء ، وهي أس الاحسان في الفكرة ، ووزن الأقوال بميزان الحكمة ، وصدور الأعمال وفق المصلحة ، وهي تجعل صاحبها الثبّت الرزين ، القرمّ الرصين ، ذا النفس المطمئنة ، والأخلاق الهادئة ، وإنها لتحمي الانسان من الطيش والنزق ، والهلع والفرق ، وتدعو الى احترامه وإجلاله ، وتوقيره وإكباره ، فاملك زمام نفسك عند الغضب تكن أشجع الناس

الحديث ٦١

في الحياء وأثره

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ — رواه البخاري ومسلم وأحمد

اللغة : اختلفت العبارة في الاعراب عن معنى الحياء ، فقيل : هو خلق يبعث على فعل الحسن ، وترك القبيح ، وقيل : هو انقباض النفس خشية ارتكاب ما يكره ، وقيل : خوف الذم بنسبة الشر اليه ، وقال الزنجشري : هو تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم ، واشتقاقه من الحياة ، يقال حيى الرجل كما يقال : نبي وحى وشظى الفرس اذا اعتلت هذه الأجزاء — النساء وهو عرق ، والحشى وهو مادون الحجاب مما في البطن ، والشظى وهو عظيم مستدق لازق بالركبة أو بالذراع أو عصب صفار فيه — جعل الحيى لما يعتريه من الانكسار والتغير متنكس القوة ، منتقص الحياة كما يقال : هلك فلان حياء من كذا ، ومات حياء ، ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء ، وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا وقال الراغب : الحياء انقباض النفس عن القبيح ، وهو من خصائص الانسان ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتهى ، فلا يكون كالبهيمة ، وهو مركب من جبن وعفة ، فلذلك لا يكون المستحي فاسقا ، ولما يكون الشجاع مستحيا ، وقد يكون لمطلق الانقباض كما في بعض الصبيان اه

الشرح : اذا كان الحياء تغيرا نفسيا ، وخالقا باطنيا ، يحول بين المرء والقبايح ، أو يمنع من عمل ما يعاب به ويذم ، أو ينقذ عليه ويعنف — كان لاشك خلقه محمودا ، لا ينتج الا خيرا ، فالذى يمر بخياله فعل الفاحشة ، فيمنعه حياؤه من اجتراعها أو يسبه شخص ، فيمنعه الحياء من مقابلة السيئة بمثلها ، أو يسأله سائل ، فيجول

حياؤه دون حرمانه ، أو تقابله فتاة جميلة ، فيفض الحياء بصره ، و يستبرئه مدين
ممسر من دينه ، فيأبى عليه حياؤه الا الإبراء ، أو يرضه مجلس ، فيمسك الحياء
بلسانه عن الكلام فيما لا يعنيه ، أو الخوض فيما لا يجيده — الذى يكون للحياء
فى نفسه هذه الآثار الحسنة ، والأعمال الطيبة ذو خلق محمود ، وفى حديث عبد الله
ابن عمر عند البخارى أن النبي (ص) مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه فى
الحياء فقال رسول الله (ص) دعه ، فان الحياء من الايمان ، وأعلى درجات الحياء
ما كان ناشئاً عن الشعور برقابة الله ، وعظم حقه عليه ، فان هذا يقم المرء على صراط
الحق ، لا يلتوى عنه يمناً أو يسرة ، وفى حديث عبد الله بن مسعود عند الترمذى
أن النبي (ص) قال : استحيوا من الله حق الحياء ، قلنا : إنا نستحي من الله
يا رسول الله ، والحمد لله ، قال : ليس ذلك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء
أن تحفظ الرأس وما وعى — كالسمع والبصر واللسان — والبطن وما حوى ، وتذكر
الموت والجبل ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا — لم يفتن بها حتى تشغل
عن الواجبات — وآثر الآخرة على الأولى ، فمن فعل ذلك فقد استحي من الله حق
الحياء ، وعن بعض السلف : رأيت المعاصى مذلة ، فتركها مُروءة ، فصارت ديانة ،
وقد يتولد الحياء من الله تعالى من القلب فى نعمه ، فيستحي العاقل أن يستعين بها
على معصيته

وليس من أثر الحياء قعودك عن مواجهة من يرتكب إثماً ، ونهيه عن ذنبه ،
ولا عدم مطالبتك بحق أنت فى حاجة اليه ، ولا تركك السؤال لأستاذك عن مسألة
خفيت عليك ، أو ترى فيها غير ما يرى ، خجلاً منه أو من إخوانك ، أو خشية أن
تكون مخطئاً فى رأيك ، ولا تركك القول فى مجلس رفع الباطل فيه أو الخطأ رأسه ،
وأنت بالحق والصواب عليم — كل ذلك وأشباهه ليس من أثر الحياء الحمود ،
إنما ذلك أثر العجز والمهانة ، والجبن والحقارة ، وإطلاق الحياء عليه للشبه بينه وبين
الحياء الحقيق ، ولقد كان رسول (ص) أشد حياء من البكر فى خدرها ، وما ترك
النهي عن المنكر ، ولا أقر باطلا ، ولا سكت على خطأ ، وفى الصحيح عن عائشة قالت :

رحم الله نساء الأنصار ، لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن ، وأن يتفقهن على الدين ، وروى البخارى عن أم سلمة أنها قالت : جاءت أم سليم الى رسول الله (ص) فقالت : يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق ، فهل على المرأة غسل اذا احتلمت ؟ فقال : نعم اذا رأت الماء ، وروى أيضا عن أنس قال : جاءت امرأة الى النبي (ص) تعرض عليه نفسها ، فقالت : هل لك حاجة في ؟ — تريد الزواج به — فقالت ابنته : ما أوقل حياءها ، فقال : هي خير منك ، عرضت على رسول الله (ص) نفسها

الحديث ٦٢

في مفاسد من حرموا الحياء

عَنْ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى : إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ — رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ

اللفظ : النبوة سفارة بين الله وبين ذوى العقول من عباده لازاحة علمهم على أمر معادهم ومعاشهم ، وحيي ، واستحي واستحيا بمعنى واحد ، والأخير أعلى وأكثر ، وقد قدمنا في الحديث السابق شرح الحياء

الشرح : من يوم أن خلق الله الانسان وجدَّ النزاع بين بنيه بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ، فكان فيه الحكم البالغة ، والنصائح القيمة ، وكان منها ما سار في الناس مسير الأمثال ، فبقى على ممر الخيوب والأجيال ، ومن ذلك « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » أى اذا لم يكن لدى المرء حياء يحول بينه وبين الشرور ، ويجنبه غشيان الزور فليفعل ما بدا له من خير أو (١٠ - أدب)

شر ، حق أو باطل ، طيب أو خبيث ، معروف أو منكبر ، يجر اليه الذم والملام ،
والعيب والعار ، أم لا يجر ، فإن الله تعالى محص عليه ما يصنع ، مقيد ما يعمل ،
وسيجزيه الجزاء العادل على ما كسبت يديه ، فالأمر في العبارة للتوبيخ والتهديد ،
وفيه إشعار بأن الحياء هو الذي يحول بين المرء ومواقفة السوء ، وأن من حرمه
هو في بثورة الفساد لا محالة ، حتى كأنه يأمر بارتكاب كل ضلالة ، ومقارفة
كل سيئة ، وقيل : إن الأمر هنا للإباحة ، وأن معنى العبارة : إذا كنت في فعلك
آمناً من أن تستجى منه لجريانك فيه على سنن الصواب فاصنع ما بدا لك ،
لا حرج فيه عليك ، والمعنى الأول هو المتبادر الى الفهم

نرى في هذا العالم شراراً لتأما ، وفسقة فخارا ، يعتدون على الحرمات ، فيسفكون
الدماء ، ويسلبون الأموال ، ويهتكون الأعراض ، لا يقدسون حقاً ، ولا يحترمون
رأياً ، تفرغ آذانهم قوارع الناصحين ، وعظمت المخلصين ، وكأن لم تكن قارعة ،
وكان لم يسمعوا عظة . في سبيل المحافظة على جاههم ، وبقاء سلطانهم يجتروحون
كل فاحشة ، ويقترفون كل مظلمة ، وتخنق الخريات ، وتصدع الجماعات ، ثم
يعجب صوافى النفوس ، وطهرة القلوب : كيف لا ترعوى هذه عن غيرها ؟ أليس
لها قلب ؟ أليس فيها عاطفة ؟ أليس فيها من الانسانية بقية ؟ ولو سمعوا هذه الكلمة
الخالدة ، وفتحوا هذه الحكمة البالغة لعرفوا السبب ، وبطل العجب ، ذلك أنهم
قددوا خلق الحياء ، فصنعوا ما شاءوا ، واقترفوا ما أرادوا ، وإن كان في ذلك هلاك
العباد ، وخراب البلاد « وَمَنْ يُضِلِّ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ »

الحديث ٦٣

في حذر المؤمن

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ - رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَأَبُو دَاوُدَ
وَابْنُ مَاجَةَ

اللغة: اللدغ ما يكون من ذوات السموم ، واللدغ ما يكون من النار

الشرح: سبب الحديث أن النبي (ص) أسر أبا عزة الشاعر يوم بدر ،
فذكر له بقره وعياله ، فن عليه النبي (ص) وأطلقه بغير فداء ، وعاهده ألا
يحرص عليه ولا يهجو ، فلتحق بقومه ، ثم رجع الى التحريض والهجاء ، ثم أسر
يوم أحد ، فسأله المن ، فقال : لا تمح عارضيك بمكة تقول : سخرت بمحمد مرتين
وأمر به قتل وقال : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين

والحديث ورد بصيغة الخبر - برفع يلدغ - وبصيغة النهي - بكسر يلدغ -
فعلى الأول هو إخبار في معنى الأمر أى ليكن المؤمن حازماً حذراً ، كىسا فطنا ،
لا يؤتى من ناحية الغفلة ، فيلدغ مرة بعد أخرى ، فى أمر الدين أو الدنيا ، أو هو
إخبار عن شأن المؤمن الكامل الذى أوقفته تجار به على غوامض الأمور ، وأنه
دائماً يعتبر فى المستقبل بحدوث الماضى ، وأما المؤمن المغبل فقد يلدغ مراراً ، وعلى
أنه نهى فعناه مقال شارح المشكاة : إنه (ص) لما رأى من نفسه الزكية الكريمة
الميل الى الحلم والعفو عن أبى عزة جرد منها مؤمناً كاملاً ، حازماً ذا شهامة ، ونهاه
عن الانخداع ، وكأنه قال له : ليس من شيمة المؤمن الحازم الذى يفضب الله ، ويذب
عن دينه أن ينخدع من مثل هذا الفادر المتمرد مرة بعد أخرى ، فانته عن حديث
الحلم ، وامض لشأنك فى الانتقام منه ، والانتصار من عدو الله ، فان مقام الغضب
لله يأبى الحلم والعفو ، ومن أوصافه (ص) أنه كان لا ينتقم لنفسه إلا أن تنتهك
حرمة الله ، فينتقم لها ، وقد ظهر من هذا أن الحلم مطلقاً غير محمود ، كما أن الحرد
كذلك ، فمقام التحلم مندوب اليه ، ولكن مع المؤمنين ، وأما الأعداء فلهم
الغلظة ، ألا ترى قوله تعالى فى وصف الصحابة : « أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ،
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ »

ولعلك عرفت بهذا أن الايمان لا يتفق والنفلة ، بل يقتضى الحذر والحيطه ، وأن أولئك الذين يضحك عليهم ، ولا يتعظون بالماضى ، ولا يستفيدون من التحارب لم يكمل الايمان بعد فى نفوسهم ، وإن كانوا قائلين برسوم العبادة ، فالؤمن كيس حذر ، من خُلِّقه الاعتبار بكل بلاء ، ولعل مستمد هذا الحديث من القرآن قوله تعالى حكاية عن يعقوب « هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ » وقوله تعالى فى وصف المنافقين « أُولَٰئِكَ يَرْوَنَ أَنَّهُمْ يَفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ ، وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ »

الحديث ٦٤

فى لواء الغادر

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ
الْغَادِرَ يُرْفَعُ لَهُ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يُقَالُ : هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ
فُلَانٍ — رَوَاهُ الشَّيْخَانِ

اللفظة : الغدر الاخلال بالشئ وتركه ، ويقال لترك العهد وعدم الوفاء به ،

واللواء العلم والراية ، ولا يمكها الا صاحب الجيش

الشرح : قال تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » وقال « وَأَوْفُوا
بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا » وقال « وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ، وَلَا
تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ، وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ، إِنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ »

المؤمن صادق القول ، وفى العهد ، ليس الغدر من شيمته ، لأنه يخل بنظام
الحياة ، ويسد على المرتدبيره لمصلحته ، وهو ضرب من الكذب ، والكذب أس
النفاق ، وإضرار بمن عاهدته ، ولا ضرر ولا ضرار ، وقد بين الرسول (ص) فى هذا

الحديث أن الغادر شهَّر به على رؤس الأشهاد يوم القيامة حيث العالم كله مجتمع ، فينصب له لواء ، ويرفع له علم في الموقف بحيث تراه العيون ، ويقال : هذه غدرة فلان بن فلان . تشنيعاً عليه وتقييحاً ، وتوبيخاً له وتعذيباً ، وتصور أنك في حفلة جامعة ، وأنت بين يدي ملك ، ثم نادى مناد : هذا فلان المجرم ، هذا الذى عدر ، هذا الذى كذب ، ألا تكاد تصفق من هذه النسبة ، وإن كانت صادقة ؟ فإذا كان هذا هو الأثر في مجتمعاتنا الخاصة فما بالك بالمحشر العام الذى لا يدع مخلوقاً من يوم أن كان آدم الى أن ورث الله الأرض ومن عليها الاضمه ، ذلك الموقف الذى يتجلى فيه رب العالمين ، ويحاسب كل إنسان على الصغير والكبير ، لاشك أن العذاب مبرح ، والهول مفزع ، اذ تقول : يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ، وهذا اللواء المرفوع قد يكون لواء حقيقياً ، فيه رمز لصاحبه ، وإشارة الى غدرة ، وقد يكون الغرض إشهار الغدرة من غير ملاحظة أن يكون هناك لواء مرفوع ، والغرض من الحديث التنفير من النذر ، وبيان أنه جريمة كبيرة ، وأن صاحبه عند الله مهين ، وعقابه أليم

الحديث ٦٥

في السلام ، ومن يبدأ به

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يُسَلِّمُ الرَّاَكِبُ عَلَى الْمَأْشِيِّ ، وَالْمَأْشِيُّ عَلَى الْقَاعِدِ ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

السلام نحية مباركة سنها الله للمسلمين . قال تعالى : « فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ » وهذا الحديث بين لنا الأحق ببدء السلام ، فأولا الزاكب يسلم على الماشي ، لأن الغرض من السلام استجلاب المودة ، ودفع النفرة ، وتآلف القلوب ، والزاكب أحسن حالا من

المأثي ، فالبدء من جهته دليل على تواضعه لأخيه المسلم في حال رفعته ، فكان ذلك أجلب لمحبته ومودته ، وحكمة أخرى أن السلام تحية الوارد على غيره ، والراكب أسرع في السير من المأثي في الأكثر ، فكان الوارد عليه ، فندب له الابتداء بالسلام ، وإذا تلاقى راكبان أو ماشيان فأيهما أحسن حالا بدأ أخاه ، فان تساويا بدأ أيهما شاء ، وللبادى فضل على غيره ، ثانيا المأثي يسلم على القاعد لأن السلام تحية الوارد عرفا ووضعا ، والوارد هنا هو المأثي ، ثم إن القاعد قديتوقع الشر من القادم عليه ، فاذا بدأه بالسلام أزال الخوف عنه ، وحكمة ثالثة أن القاعد قد يشق عليه مراعاة المارين مع كثرتهم ، فسقطت البداءة عنه دفعا للمشقة ، وثالثا القليل يسلم على الكثير ، ولعل الحكمة في ذلك أنه اذا بدأ الكثير بالسلام على القليل خيف على هذا أن يداخله شيء من الكبر لنظام الكثير عليه ، ومن جهة أخرى العدد القليل أسرع مشيا من الجمع الكثير في الغالب ، فكان كالوارد عليه والسلام تحية الوارد ، ومن جهة ثالثة بدء القليل أيسر كلفة ، فكان أولى

هذا وقد ذكر بعض العلماء أن من مشى في الشوارع المطروقة كالسوق لا يسلم إلا على بعض من يلقاه ، لأنه لو سلم على كلهم تشاغل عن قضاء مهمته ، التي خرج لأجلها ، وخرج عن العرف المألوف ، والمؤمن حكيم ، يلبس لكل حال لبوسها

الحديث ٦٦

في استعمال الذهب والفضة والحريز ، وإبرار القسم الخ
عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَمَرَ نَارَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ ، أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ ، وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ

أَوِ الْمُقْسِمِ ، وَرَدَّ السَّلَامَ - فِي رِوَايَةٍ : وَأَفْشَاءَ السَّلَامِ بِدَلِّ رَدِّهِ -
 وَتَسْمِيَتِ الْعَاطِسِ ، وَنَهَانَا عَنْ آيَةِ الْفِضَّةِ ، وَخَاتَمِ الذَّهَبِ ،
 وَالْحَرِيرِ ، وَالذِّيْبَاجِ ، وَالْقِسِيِّ ، وَالْإِسْتَبْرَقِ ، وَالْمَيْثِرَةَ الْحَمْرَاءَ -
 رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي مُجْمَلَةِ أَبْوَابِ مِنْ صَحِيحِهِ ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ
 اللِّبَاسِ وَالزَّيْنَةِ ، وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَغَيْرُهُمْ .
 اللفظ : الجنائز جمع جنازة - بفتح الجيم وكسرهما - وهي النعش فيه الميت ،

وقيل : بالكسر النعش ، وبالفتح الميت ، والعيادة الزيارة ، وبر القسم وإبرارة
 تصديقه ، والافشاء النشر والاكثار ، والعطاس اندفاع الهواء من الأنف بعزم
 مع صوت يسمع ، والتشميت كالتسميت الدعاء بالخير والبركة ، يقال : شممت فلانا
 وشممت عليه تشميئا ، فهو مشمت ، واشتقاقه من الشوامت وهي القوائم ، كأنه
 دعا للعاطس بالثبات على طاعة الله ، وقيل : معناه أبعدك الله من الشامة ، وجنبتك
 ما يئسمت به عليك ، وقيل : أصله التسميت ، فغنى شمته دعا له بالهدى وقصد السميت
 أي الطريق ، والآية جمع إناء وهو الوعاء ، والذيباج الثوب المتخذ من الإبريسم ،
 وبعبارة أخرى : الثوب الذي سداه ولحمته حرير ، والقسي ثياب من كتان مخلوط
 بحرير يؤتى بها من مصر نسبت إلى قرية على شاطئ البحر يقال لها : القس قرية
 من تميم ، وبعض المحدثين يكسر قافها ، وقيل : أصل القسي القزى منسوب
 إلى القز ، وهو ضرب من الإبريسم ، فأبدلت الزاي سينا ، وقيل : إنه منسوب
 إلى القس وهو الصقيع لبياضه ، والاستبرق غليظ الديباج ، والميثره وطاء كانت
 النساء تضعه على السروج لأزواجهن ، ويكون من الحرير والصوف ونحوهما ،
 وقيل : غطاء للسرج من الحرير خاصة ، قال أبو عبيد : الميثر من مراكب العجم
 تعمل من الديباج والحرير ، وقيل : إنها سروج من الديباج ، وقيل : هي شئ
 كالقراش الصغير تتخذ من الحرير وتحشى بالقطن أو الصوف يجعلها راكب البعير

تحتة على الرجل ، والميثرة مأخوذة من الوثارة ، وهى اللين والنعمة

الشرح : أمر النبي (ص) بسبعة أشياء ، ونهى عن سبعة ، ترجع إلى ثلاثة ، وهى استعمال آنية الفضة ، وليس خاتم الذهب ، واستعمال الحرير بسائر أنواعه ، فجلمة ما أمر به ونهى عنه فى هذا الحديث عشرة ، فصلها لك فيما يأتى

(١) **اتباع الجنائز :** من الأكرام للمسلم ، والوفاء له ، والأداء لحقه ، إذا ما فارق هذه الحياة أن تتبع جنازته ، ونوارى سوءته ، ففسير مع الجنائز ، أمامها أو خلفها ، يمينها أو شمالها ، على مقربة منها ، ونصلى عليها ، ونوارى جثته فى قبرها ومستقرها ، فنحسن بذلك إلى الميت إذ صنعنا معه ما نستطيع من معروف ، من صحة وصلاة ، وحمل وموارة ، ودعاء واستغفار ، ونحسن إلى أقربائه ، إذ واسيناهم فى مصابهم ، وشاركناهم فى تشييع ققيدهم ، ونحسن إلى أنفسنا بشواب المسير ، وأجر الصلاة ، وتذكرنا على الحياة ، وعالم البقاء ، والذكرى عند ذوى القلوب الحية باعثة إلى الخيرات ، منفرة عن السيئات ، وفى حديث أبى هريرة عند البخارى : من اتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً ، وكان معها حتى يصلى عليها ، ويفرغ من دفنها فإنه يرجع بغيراطين ، كل قيراط مثل أحدٍ - أى يرجع بشواب عظيم - ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بغيراطين - نصف أجر الأول - وقد قال العلماء : اتباع الجنائز سنة لمن عرفنا ومن لم نعرف ، الأقارب والأجانب فى ذلك سواء ، وقد نهى الرسول (ص) النساء عن اتباعها ، فى حديث أم عطية عند الشيخين « نهينا عن اتباع الجنائز ولم يُعزَمَ علينا »

(٢) **عبادة المريض :** وقد بسطنا القول فى ذلك فى الحديث ٣٩ ص ٩٩

(٣) **إجابة الداعى :** فى حديث عبد الله بن عمر عند الشيخين أن رسول الله (ص) قال : اذا دعى أحدكم إلى وليمة فليأتها ، وفى رواية لمسلم « اذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرساً كان أو نحوه » الولائم تقام للنعم الجادئة من زواج أو رزق ولد ، أو ختانه ، أو نجاحه ، أو شفاء ، أو إدراك غاية ، وتقام إكراماً للاخوان

والأصدقاء ، وبرا بهم ، وقضية الايمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك والحمد
معنى نفسى ، وشعور داخلى ، تظهره الأعمال ، فإن أجبت أخاك إلى دعوته ، وشاركته
فى مسرته ، برهنت بمملك على حبك له ، وأن ما حل به من النعم كأنما حل بك ، وفى
ذلك تأكيد العلاقات ، وتوثيق الصلات ، وإن رفضت الاجابة بلا عذر أحزنت نفسه ،
وأوغرت صدره ، وعرضت الصلة للقطع أو الضعف ، بل ربما سبب ذلك عدا ، وخصاما ،
فلتقوية الصلات ، ومنع الحزازات أمرنا الرسول (ص) باجابة الدعوة ، فاجابتها
واجبة ، وبذلك قال الظاهرية ، وقال ابن حزم : إنه قول جمهور الصحابة والتابعين .
ومن الفقهاء من فرق بين وليمة العرس وغيرها ، فأوجبوا وليمة العرس دون غيرها ،
بل صرح جمهور الشافعية والحنابلة بأنها فرض عين ، ونص عليه مالك ، وقيل :
إنها فرض كفاية ، ويعجنى ماقاله الشافى : إتيان دعوة الوليمة حق ، والوليمة التى
تعرف وليمة العرس ، وكل دعوة دعا إليها رجل وليمة ، فلا أرخص لأحد فى تركها ،
ولو تركها لم يتبين أنه عاص ، كما تبين لى فى وليمة العرس ، والشيعه لا يرون الوجوب
فى الولايم كلها ، وقد سوغ الفقهاء ترك الاجابة لأعذار ، منها أن يكون فى الطعام
شبهة ، كأن يكون طعام حاكم ظالم لا يتورع عن أموال الناس ، أو قيم على أيتام
لا يعرف بالعفة ، أو تاجر غشاش ، أو نحو ذلك ، ومنها أن يخص بها الأغنياء
كما يصنع أكثر الناس اليوم ، أو أن يكون فيها من يتأذى بحضوره معه ، أو يكون
دعاه خوفا من شره ، أو طمعا فى جاهه ، أو ليعينه على باطل ، أو يكون فيها منكر
كشرب خمر ، ورقص فتيات ، وخلوة بالأجنبيات ، أو تكون ذريعة إلى فساد ،
أو ماشا كل ذلك ، وفى حديث جابر عند النسائى « من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فلا يقعد على مائدة يدار عليها الخمر »

(٤) نصر المظالموم : هو من فروض الكفاية ، ومن جملة الأمر بالمعروف
والنهى عن المنكر ، وهو واجب على من قدر عليه ، ولم يحش ضررا ، وقد بسطت
الكلام فيه فى الحديث ٢٤ ص ٥٢

(٥) إبرار القسم : وهو من البر بالمؤمن ، والاكرام له ، فإذا حلف لك شخص لتعطينه من مالك ، أو لتساعدنه في قضاء حاجة من حاجه ، أو لتعلمنه مسألة ، أو لتفتينه في معضلة ، أو لتعولن يتيما ، فأبره في يمينه ، وحق رجاءه ، وقد قال العلماء : إن إبرار القسم سنة إذا لم يكن في ذلك مفسدة ، أو خوف ضرر ، فإن كان شيء من ذلك فلا إبرار ، فمن حلف : لتساعدنه على النكابة بفلان ، أو اغتصاب ماله ، أو استلاب حقه ، أو لتشر بن معه الحجر ، وتأتين المنكر — حرم عليك إبراره ، لأنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق

(٦) انشاء السلام ورده : السلام داعية المحبة ، وآية الاخاء والألفة ، وقد أمر به القرآن في عدة مواطن ، وبين أنه تحية من عند الله مباركة طيبة (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ، تحية من عند الله مباركة طيبة) وكان تحية إبراهيم وضيئه المكرمين لما دخلوا عليه (قَالُوا سَلَامًا ، قال : سلام) وهو شعار أهل الجنة (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) والأمر بإفشائه ورده يدل على وجوبه ، ولكن حكى كثير من العلماء أن الابتداء به سنة ، والرد واجب (وَإِذَا حِيَّتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) فإن كان المسلم جماعة فهو سنة كفاية في حقهم ، إذا سلم بعضهم حصلت سنة السلام في حق جميعهم ، فإن كان المسلم عليه واحدا تعين عليه الرد ، وإن كانوا جماعة كان الرد فرض كفاية في حقهم فإذا رد واحد منهم سقط الحرج عن الباقي ، وفي حديث علي عند أحمد والبيهقي (يجزى ، عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ، ويجزى ، عن الجماعة أن يرد أحدهم) وعن أبي يوسف أن الرد من الجميع واجب ، وكما يسلم عند اللقاء يسلم عند الفراق ، فليست الأولى بأدق من الآخرة ، ولا نبدا اليهود والنصارى بالسلام لأنه شعار المسلمين ، فإن بدونا به أجنبناهم ، وفي حديث أبي هريرة عند مسلم (لا تبدوا اليهود والنصارى بالسلام) وفي حديث أنس في الصحيحين (إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم) وذهب طائفة إلى جواز بدئنا لهم بالسلام ، وهو مروى

عن ابن عباس وأبي أمامة وغيرهما ، وهو رأى لبعض الشافعية محتجين بموم الأحدث الآمرة به وبافشائه ، وقال بعض الشافعية : يكره ابتداؤهم بالسلام ، ولا يحرم ، وقد قال العلماء : إن كلمة السلام في التحية اسم من أسماء الله تعالى ، فمعنى السلام عليكم : أنتم في حفظ الله ورعايته ، كما يقال : الله معك ، والله يصحبك ؛ وقيل هي بمعنى السلامة ، أي سلامة الله ملازمة لك ، وقد منا لك في الحديث السابق بعض مباحث السلام

(٧) تسميت العاطس : تسميته الدعاء له كما قدمنا ، وصيغته الثابتة عن رسول الله (ص) أن العاطس إذا ما قال : الحمد لله قال له المسمت : يرحمك الله ، فيجيبه العاطس : يهديكم الله ويصلح بالكم ، فإن لم يحمد الله فلا يسمت ، روى البخاري عن أنس أن رجلين عطسا عند النبي (ص) فسمت أحدهما ، ولم يسمت الآخر ، فقال الرجل : يا رسول الله سممت هذا ، ولم تسمتني ، قال : إن هذا حمد الله ، ولم يحمد الله ، وإنما يحمد العاطس شكرا لله على نعمة العطاس ، الذي أذهب عنه الضرر فإنه يخرج الأبخرة المحترقة في الدماغ ، التي لو بقيت فيه أحدثت أدواء عسرة ، وسلامة أعضائه والتنامي بها هذه الرجة الشديدة نعمة أخرى تستدعي الحمد ، ولما كان الحمد طاعة لله كان من موجبات الرحمة ، فدعاه إليها المسمت ، والعاطس كأنه يطلب الهداية له وإصلاح الحال ، وقد قال العلماء : إن العاطس إذا لم يكن مسلما دعى له بالهداية ذون الرحمة لما رواه أبو داود والترمذي عن أبي موسى قال : كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله (ص) يرجون أن يقول لهم : يرحمكم الله ، فيقول : يهديكم الله ويصلح بالكم ، وقالوا : إذا زاد العطاس على ثلاث فلا تسميت ، وإن ذلك لكلام ، فتابعة التسميت فيه مشغلة للجلميس ، ورووا عن رسول الله (ص) في ذلك روايات لم تبلغ درجة الصحة ، ولا مانع من أن يدعو للمزكوم بالشفاء والعافية ، فإن ذلك من التراحم بين المسلمين ، وإنه لحسن جميل

هذا والأمر بالتسميت يدل على وجوبه ، ويؤيد ذلك حديث «حق على كل مسلم سماعه أن يسمته» وحديث «خمس تجب للمسلم على المسلم» وذكر منها التسميت

وحديث « حق على المسلم ست » وذكر فيها « وإذا عطس فحمد الله فشمته »
والأول في البخارى ، والثالث في مسلم ، والثانى فيهما ، وقد قال بالوجوب بعض
المالكية وجمهور أهل الظاهر ، وقوى ذلك ابن القيم فقال : جاء بلفظ الوجوب
الصريح ، ولفظ الحق الدال عليه ، ولفظ على الظاهرة فيه ، وبصفة الأمر التى
هى حقيقة فيه ، ويقول الصحابى أمرنا رسول الله (ص) قال : ولا ريب أن الفقهاء
أثبتوا وجوب أشياء كثيرة بدون مجموع هذه الأشياء ، وذهب آخرون إلى أنه
فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، ورجحه أبو الوليد بن رشد
وأبو بكر بن العربى ، وقال به الحنفية وجمهور الحنابلة ، وذهب جماعة من المالكية
إلى أنه مستحب ، ويمزى الواحد عن الجماعة ، وهو قول الشافعية ، والراجح من
حيث الدليل القول الثانى ، والأحاديث الصحيحة الدالة على الوجوب لاتنافية كونه
على الكفاية ، فإن الأمر بتشميت العاطس وإن ورد فى عموم المكلفين ففرض
الكفاية يخاطب به الجميع على الأصح ، ويسقط بفعل البعض اه

(٨) آتية الفضة : جاءت أحاديث صحيحة فى النهى عن الشرب والأكل
فى آتية الذهب والفضة ، والتوعد على ذلك بالعذاب ، منها حديث حذيفة قال :
سمعت رسول الله (ص) يقول : لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ، ولا تشربوا فى آتية
الذهب والفضة ، ولا تأكلوا فى صحافهما - واحدهما صفحة وهى إناء ، يشبع الحنة -
فإنها لهم فى الدنيا ، ولكم فى الآخرة - رواه الشيخان وغيرهما ، ومنها حديث أم
سلمة عند الشيخين أيضاً أن النبى (ص) قال : إن الذى يشرب فى آتية الفضة إنما
يُجْرَجِرُ - يصب - فى بطنه نار جهنم ، وفى رواية لمسلم : إن الذى يأكل أو
يشرب فى إناء الذهب أو الفضة ... الخ ، من أجل ذلك ذهب الفقهاء إلى تحريم
الأكل والشرب فى أوانى الذهب والفضة ، لافرق فى ذلك بين الرجال والنساء ،
إنما لهن التحلى بهما تزيئاً وتجملاً ، وليس الشرب والأكل . من واديه ، وذهب داود
إلى تحريم الشرب فقط ، ولعله لم يبلغه حديث تحريم الأكل ، أو لم يثبت ذلك
عنده ، وقال جماعة بالكراهة دون التحريم ، وقالوا : إن الأحاديث لمجرد الترهيد ،

ورد ذلك بالوعيد عليه في حديث أم سلمة المذكور ، وشذت طائفة ، فقالت بالاباحة مطلقاً ، والنص حجة عليهم ، وألحق جماعة من الفقهاء أنواع الاستعمال الأخرى كالتطيب والتكحل بالأكل والشرب ، ولم يسلم بذلك المحققون ، وفي حديث رواه أحمد وأبو داود : عليكم بالفضة فلعبوا بها لعباً ، وجمهور الفقهاء على منع اتخاذ الأواني منها بدون استعمال ، ورخصت فيه طائفة ، والفقهاء على جواز اتخاذ الأواني من الجواهر النفيسة ، وإن كانت أعلى قيمة من الذهب والفضة ، ومنع ذلك بعضهم ، ولا تنس في هذا الباب قاعدة « أن الأصل في الأشياء الحل » لقوله تعالى « خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا » فلا تحريم الا بدليل ، والذي نراه في حكمة التحريم أن ذلك مظنة الاسراف والخيلاء ، والاسراف محرم بنص القرآن « يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ، وَلَا تُسْرِفُوا ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » ولهذا نرى أن اتخاذ الجواهر النفيسة ، بل تحلى النساء بالذهب والفضة اذا جاوز حد القصد حرام بهذه الآية ، كما يحرم الاسراف في الأكل والشرب ، فإن لم يكن إسراف فلا حرمة « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ؟ قُلْ : هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » وخير لنا من اتخاذ الذهب والفضة أواني أن نستثمرها في الأعمال الصناعية أو للزراعية ، أو تتجر بهما ، فنسعى ثروتنا ، ونعز أمتنا ، ونغنيها عن أموال الأجانب التي استعبدونا بها ، وجعلونا أجراء أو عمالاً لهم في ضياعنا وأملاكنا

(٩) **النختم بالذهب** : النهى عن خاتم الذهب يدل على حرمة ، وقد ورد التصريح بالحرمة في حديث أبي موسى أن النبي (ص) قال : **أحل الذهب والحديد** ثلاث من أمي ، وحرّم على ذكورها -- رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه . ولكن الحديث معلول ، إذ في سنده سعيد بن أبي هند ، عن أبي موسى ، وسعيد لم يلق أباً موسى ولم يسمع منه ، وبالحرمة على الرجال قال الجمهور ، وقال جماعة

بكرهه ذلك كراهة تنزيه ، وقد لسه جماعة من الصحابة ، منهم سعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبّيد الله ، وصهيب ، وحذيفة ، وأجابر بن سمرة ، والبراء راوى حديثنا ، وآخرون ، ولعلمهم حسبوا أن النهى للتنزيه ، وفي حديث عبد الله بن عمر أن النبي (ص) اتخذ خاتما من ذهب أو فضة ، وجعل فيه مما يلي كفه ، ونقش فيه « محمد رسول الله » فاتخذ الناس مثله ، فلما رأهم قد اتخذوها رمى به ، وقال : لألبسه أبدا ، ثم اتخذ خاتما من فضة ، فاتخذ الناس خواتيم الفضة — قال ابن عمر : فلبس الخاتم بعد النبي (ص) أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، حتى وقع من عثمان في بئر أريس — بئر في حديقة قرب مسجد قباء بالمدينة — ومن هذا عرف جواز التّخّم بالفضة

(١٠) استعمال الحرير : حديثنا يدل على تحريم الحرير الخالص بأنواعه ، بل على تحريم ما جمع في نسيجه بين الحرير وغيره إذا فرنا القسي بما كان مصنوعا من كتان وحرير ، وقد ورد في النهى عن لبس الحرير والجلوس عليه جملة أحاديث صحيحة ، منها حديث عمر عند الشيخين أن النبي (ص) قال : لا تلبسوا الحرير ، فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ، ومنها حديث عبد الله بن عمر عند الشيخين وأبي داود والنسائي وابن ماجه أن عمر رأى حُلّة من إسمتبرق تباع ، فأتى بها النبي (ص) فقال : يا رسول الله أتبع هذه ، فتجمل بها للعبيد والوفود ، فقال رسول الله (ص) إنما هذه لباس من لاخلاق له ، ثم لبث عمر ماشاء الله أن يلبث ، فأرسل اليه (ص) بجبة ديباج ، فأتى عمر النبي (ص) فقال : يا رسول الله قلت : إنما هذه لباس من لاخلاق له ، ثم أرسلت إلى بهذه ، فقال (ص) إني لم أرسلها اليك لتلبسها ، ولكن لتبعمها وتصيب بها حاجتك ، ومنها حديث حذيفة عند البخارى قال : نهانا النبي (ص) أن نشرب في آنية الذهب والفضة ، وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج ، وأن نجلس عليه

ووردت أحاديث أخرى تدل على جواز ذلك منها حديث عقبة قال : أهدي

إلى رسول الله (ص) فَرُوجَ جَرِيرٍ — قَبَاءَ مَفْتُوحٍ مِنَ الْخَلْفِ — فَلَيْسَهُ ، ثُمَّ صَلَّى فِيهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَزَعَهُ نَزْعًا عَنيفًا شَدِيدًا كَالْكَارِهِ لَهُ ، ثُمَّ قَالَ : لَا يَنْبَغِي هَذَا لِلْمُتَّقِينَ ، وَمِنْهَا حَدِيثُ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّهُ قَدِمَتْ لِلنَّبِيِّ (ص) أَقْبِيَّةٌ ، فَذَهَبَ هُوَ وَأَبُوهُ لِلنَّبِيِّ (ص) لَشَيْءٍ مِنْهَا ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ (ص) وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْ دِيْبَاجٍ مَزْرُورٍ ، فَقَالَ : يَا مَخْرَمَةَ خَبَأْنَا لَكَ هَذَا ، وَجَعَلَ يَرِيهِ بِمَحَاسِنِهِ ، وَقَالَ : أَرْضَى مَخْرَمَةَ ؟ رَوَاهَا الشَّيْخَانُ ، وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ أَنَسٌ أَنَّهُ (ص) لَبَسَ مُسْتَقَّةً — فَرُو طَوِيلَ الْكَيْنِ — مِنْ سُنْدُسٍ — رَفِيعَ الْحَرِيرِ — أَهْدَاهَا لَهُ مَلِكُ الرُّومِ ، ثُمَّ بَعَثَ بِهَا إِلَى جَعْفَرٍ ، فَلَيْسَهَا ، ثُمَّ جَاءَهُ ، فَقَالَ : إِنِّي لَمْ أُعْطِكُمَا لَتَلْبِسَهَا ، قَالَ : فَمَا أَصْنَعُ ؟ قَالَ : أَرْسَلْ بِهَا إِلَى أَخِيكَ النَّجَاشِيِّ — رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَبَلَسَ الْحَرِيرَ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ صَحَابِيًا ، مِنْهُمْ أَنَسُ وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رَاوَى حَدِيثَنَا مِنْ أَجْلِ هَذَا التَّعَارُضِ فِي الْأَدْلَةِ كَانَ تَحْرِيمُ لَبْسِ الْحَرِيرِ مَوْضِعَ نَظَرٍ ، فَحَسِبِي الْقَاضِي عِيَاضٌ عَنِ جَمَاعَةِ إِبَاحَتِهِ ، مِنْهُمْ ابْنُ عَلِيَّةٍ ، وَلَكِنْ جَمْهُورُ الْفُقَهَاءِ عَلَى التَّحْرِيمِ لِلْأَحَادِيثِ الَّتِي سَقَنَاهَا أَوْلًا ، وَقَالُوا : إِنْ حَدِيثُ عَقْبَةَ فِيهِ « أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي هَذَا لِلْمُتَّقِينَ » فَإِذَا كَانَ لِبَسِهِ لَا يَلَامُ الْمُتَّقِينَ فَهُوَ بِالتَّحْرِيمِ أَجْدَرُ ، وَقَالُوا فِي حَدِيثِ الْمُسَوَّرِ وَحَدِيثِ أَنَسٍ : إِنَّمَا مِنْ قَبِيلِ الْأَفْعَالِ ، فَلَا تَقَاوُمَ الْأَقْوَالِ الدَّالَّةَ عَلَى التَّحْرِيمِ عَلَى أَنَّهُ لَا نِزَاعَ أَنَّ النَّبِيَّ (ص) كَانَ يَلْبَسُ الْحَرِيرَ ، ثُمَّ كَانَ التَّحْرِيمُ آخِرَ الْأَمْرَيْنِ كَمَا يَشْعُرُ بِذَلِكَ حَدِيثُ جَابِرٍ : قَالَ لَبَسَ النَّبِيُّ (ص) قَبَاءً لَهُ مِنْ دِيْبَاجٍ أُهْدِيَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ أَوْشَكَ أَنْ نَزَعَهُ ، وَأَرْسَلَ بِهِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقِيلَ : قَدْ أَوْسَكَتَ مَا نَزَعْتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : نَهَانِي عَنْهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَجَاءَهُ عُمَرُ بْنُ الْكَلْبِيِّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَرِهْتَ أَمْرًا ، وَأَعْطَيْتَنِيهِ ، فَكَيْفَ ؟ قَالَ : مَا أَعْطَيْتَكَ لَتَلْبِسَهُ ، إِنَّمَا أَعْطَيْتَكَ تَبِيعَهُ ، فَبَاعَهُ بِاللَّيْلِ دَرَاهِمَ — رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَرَوَى مُسْلِمٌ نَحْوَهُ ، وَقَالُوا أَيْضًا : حَدِيثُ أَنَسٍ فِي سَنَدِهِ عَلَى بَنِ زَيْدِ بْنِ جَدْعَانَ لَا يَحْتَجُّ بِحَدِيثِهِ ، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ : يَشْبَهُ أَنْ تَكُونَ الْمُسْتَقَّةُ مَكْفُوفَةً بِالسُّنْدُسِ ، وَقَالُوا : إِنْ مَا لَبَسَهُ الصَّحَابَةُ كَانَ خِرًا ، وَهُوَ مَا نَسَجَ مِنْ صُوفٍ وَإِبْرَيْسَمِ

هذا وقد قال محمد بن علي الشوكاني في كتابه « نيل الأوطار » يمكن أن يقال إن لبسه (ص) لقباء الديباج وتقسيمه للأقبية بين أصحابه ليس فيه ما يدل على أنه متقدم على أحاديث النهي ، كما أنه ليس فيها ما يدل على أنها متأخرة عنه ، فيكون قرينة صارفة للنهي إلى الكراهة ، ويكون ذلك جمعا بين الأدلة ، ومن حقويات هذا ما تقدم أنه لبسه عشرون صحابيا ، وبعده كل البعد أن يقدموا على ما هو محرم في الشريعة ، وبعده أيضا أن يسكت عنهم سائر الصحابة وهم يعلمون تحريمه ، فقد كان ينكر بعضهم على بعض ما هو أخف من هذا

ولا نعلم مخالفا في جواز لبس الحرير للنساء إلا ابن الزبير ، فإنه حرمه عليهن محتجا بعموم الأحاديث ، ولكن تخطئه الأحاديث الكثيرة الدالة على حله للنساء كحديث علي قال : أهديت للنبي (ص) حُلَّةً سِيرَاءَ - التي فيها خطوط كالسيور وهي برود من الحرير أو الغالب فيها الحرير ، وفترت بغير ذلك - فبعث بها إلى ، فلبستها ، فعرفت الغضب في وجهه ، فقال : إني لم أبعث بها إليك لتلبسها ، إنما بعثت بها إليك لتشفقها خمرًا بين النساء - رواه الشيخان ، وقد أبيع لبس الحرير للعدو كالجرب ونحوه ، روى الشيخان وغيرها عن أنس أن النبي (ص) رخص لعبد الرحمن ابن عوف والزبير في لبس الحرير لحكمة كانت بهما ، وجاء ما يدل على إباحة التطريز به والتسجيف والقليل منه في الثوب كحديث عمر أن النبي (ص) نهى عن لبس الحرير إلا موضع أصبعين أو ثلاثة أو أربعة - رواه مسلم وأصحاب السنن وتقول لك بعد هذا البيان الجامع انظر في الأدلة نظرة دقة وإنصاف ، واستفت قلبك يفتك ، ولا عليك أن تستمع لوحي نفسك

الحديث ٦٧

في إطعام الطعام وإقراء السلام

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرُهُ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ،
وَيَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ - رَوَاهُ الشَّيْخَانِ
وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ

اللفظ: الاسلام الاتياد والخضوع أو الدخول في السلم ، ويطلق على مجموع
مآثره الله من الأحكام ، وقرأ السلام ، وأقرأه قاله ، يقال : أقرى . فلاناً السلام
واقراً عليه السلام كأنه حين يبلغه سلامه يحمله على أن يقرأ السلام ويرده ،
والمعنى الأصلي لمادة «قرأ» الجمع .

الشرح : سأل سائل رسول الله (ص) عن خير خصال للاسلام ، وأكثرها
تعماً ، فأجابه بأن خيرها إطعام الطعام ، وإقراء السلام ، وقد أجاب الرسول (ص)
في مواطن أخرى بغير هذا الجواب كالذى سأله : أى الاسلام أفضل ؟ قال :
من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وسبب الاختلاف في الجواب اختلاف
حال السائلين أو السامعين ، فمن يخشى منه الايذاء ياليد أو اللسان أرشده الى
الكف ، ومن يرجى منه النفع العام بالقول أو الفعل أرشده الى ذلك ، وإطعام
الطعام يشمل بذله للمحتاج ، وتقديمه للضيف ، وإقامة الولائم ، بل يشمل بإشارته
معوثة المسلم بما له ، أيا كان نوع المعوثة ، وأيا كان المال طعاماً أو شرباً ، أو
مكناً أو لباساً ، أو تقديماً ، وإقراء السلام على من عرفنا ومن لم نعرف يزيد
الحبة بين المتعارفين ، ويجلب الصلة والمودة بين المتناكرين ، فلا يخص به
من نعرف ، ولا بعض من نعرف تكبيراً وتضعفاً ، بل إقامة لشعائر الاسلام نبذله
لكل مسلم ليتألف الجميع ، وتزداد الصلة بينهم متانة ، على أنك لو منعته من
لم تعرف (بما كان ممن تعرف ، فأعراضك عنه يوحشه منك . وقد تمسك بالحديث
من أحاز ابتداء الكافر بالسلام ، ولا حجة فيه ، لأن السلام شعار الاسلام ، فيحمل
قوله : من عرفت على المسلم ، وأما من لم نعرف فلا دلالة فيه ، بل إن عرف أنه
(١١ - أدب)

مسلم فذاك ، وإن لم يعرف ، فلم احتياطاً فلا حرج حتى يعرف أنه كافر ، وخص هاتين الخصلتين بالذكر لميسس الحاجة اليهما أول الأمر ، إذ كان المسلمون في حال بؤس وفقر ، فإن المهاجرين تركوا ديارهم وأموالهم فراراً بدينهم ، والأنصار قاسمهم أموالهم ، وكانوا في حاجة الى التعارف والتآلف ، وإلى ذلك أن في ذكرها إيماء إلى الأعمال الخيرية كلها مالية كانت أو بدنية ، من أجل هذا خصتنا بالذكر وفي الحديث ٣٩ ص ٩٨ بسط القول في إطعام الجائع ، وفي الحديثين ٦٥ ، ٦٦ مباحث السلام

الحديث ٦٨

في أدب المناجاة

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
 إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً - فِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : إِذَا كَانَ ثَلَاثَةً - فَلَا يَتَنَاجَى
 ائْتَانِ دُونَ الثَّلَاثِ ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى
 رَجُلَانِ دُونَ الْآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ ، أَجَلَ أَنْ ذَلِكَ يُحْزِنَهُ
 وَفِي رِوَايَةٍ : يَتَنَاجَى - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

اللفظ : المناجاة المسارة ، وأصله أن تجلّوبه في نجوة من الأرض أى مكان مرتفع ، وقيل : أصله من النجاة لأنك تعاونه على ما فيه خلاصه ، وأجل بمعنى من أجل ، يقال : فعلت كذا من أجل كذا ، وأجل كذا أى بسببه ، ويجوز في همزته الفتح والكسر ، وأصل الأجل الجناية التى تخشى عاقبتها فى الأجل ، ثم استعمل فى التعليل

السرغ : قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِسْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ، وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى

إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ ، إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » نهانا الله جل شأنه عن التناجى بما فيه ضرر أو إضرار ، فلا تتناجى بآثام يعود ضررها أولاً الى نفوسنا ، وتبعدنا من رحمة ربنا ، كاسراف في طعام أو شراب أو لباس ، ولا بجرائم يتطاول شررها الى الناس أولاً ، ويعود منه الينا ثانياً ، كزنى وقتل ، وسرقة ونهب ، ولا بعصيان الرسول فيما أمر ، أو الخروج على ما شرع ، وأباح لنا التناجى بالأعمال الخيرية ، من نشر علم ، وتقويم خلق ، وبذل مال ، وإصلاح خصم ، وبالأموال التي تقينا الأضرار ، وتحفظنا من الفوائل ، كأعداد القوة للعدو ، واتخاذ الحصون من دونه ، وادخار المال للنوائب ، والحجية الواقية من الأمراض ، وبين أن النجوى بالأوزار من وسوسة الشيطان ليحزن بها الذين آمنوا ، إذ يسرهم البر والتقوى ، ويحزنهم اقتراف الآثام ، والتحدث بها ، والاتجار عليها ، وقد تكون كيداً لهم ، وتأمراً عليهم ، فالنجوى بالسوء محرمة مطلقاً ، بين اثنين انفراداً بها عن ثالث ، أو عن ثالث ورابع ، أو بين جماعة انفردوا بها عن واحد أو أكثر ، استأذنوا فيها أم لم يستأذنوا ، أما النجوى بالخير فحلل للمتناجين ، غير أن هناك أدبا يتعلق بها ، تجب رعايته بالنسبة للحاضرين ، ذلك ما بينه الرسول (ص) في هذا الحديث ، فإن كان المجلس مؤلفاً من ثلاثة فلا يتسارثان بحديث دون الثالث لأن هذا يوحشه ويحزنه ، وقد يظن أنهما ينهشان في عرضه ، أو يحيطان من قدره ، أو يكيدان له ، فيقوم من المجلس موغر الصدر ، تساوره الظنون ، وتخالجه الريب ، فلقاء على المودة ، والمحافظة على الألفة منعا المناجاة من دونه إلا أن يستأذناه فيأذن ، فلا حرج إذاً لأن المنع لحقه ، فيستباح بأذنه ، وكذلك الحكم لوتناجى ثلاثة من دون رابع ، أو أربعة من دون خامس ، أو خمسة من دون سادس ، أو . . . الخ لتحقق علة النهي في كل ذلك ، بل العلة هنا أشد تحقفاً ، فإن انفراد جمع بالمناجاة من دون واحد أشد إيفارا لصدرة ، وبدل أن يكون النفور من شخصين يكون من أكثر ، فالأثر أخش ، فكان بالمنع أجدر ، وكأن الحكمة في تخصيص

الثلاثة بالذكر أنها أول عدد يتصور فيه المعنى ، فما كان مثله في تحقق العلة ألحق به ، وإن كان المجلس مؤلفاً من أربعة فأكثر ، وكان الباقي بعد من يتناجى اثنين فأزيد جازت التجوى ، إذ يمكن الباقيين التانس والتناجى ، ويدل على ذلك قول الرسول (ص) « حتى تختلطوا بالناس » وعمل ابن عمر راوى الحديث ، فانه كان اذا أراد أن يسارّ رجلاً وكانوا ثلاثة دعا رابعاً ، وقال للاثنين : استريحا شيئاً فاني سمعت رسول الله (ص) يقول : اذا . . . الخ ، ويؤيده أيضاً مارواه البخارى عن عبدالله قال : قسم النبي (ص) يوماً قسمة ، فقال رجل من الأنصار : إن هذه لقسمة مأر يد به وجه الله ، قلت : أما والله لآتين النبي (ص) فأتيته وهو في ملا ، خسارته ، فغضب حتى احمر وجهه ، ثم قال : رحمة الله على موسى أودى بأكثر من هذا ، فصبر ، نعم لو كان الباقيون تحزهم المناجاة تركت لوقت آخر ، ما لم تكن في أمر مهم لاخطر فيه ، ولو تسارّ الحديث اثنان ، فقدم عليهما ثالث ، أو كان يحضرتهما ثالث لا يسمع جهرهما لا يقرب منهما ليتسمع حديثهما إلا باذنها ، روى البخارى في الأدب المفرد عن سعيد التبرى قال : مررت على ابن عمر ، ومعه رجل يتحدث ، فقممت إليهما ، فلطم صدرى ، وقال : اذا وجدت اثنين يتحدثان فلا تقم معهما حتى تستأذنها ، وذكر أن رسول الله (ص) نهى عن ذلك ، والنهى في رواية : يتناجى يدل على التحريم ، ما لم يكن رضامن المنفرد ، وآية الرضا إذنه بالتناجى ، والنهي في الرواية الأخرى بمعنى النهى

الحديث ٦٩

في الاحتراس من النار ، وتغطية الأواني الخ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَطْفُوا الْمَصَابِيحَ بِاللَّيْلِ إِذَا رَقَدْتُمْ ، وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ ، وَأَوْكُوا

الْأَسْقِيَّةَ ، وَخَمَرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ ، وَفِي رِوَايَةٍ زِيَادَةٌ : وَأَكْفَتُوا
صَبِيحَانَكُمْ عِنْدَ الْمَسَاءِ فَإِنَّ لِلْجِنَّ انْتِشَارًا وَخَطْفَةً — رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا ، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ :

اللفظة : إغلاق الباب إقفاله ، وفي رواية ، وغلقوا ، وفي ثالثة : وأجيفوا أى
أغلقوا ، والسقاء القربة وجمعه أسقية ، وأوكأ السقاء ربطه وشده بالوكاء ، وهو اسم
للخيط الذى يشد به قم القربة والكيس ونحوها ، والتخمير التغطية ، ومنه الخمر
لتغطيتها العقل والخمار لستره الرأس ، والكفت انضم ، والخطف الأخذ بسرعة
الشرح : فى هذا الحديث أمرنا الرسول (ص) بخمسة أشياء ، وقد قال جماعة :

إن الأمر هنا للإرشاد ، إذ المقصود به تحقيق مصالح دينوية ، ويحتمل أن يكون
للندب ، ولماذا لا يكون للوجوب إذا خشى من المخالفة ضرر بالنفس أو المال ؟ فان
أمن الضرر فلا وجوب ، فأول الخمسة إطفاء المصابيح عند الرقاد ليلا ، وقد جاء
تعليل ذلك فى رواية بأن الفويسقة — الفأرة — ربما جرت الفتيلة ، فأحرقت أهل
البيت ، فالإنسان حينما ينام يفقد الشعور بما يجرى ، والتيقظ لما يحدث ، وما النوم
إلا وفاة عنها حياة « اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا
فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ، وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى »
فلا احتياط والحكمة إطفاء الشرج التى لا يؤمن وقوعها باحتكاك فأرة ، أو ضمة
قطة ، أو عبت حيوان ، أو حركة إنسان ، أو عصفه ريح ، أو يخشى التهاب ذبالتها ،
واشتعال فتيلتها ، من هواء يلعب بها ، أو ينجس عنها ، أو وسخ فى زيتها ، أو خلل
فى آلتها ، فتتصل النار بما نجد ، فاذا الحريق يلتهم الإنسان والحيوان ، والبيت
والتناع ، على حين غفلة ، فيصعب الاطفاء ، ويعظم الخسار ، فان كان انقلاب
السراج مأمونا ، أو أحيط بما يمنع اتصاله بغيره لو وقع ، أو كان نادر الخطر أو عديمه
كالمصباح الكهربائي ، فلا حرج فى تركه إن كانت مصلحة ، وكذلك الحكم

في المواعد لاننام عنها متقدة نارها ، خصوصا اذا كان النعم وقودها ، وربما وقع منها على الفراش ، وربما استنفدت أ كسجين الحجره ، فمات النيام مختنقين ، وم للمواعد والمصايح من حوادث خطيرة نشأت من ترك الاسترشاد بهدى الرسول (ص) ، وثانيها إغلاق الأبواب ليلا ، فانه يمنع الحيوان أن يتسرب إلى الخارج ، وأهله عنه غافلون ، ويمنع السباع أن تدخل المنازل ، فتفتك بالطيور الداجنة أو الحيوان ، أو تعتدى على الانسان ، ويحول دون الشياطين والمردة ، أو يكون عقبة في سبيلهم ، فلا يسرقون وينهبون ، ولا يعتدون ويسفكون ، واذا كان النهي عن المنكر واجبا فالحيلولة بينه وبين من رامه لازمة ، ومن الحيلولة أن تسد عليه الطريق ، وتجيف دونه الباب ، وثالثها ورابعها إيكاء الأسمية التي فيها الماء ، وتغطية الأوعية التي فيها الأطعمة والأشربة ، فان ذلك وقاية لها من الجرائم المنتشرة ، وصيانة لها من الأثرية والأشياء القذرة ، ومنع للهوام والحشرات عنها وللطيور أن تلوثها ، وللحيوان أن يلع فيها ؛ فتبقى سليمة مما يفسدها ، فطعمها المره هنيئا ، ويشربها مريئا ، وخامسها كفت الصبيان اذا ماجن الليل ، وإيوأؤهم إلى المنازل ، والرجوع بهم إلى المضاجع ، فان ذلك يُطْمِئِنُ أهلهم ، ويحول دون ضلالهم في ظلام الليل ، ويمنع غشيانهم لجالس الفجار ، التي تنفق بالليل ، تسبرا بجلبابه الحالك ، وارتيدا لأهل الريب والفساد ، والليل كثير المخاطر ، والصبيان طائشة العقول ، لا يحسنون الاحتراس ، ولا يأخذون الحذر ، وربما صدمتهم عقبة ، أو سقطوا في حفرة ، أو دهمتهم عربة ، أو فجأتهم قاطرة ، أو لسقهم عربة ، أو آذاهم شيطان ، فكانت الحكمة أن يأرزوا إلى بيوتهم ، ويمرحوا في رعاية آبائهم وأمهاتهم ، أو يناموا تحت ستارهم ، أما الجن أو الشياطين - كما جاء في رواية - الذين ينتشرون بالليل ، ويخشى منهم على الصبيان اذا بقوا في الخلاء ، فهم عالم يرونا ولا نراهم « إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ » ومردة الجن هم الشياطين كما أن من الانس شياطين كما صرح بذلك

القرآن ، ولا مانع من أن تمتد يدهم بالأيذاء إلى الصبيان الذين لا تحوطهم رعاية الآباء والأمهات ، كما تمتد أيدي الشياطين منا إلى أبنائنا بالشم والضرب ، واللطم والخطف ، والله بكل شئ محيط « وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا »
ومن غريب الاستنباط أو عجيبه ما قال بعض الفقهاء : إن الحديث يدل على مشروعية وضع اليد على النعم عند التأوب لدخوله في عموم الأبواب مجازاً ؟

الحديث ٧٠

في الغنى الحقيقي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَيْسَ
الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ - رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا

اللفظ : الغنى يقال لعدم الحاجة مطلقاً ، وليس ذلك إلا لله وحده ، فهو الغنى عن عباده ، وهم الفقراء اليه « والله الغنى وأنتم الفقراء » ويقال لقلة الحاجات ، كما يقال لكثرة التنبّيات ، والعروض ما ينتفع به من متاع الدنيا وحُطامها ، وأما العرض فهو ما كان من المال غير نقد ، وجمعه عروض

المصرح : الغنى في عرف الناس من كثر ماله ، وعظمت ثروته ، من ضياع واسعة ، وجنات ناضرة ، وعمارات شاهقة ، وقناطير مقنطرة من الذهب والفضة ، وخيل مسومة ، وأنعام راعية ، وعروض نامية ، وقد بين الرسول (ص) أن الغنى ليس بسعة الثروة ، ووفارة المال ، وكثرة المتاع ، ولكن الغنى غنى النفس ، فمن استغنى بما في يده عما في أيدي الناس ، ولم تُشرف نفسه عليه ، ولم تتطلع اليه ، فهو الغنى الجدير بلقب الغنى ، وإن كان في المال قلاً ، إذ رضاه بالقسم وعفته ، وزهده وقناعته ، جعلته في درجة من الغنى ، دونها بطبقات أهل الثراء الذين

حرموا الرضا والزهادة ، بل أولئك ليسوا من الغنى في شيء ، وإن غنى النفس مطمئن القلب ، هادئ البال ، لا يلحف في سؤال ، ولا يحرص على مال ، ولا تذهب نفسه حسرة ، إذا فاتته صفقة ، أو ضاعت عليه فرصة ، بل ما جاءه رضى به وقنع ، وأتفق منه على نفسه وأهله ، وبر الناس بعفوه وفضله ، وهو في الناس ملك مبعجل ، وأمير موقر ، وعظيم معزز ، إذ لم يُنزل بهم حاجته ، ولم يملك الحرص عليه مُنته ، والحاجة مذلة ، والحرص معرة ، فإن كان إلى غنى النفس غنى المال ، فتلك الدرجة العليا ، والأعزة القعساء ، أما من كثر ماله ، وتشعبت أملاكه ، وقلبه موزع بين ضيعته وعمارته ، وذهبه وفضته ، وفرسه وبقوته ، ليس لهم الإجماع المال ، يحرص عليه أشد الحرص ، ويتميز غيظاً إذا فاتته القرش ، ويتمنى كل مافي أيدي الناس إلى مافي يده ، بل يحسدهم على ما رزقوا من نعمة ، يخشى عدوى الفقر أن مدت يده إلى فقير بدرم ، ويحسب الجائحة أن يتبرع لعمل خيري يسير من وفره ، لم يُبقي من وقته ما يمتع فيه نفسه بثروته ، أو يقوم بواجبه لولده وزوجته ، وقرابته وعشيرته — ذلك هو الفقير حقاً ، المحروم صدقاً

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقير

وهل يكون غنياً من نفسه لما في أيدي الناس متطلعة ، وليست بما في يدها راضية قانعة ؟ هل يكون غنياً من هذا الحرص من قوته ، وأعل من صحته ، ومنعه التكالب أن يروى نفسه من منهل العلم ، ويفذيها بلبان الحكمة ؟ هل يكون غنياً من تبغى نفسه طعاماً شهياً ، أو ثمرًا حنيئاً ، أو لباساً رفيعاً ، فيأبى عليه حبه للمال ، وشغفه بكنزه ، إجابتها إلى طلبتها ، وتحقيق رغبتها ؟ هل يكون غنياً من أولاده في بؤس ، وأهله في ضنك ، يعيشون في أحضان الثروة ، ولكن من التمتع بها محرومون ؟ ذلك بلاريب فقير ، وإن عده الناس غنياً ، وذلك المعدم وإن حسبه الناس ثرياً ، وذلك الذميمة البغيض ، والباؤس الفقير ، الذي جعل الله المال في يده ألماً له وعذاباً ، ونكالا وعقاباً « أَيَحْسَبُونَ أَنَّنَا مَأْنُودُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ نَسَارِعِهِمْ فِي الْخَيْرَاتِ ، بَلْ لَا يَشْعُرُونَ » ؛ « وَيَلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ

لَمُرَّةٍ ، الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ، يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلَّا لِيُنْبَذَنَّ
 فِي الْحُطَمَةِ » « أَلَيْسَ كُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ، كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ »
 واعلم أن السبيل الى غنى النفس الرضا بما قدر الله وأعطى ، والثقة بأن ما عنده
 خير وأبقى ، وأن المال في يد الشره البخيل فقر ومذلة ، وفي يد القانع الكريم غنى
 ومعزة « وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من
 آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ، فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ، وهم في الفرفرات
 آمِنُونَ »

الحديث ٧١

في الاعتدال ، ومداومة الأعمال

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سَدُّوْا ، وَقَارِبُوا ، وَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّهُ لَنْ يَدْخِلَ
 الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ ، قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَلَا أَنَا ،
 إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ
 أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ — رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ

في الحديث أمرٌ بثلاثة أشياء : بالتسديد ، والمقاربة ، والابشار ، وإخبار
 بأمرين ، أولهما أن دخول الجنة ليس بالعمل ، بل بفضل الله ورحمته ، والثاني أن
 أحب الأعمال الى الله أدومها وإن قل

(١) التسديد في الأمور طلب السداد فيها ، وهو التقصد والعدل ، أى ما بين
 الافراط والتفريط ، وفسر السداد بالصواب وهو مقارب للتقصد ، لأن التقصير
 في المطلوب أو المغالاة فيه تخرجه عن الصواب ، والتقصد في الأمور ما كان عليه محمد
 (ص) وصحبه ، في تطهرهم ، وصلاتهم ، وصيامهم ، وصدقاتهم ، وأخلاقهم .. الخ

(٢) والمقاربة عدم الافراط في العبادة لأن إجهاد النفس فيها يفضي الى الملل ، فيؤدى إلى تركها ، فيكون من الافراط فيها التفريط والتقصير ، فالمللوب منا في الأعمال المقاربة لا المبالغة

وفي حديث جابر : إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ، ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله ، فإن المُنْبِتَ لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبق

(٣) والابشار كالتبشير الاخبار بما يسر ويظهر أثره على بشرة الانسان — ظاهر جلده — فالرسول (ص) يأمرنا بادخال السرور على نفوسنا ، من فرط رحمة الله بنا نحن المؤمنين العاملين ، فلا نياس من رَوْحِ الله ما دمنا عند حدوده التي رسمها ، لا نعصى له أمراً ، ولا نخالف له نهياً

(٤) تَعَمَّدَه بِالرَّحْمَةِ عَمَّهَ بِهَا وَأَلْبَسَهُ إِيَّاهَا حَتَّى كَانَتْ لَهُ كَالْعَمْدِ لِلسِّيفِ ، يبين الرسول (ص) أن العمل لا يدخل عامله الجنة ، ولو كان الرسول نفسه ، إلا إذا شملته رحمة الله ، وهذا ينافي آيات القرآن الكثيرة التي تدل على أن دخول الجنة وإيرتها إنما هو بالعمل الصالح — مع الايمان — كقوله « وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » وقوله « ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » وقد أجاب العلماء عن هذا التعارض بأجوبة كثيرة ، منها أن التوفيق للعمل من رحمة الله ، ولولا رحمته ما كان إيمان ولا عمل صالح ، فالسبب الأصلي لدخول الجنة الرحمة ، والعمل المترتب عليه الدخول أثرها ، ومنها أن أعمال الطاعات كانت في زمن يسير ، والثواب لا ينفد ، فالانعام الذي لا ينفد في جزاء ما ينفد بالفضل لا بالأعمال ، وأقول : إن العمل في نفسه لا يتسبب عنه الدخول لولا أن الله جعله كذلك في حكمه وشرعه ، وجعله سبباً إنما هو بفضلِهِ ورحمته ، ولو شاء لم يجعله سبباً . ولكن جعله كذلك في كتبه ، وعلى السنة رسله ، فلا سبيل الى الجنة إلا من طريقه ، فلا تدعه وتطمع في رحمة الله ، فان رحمته كتبها للذين يتقون ، ويؤتون الزكاة ، والذين هم بآياته يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ، فان راقتك هذه الأجوبة فخذها ، وإن وقفت لخير منها فهاته ، وإن لم تر سبباً للدفع التعارض

بين الآيات والحديث فالقرآن أولى بالتقدمة

(هـ) الأعمال الطيبة كثيرة ، كالصلاة ، والصدقات ، والصيام ، وقراءة القرآن . والانتصار للظالمين ، ونشر العلم بين الطالبين ، والجد في خير الناس ، والأعمال الطيبة من شأنها تغذية الايمان وتقويته ، وإعلاء النفوس وإكبارها ، والقصد في العمل سبيل إدامته والمواظبة عليه ، فبين الرسول (ص) أن أحب الأعمال إلى الله وأولها بالقبول والثواب ما داوم عليه صاحبه وإن قل ، لأن المداومة فيها تغذية الايمان في كل وقت ، فلا تدبل شجرته ، وفيها ترقية دائمة للنفوس ، فهي دائماً صاعدة في درج الكمال ، ولا كذلك الاجهاد الذي يقعد بالانسان عن العمل ، فتدوى شجرة الايمان ، وتضعف نفسه عن مكافحة الشدائد ، ويشطب اسمه من ديوان العاملين المجاهدين ، ويقيد في سجل الكسالى العاطلين ، وقد أخبرت عائشة رضی الله عنها بأن عمل الرسول (ص) كان ديممةً أى دائماً لأن الديممة في الأصل المطر المستمر مع سكون ، بلا رعد ولا برق ، والمراد بالدوام الدوام العرفي وهو الاتيان بما يطلق عليه اسم المداومة عرفاً ، لا شمول الأزمنة إذ هذا غير مقدور عليه .

الحديث ٧٢

في حق الله على العباد ، وحقهم عليه

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ ، فَقَالَ : يَا مُعَاذُ : قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَمْعِيكَ ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُعَاذُ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَمْعِيكَ ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَمْعِيكَ ،

قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ،
 قَالَ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، ثُمَّ سَارَ
 سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، قُلْتُ : لَيْتَكَ رَسُولَ اللَّهِ
 وَسَعْدِيكَ ، قَالَ : هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ ؟ قُلْتُ :
 اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِلَّا يُعَذِّبَهُمْ — رَوَاهُ
 الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ وَغَيْرُهُمْ

اللغة: الرديف والرِّدْف الذي يركب خلفك ، ويقال الردف أيضا للكفل
 والعُجْزُ ، وأردفه أركبه خلفه ، وكل شيء يتبع شيئاً فهو ردفه ، والترادف التتابع ،
 والرحل ما يوضع على ظهر البعير كالسرج للفرس ، وآخرته العود الذي يجعل خلف
 الراكب يستند اليه ، ولييك مأخوذ من اللَّب وهو الإجابة ، والثنية فيه للتكرير
 والتكثير أى إجابة لك بعد إجابة ، ولم يستعمل إلا على لفظ الثنية ، وقيل: إنه من
 التلبية وهى إجابة المنادى من لبّ بالمكان وألبّ إذا أقام به ، وألبّ على كذا اذا
 لم يفارقه ، وهو منصوب على المصدر بعامل لا يظهر كأنك قلت : ألبّ إلباباً بعد
 إلباب ، وقيل : معناه أتجاهى وقصدى اليك ، من قولهم : دارى تلبّ دارك أى
 تواجهها ، وقيل : معناه إخلاصى لك من قولهم : حَسَبُ لُبَابٍ اذا كان خالصاً
 محضاً ، ومنه لبّ الطعام ولُبَابُه ، وسعديك معناه : ساعدتُ طاعتك مساعدة بعد
 مساعدة ، وإسعاداً بعد إسعاد ، والثنية فيه والاعراب مثلها فى لبيك ، والحق
 الشيء الثابت المتحقق ، فما للانسان على غيره إن كان ثابتاً لا تردد فيه يسمى حقاً ،
 والله حق ، والصدق حق ، والعبادة الطاعة مع خضوع ، أو هى غابة الخضوع

الشرح : كان معاذ بن جبل الشاب العابد ، الأمة القانت ، الشهم المجاهد
 الذى حصر الغزوات كلها — راكباً فى سفر خلف الرسول (ص) على دابته ،
 لا يفصله منه إلا آخرة الرحل ، التى كان يسند اليها الرسول (ص) ظهره ، وكان

إردافه له تواضعاً منه (ص) وإكراماً للشباب المجاهد ، فقال : يامعاذ ، قال :
إجابة لك يا رسول الله بعد إجابة ، وطاعة لك بعد طاعة ، فتركه الرسول (ص) ،
حون أن يحدثه ، وبعد أن سار ساعة قال : يامعاذ ، قال : أتجاهها إليك يا رسول الله
بعد اتجاه ، وإسعاداً بعد إسعاد ، فتركه الرسول (ص) أيضاً بدون محادثة ، وبعد
أن سار فترة قال يامعاذ بن جبل ، قال : إخلاصاً لك يا رسول الله بعد إخلاص ،
ومساعدة غيباً مساعداً ، فتلك نداءات ثلاث نهيت معاذاً الى العناية بما يلحق ،
وصرف الذهن اليه ، وإرهاف الاذن له ، وإيقاظ الحافظة لضبطه ووعيه ، وعرفته
أنه نبأ عظيم ، وحديث خطير ، ثم قال له : هل تدري يامعاذ ما حق الله على عباده
وما الذي يجب عليهم أن يحتمقوه شكراً له ، ولم يستفهم الرسول (ص) منه استجاباً
له ، ولكن زيادة في تشبيهه الى ما يلحق عليه ، وتشويقاً اليه ، وقد ردّ معاذ علم ذلك
الى الله الذي أحاط بكل شيء علماً ، والى الرسول (ص) الذي يبلغ عن الله وحيه
وهذا من معاذ كمال أدب : وقف عند حده ، ولم يقف ما ليس له به علم ، وقد بين
له الرسول (ص) أن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً : كلمة جامعة
لم تترك من الدين صغيرة ولا كبيرة ، فعبادته الخضوع له والتذلل ، وذلك بطاعته
فيما أمر ونهى ، فنؤمن برسوله ، ونصدق بكتابه ، ونقيم الصلاة ، ونؤتي الزكاة ،
ونهدب نفوسنا ، ونصح أجسامنا بالصيانة ، ونحج البيت الحرام ما استطعنا الى ذلك
سبيلاً ، ونحسن عشره الناس ، ونصدق في معاملتهم ، ونخالقهم بخلق حسن ،
ونقف عند ما شرع الله ، لا نتعدى حدوده ، ولا نتجاوز رسومه ، ونجانب كل ما نهى عنه
من الخبائث مما هو اعتداء على النفس ، أو المال أو العرض ، وإضرار بالخلق ،
وأساس ذلك علم بكتاب الله ، وبما احتواه ، وهذا بتلاوته وتدبره ، ودراسته وتفهمه
أما توحيدهِ وعدم الاشراف به فإن نعتقد أنه وحده صاحب الخلق والأمر ، وأن
من دونه لا يملك ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله ، سواء أكان ملكاً مقرباً ، أو نبياً
مرسلاً ، أو ولياً عابداً ، ومن توحيدهِ أن تكون الأعمال خالصة لوجهه ، لا يشوبها
إخضاع ولا رياء ، ولا تدليس وثفاق ، وألا ندعو معه غيره ، أو تقدم اليه القرابين

أو نسوق النذور ، أو نتخذة وسيلة إليه ، فإن كل ذلك شرك يتنافى مقام التوحيد . ثم سأل رسول الله (ص) معاذاً عن حق العباد على الله ، وما وعدهم به ، وكتبه لهم على نفسه ، إذا هم عبدوه حق عبادته ، وأخلصوا له الدين ، وأسلموا الوجوه ، وعمروا القلوب بتوحيده ، وطهروها من دنس الإشراف ، فقال له مثل مقالته الأولى :
الله ورسوله أعلم ، فقال له الرسول (ص) : حق العباد على الله ألا يعذبهم ، وكيف يعذب من توفّر على طاعته ، وكان عبده السميع ، تفرع أذنه آى الوحي فإذا به قد مثلها في عمله ، وأظهرها في خلقه ، ويسمع هدى الرسول (ص) فإذا به قد اتخذ إماماً وقدوة ، وهادياً وأسوة ، كيف يعذب ذا النفس العالية ، الطاهرة النقية ، التى لا يرى فيها إلا بياض التوحيد ونوره ، ليس بها نكته من دنس أو شرك ، بل كيف لا يسبغ نعمته ، ويدخل جنته عباده المقربين ، وجنده المخلصين ، وهو البر الرحيم ، وأكرم الأكرمين « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ » .

الحديث ٧٣

في نذر الطاعة ، ونذر المعصية

عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ - رواه البخارى .
وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

النذر أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر ، كأن تنذر صدقة أو اعتكافاً ، أو تهجداً إذا رزقت ولداً ، أو بلغت أملاً ، وفي هذا الحديث أمر الرسول (ص) من نذر طاعة الله أن يطيعه ، ونهى من نذر معصيته أن يعصيه . فنذر الطاعة يجب الوفاء به ، قال تعالى « وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ » ونذر المعصية يحرم .

الوفاء به ، إذ لا ير في معصية الخالق ، فمن نذر إرشاد الجاهلين ، أو إنقاذ المظلومين ، أو مساعدة البائسين ، أو زيارة الأقربين ، أو الجهاد في سبيل الله ، ونشر دينه ، ومطاردة أعدائه وجب عليه الوفاء بما نذر ، ومن نذر النكاح بعدوه ، باراقة دمه أو اغتصاب ماله ، أو نذر الانضمام لحزب مبطل ، أو انتخاب شخص مجرم ، أو شرب خمر ، أو لعب ميسر ، أو إقامة ليلة ساهرة ، تنتهك فيها الحرمات ، ويمسى الاله حرم عليه الوفاء ، والطاعة تشمل الواجبات كالصلاة المكتوبة ، والزكاة المفروضة ، وصيام رمضان ، والحج الواجب ، والنفقة على الزوجة والولد ، وتشمل المندوبات كصلاة النافلة ، والصدقة الجارية ، والصيام المستحب ، وحج التطوع ، فالواجبات اذا كانت عينية لا ينعقد نذرها لأنها واجبة بدون إيجاب العبد ، بل لا تدخل تحت عنوان النذر لأنه إيجاب ماليس بواجب ، وهذه واجبة ، أما الواجب على الكفاية كالجهاد ورد السلام ، والمندوب فينعقد نذره ، ويجب الوفاء به ، وأما نذر المباح كبس الثوب وركوب الدابة والتروض فقد استدل لصحته بحديث عائشة « لا نذر في معصية ، وكفارته كفارة يمين » — رواه أصحاب السنن ، وجمهرة المحديثين على تضعيفه — فلما نفي نذر المعصية أفاد صحة ما عداه ، وبحديث بريدة عند أحمد والترمذي أن امرأة قالت : يا رسول الله إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف ، فقال لها : أوف بنذرك ، وكان ذلك وقت خروجه في غزوة ، فنذرت الضرب بالدف إن رده الله تعالى سالما ، وقال مالك والشافعي : لا ينعقد نذر المباح واستدلا بحديث ابن عباس قال : بينا النبي (ص) يخطب إذ هو برجل قائم ، فسأل عنه ، فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ، ولا يقعد ، ولا يستظل ولا يتكلم ، وأن يصوم ، فقال النبي (ص) مروه فليتكلم وليستظل ، وليقعد ، وليتم صومه — رواه البخاري وأبو داود وابن ماجه ، فأمره بفعل الطاعة ، وأسقط عنه المباح ، وأصرح من هذا ما رواه أحمد وأبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي (ص) قال : لا نذر إلا فيما ابتغى به وجه الله — في سند هذا الحديث عند أحمد عبد الله بن نافع المدني وهو ضعيف — وأجابا عن حديث

عائشة بضعفه ، وعن حديث بريدة بأنه لا مانع من أن يكون من قسم المباح ما يصير مندوبا إذا قصد به القرية كالنوم في القائلة للتقوى به على قيام الليل ، والسحور للتقوى على صيام النهار ، فيجوز أن يكون إظهار الفرح بعود النبي (ص) سالما معنى مقصودا يثاب عليه ، فيكون مندوبا ، وقد اختلف الفقهاء في نذر المعصية هل تجب فيه كفارة أولا تجب ؟ فقال بوجوبها الثوري وإسحاق وأبو حنيفة وأصحابه وأحمد وبعض الشافعية ، وهو مروى عن ابن مسعود وابن عباس وجابر وعمران بن حصين ، وسمرة بن جندب ، وقال بعدم الوجوب مالك والشافعي والجمهور ، وهو رواية عن أحمد ، واستدل الأولون بحديث عائشة السابق « لا نذر في مفسية ، وكفارته كفارة يمين » وبحديث ابن عباس ، أن النبي (ص) قال : من نذر نذراً في معصية فكفارته كفارة يمين — رواه أبو داود ، وبحديث عقبه بن عامر قال : قال رسول الله (ص) كفارة النذر كفارة يمين — رواه مسلم وأحمد ، فعمومه يشمل نذر المعصية ، وبأن النذر يمين ، ومن خلف على فعل معصية لزمته الكفارة فكذلك إذا نذرها ، والدليل على أنه يمين حديث ابن عباس قال : جاءت امرأة الى النبي (ص) فقالت : يا رسول الله إن أختي نذرت أن تحج ماشية ، فقال : إن الله لا يضمن بشقاء أختك شيئا ، لتخرج راكبة ، ولتكفر عن يمينها — رواه أحمد وأبو داود ، واستدل الجمهور بأنه نذر غير منعقد ، فلا يوجب شيئا كاليمين غير المتعقدة ، بل لا يسمى نذراً لأن النذر التزام الطاعة ، وهذا التزام معصية ، وبالأحاديث التي أبطلت نذر المعصية ولم تذكر فيه كفارة ، كحديثنا ، وحديث مسلم « لا نذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك العبد » وأجابوا عن أدلة الأولين بضعف حديث عائشة ، وبأن الأصح في حديث ابن عباس أنه موقوف عليه ، وأما حديث عقبه ففيه زيادة تمنع العموم ، إذ رواه الترمذي بلفظ « كفارة النذر إذا لم يُسمَّ كفارة يمين » ورواه ابن ماجه بلفظ « من نذر نذراً لم يسمه النخ » فكفارة اليمين في النذر المبهم ، كأن يقول : لله على نذر ، ولا يزيد ، ولا يعلم خلاف في ذلك الا عن الشافعي فإنه قال : لا ينعقد النذر المبهم ولا كفارة فيه ، والحديث

حجة عليه ، وبماذا يجب الجمهور عن كون النذر ميمناً؟ أيقولون : نذر العصية
يمين غير منعقدة ؟

وبهذا عرفت حكم نذر الطاعة ، ونذر الواجب ، ونذر العصية ، ونذر المباح
والنذر المبهم ، وبقي نوعان ، هما نذر اللجاج والغضب ، ونذر المستحيل ، فالأول
بما أخرج مخرج اليمين بأن يراد به الحث على فعل شيء ، أو المنع منه ،
من غير أن يقصد به النذر والقربة ، كالذي يقول في حال الغضب لخصمه :
إن لم أرفع عليك قضية فدارى صدقة ، أو يقول : إن عاشرت فلاناً فعلى مائة جنيه
للجمعية الخيرية الاسلامية ، يريد بالأول حث نفسه على رفع القضية ، وبالثاني
الامتناع من معاشرته ، وهذا حكمه حكم اليمين ، فإن رفع القضية ، أو ترك العشرة فلا
شيء عليه ، وإن لم يرفع أو عاشر لزمته كفارة يمين ، وهو بخير بين الأمرين ،
وهذا رأى الجمهور ، وقال أبو حنيفة ومالك : يلزمه الوفاء بنذره ، أما نذر المستحيل
كصوم الأمس فلا ينعقد ، لأنه لا يتصور الوفاء به ، ولا يوجب شيئاً ، كما لو حلف
على فعله ، فإنه لا تلزمه كفارة ، فالنذر من باب أولى

الحديث ٧٤

في أخذ الأيسر ، وترك الانتقام للنفس

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَالَمْ يَكُنْ إِثْمًا ، فَإِنْ
كَانَ إِثْمًا كَانَ أَمَدَ النَّاسِ مِنْهُ ، وَمَا اتَّقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا أَنْ تُتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ ، فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

اللفظ : الانتقام المبالغة في العقوبة ، مأخوذ من تقم ينقم — كضرب وعلم —
إذا بلغت به الكراهة حد السخط ، والنقمة العقوبة ، والحرمة ماوجب القيام به .
من حقوق الله وحرم التفريط فيه ، وتقال لما لايجمل فعله ، وانتهى كها تناولها بما لايجمل
الشرح : للرسول (ص) الأدب الكريم ، والخلق العظيم ، وفي هذا
الحديث قصص علينا عائشة الصديقة زوج الرسول (ص) وأكرم نسائه عليه ،
ومن أعلمهن بأدابه — خلقين من أخلاقه العالية ، هما اختيار الأسهل الأيسر ، مالم
يكن محرماً ، وعدم الانتقام لنفسه ، مالم تُفَسِّحَ محارم الله ، فينتقم الله ، فمثلاً خيره
ربه بين الافطار والصيام في السفر أو المرض ، فاختار الأيسر ، وخيره بين مقابلة
السيئة بمثلها والعفو ، فاختار العفو ، وخيره فيمن تحاكموا اليه غير مخلصين في الحكم
بينهم أو الاعراض عنهم ، فاختار ما رآه أسهل ، وخيره بين أن يقوم نصف الليل
أو ثلثه ، أو يزيد على النصف ، فكان يختار ما يراه أيسر على نفسه ، وخيره بين
أن يفتح له كنوز الأرض ، أو يجعل رزقه الكفاف ، فاختار الكفاف ليتفرغ
لعبادة ربه ، والدعوة إلى دينه ، وكذلك إذا خيره أهل بيته بين أمرين اختار
أيسرهما ، فاذا خيره بين طعامين اختار أدناها كلفة ، وإذا استشار أصحابه في أي
الطرق يسلك في سفرة أو غزوة ، وفي أي الأماكن ينزل ، أو في أي البقاع
تكون المعركة ، فأشاروا بأمرين اختار الأيسر منهما ، وهكذا أدبه ، مالم يكن أحد
الأمرين معصية ، فانه يكون أبعد الناس منه ، وكيف لا تنفر نفسه الطيبة الطاهرة
مما يحدش طاعته لربه ، وحرصه على شرعه ، ولن يخيره بين طيب وخبيث ، كإيه
وخمر إلا جاهل بالدين ، أو منافق ، أو كافر لا يعلم أحكام الشريعة ، ذلك الخلق
الأول ، أما الخلق الثاني فكان (ص) لا يناله أمر يمضه ، من جفاة الأعراب .
أو من ضعفه الايمان ، أو من أعدائه ، فينتقم لنفسه ، فالأعرابي الذي جفاً عليه
في صوته ، والآخر الذي جبهه من رذائه حتى أثر في كنفه ، وذلك الذي اتهمه
باغلم في القسمة ، وذلك الذي أخذ منه سيفه على غرة ، وأراد الفتك به ، فسقط

من يده ، وتناوله الرسول (ص) كل أولئك وأمثالهم صفح عنهم الرسول (ص) وهذا ما لم يكن في الايداء له انتهاك لحرمه من حرمان الله ، واعتداء على شرعه ، فانه ينتقم لله ، انتصاراً لدينه ، وقياماً بواجب النهي عن المنكر، ولذلك أقام حد القذف ثمانين جلدة على من رمى زوجته البتول بالافك ، وآذاه في أهل بيته ، وأهدر دماء جماعة من المشركين لما فتح مكة ممن كانوا يؤذونه لأنهم كثيراً ما انتهكوا حرمان الله « وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ »

والحديث يحثنا على أخذ اليسير ، والرغبة عن العسير ، ويدعونا إلى الأخذ بالرخص إن كانت على النفس أسهل ، والعفوعن المسيئين إلا أن ينتهكوا حرمان هذا الدين ، ويندبنا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأخذنا في ذلك هوادة

الحديث ٧٥

في تقاتل المسلمين وعقوبته

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ نَفِيعِ بْنِ الْحَارِثِ الثَّقَفِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِذَا أَلْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ ، فَمَا بِالْمَقْتُولِ ؟ قَالَ : إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ - رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ
اللفظ : البال الحال التي بهم بها ، يقال : ما ياليت بكذا بالة أي ما اهتممت

به ، ويطلق على الخاطر ، وعلى القلب ، والحرص فرط الشره ، وفرط الارادة
الشرح : القتل العدوان إثم كبير ، وجرم عظيم ، توعد الله عليه بالعذاب

الشديد في قوله « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَمَدِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَلَعَنَهُ ، وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » وما كانت يد المؤمن الذي ملأ الايمان قلبه لتمدد إلى أخيه بسفك دمه ، وإزهاق حياته « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً » وقد بين الرسول (ص) في هذا الحديث أنه إذا تلاقى مسلمان بسيفيها ، أو بندقيتها ، أو مسدسيها ، أو مدتيها ، أو نبوتيها ، أو غيرها من آلات القتل — فذكر السيف على سبيل التمثيل — وأعمل كل منها ما في يده للقضاء على صاحبه ، والايذاء بحياته فالقاتل والمقتول في النار ، فسأل أبو بكره رسول الله (ص) قائلاً : هذا القاتل الذي أودى بحياته صاحبه يستحق النار كما نطق بذلك القرآن ، ولكن ما شأن القاتل الذي أريق دمه ، حتى يكون مع قاتله في النار ؟ فقال (ص) إنه كان حريصاً على قتل صاحبه ، وشارعاً فيه ، ومتملساً بأسبابه المباشرة ، ولولا أن ضربة صاحبه عجّلت بحياته ، وجندلته مضرراً بدمائه لكان هو السافك ، وقرينه القاتل ، فكل منهما باء بأهله ، واستوجب النار بجرمه

فان رفعت سيفك بحق على من رفعه عليك عدواناً وظلماً ، أو حسداً وبنياً ، فلا حرج عليك ولا ملامه ، ولن تمسك النار ، بل ربما كنت مأجوراً إذا قضيت به على الجرمين السفاكين ، فاذا قام نزاع بين طائفتين من المسلمين ، حتى اشتعلت نار الحرب بينهما ، وعملنا ما نستطيع للقضاء على الخصومة ، وإحلال السلم محل الحرب ، فأبتا أو أبت إحداهما وجب علينا الانضمام للمحققة ، وقتال الباغية ، وإشهار سيوفنا على سيوفها حتى نفلها ، ونذهب بشوكتها ، وتقيء إلى أمر الله « وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلِ الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَقِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ، فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ، إِنْ لَمْ يَجِبِ الْمُتَسِطِينَ ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » وإذا أرادك باغ على نفسك ، أو مالك أو عرضك

فدافعته بسيفك فليست للنار بأهل ، إذا كنت لا تستطيع دفعه إلا بالسيف ، ولكن استعمله بنية الدفاع لانية القتل ، فان قضت عليه ضربة الدفاع فعلى شر قصيت ، وإن أصابتك ضربة ففي سبيل الله قتلت ، وفي سجل الشهداء كتبت ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة « أنه جاء رجل إلى النبي (ص) فقال : يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي ؟ قال : فلا تعطه ، قال : فان قاتلني ؟ قال : فاقته ، قال : فان قاتلني ؟ قال : فأنت شهيد ، قال : أرأيت إن قتلتني ؟ قال : فهو في النار » ، وفي حديث عبد الله بن عمرو عند أبي داود والترمذي وصححه « مَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ »

وظاهر الحديث أن درجة القتيل والقاتل في العذاب بالنار سواء ، لأن كلا منهما بذل منتهى جهده لقتل صاحبه ، غاية الأمر أن ضربة أحدهما نفذت قبل الأخرى ، وقيل : بل درجتهم مختلفة ، فالقاتل يعذب على القتال والقتل ، والقتيل يعذب على القتال فقط ، فعذاب القاتل أطول أو أشد

وقد اختلف العلماء سلفاً وخلفاً في القاتل إذا تاب أتفنع توبته ، فتدراً عنه العذاب أم لا تنفع ؟ قال جماعة بالثاني منهم ابن عباس وزيد بن ثابت ، مستدلين بقوله تعالى في سورة النساء « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ . . . النَّارُ » وقال كثيرون بالنفع لقوله تعالى في صفة عماد الرحمن « وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا . إِلَّا مَنْ تَابَ ، وَآمَنَ ، وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا » وقالوا : إن هذا الاستثناء مراعى في آية النساء ، وكذلك اختلفوا في القصاص ، فن قاتل : إنه لا يدفع الاثم مستدلاً بقوله تعالى « وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ » فانه يفيد أن القصاص لمصلحة الناس فحسب ، وذلك بردع بعضهم عن بعض ، أما القتل المظلوم فلا يزال

حقه باقيا يأخذه يوم القيامة ، ومن قائل : إنه يدفع الائم لأن جزاء السيئة سيئة مثلها ، ولقوله (ص) في حديث عبادة بن الصامت بعد ذكر القتل وجرائم أخرى : ومن أصاب من ذلك شيئا ، فعوقب في الدنيا فهو كفارة له — رواه البخارى

وقد استدل بالحديث على أن قصد الجريمة ، والعزم عليها والتصميم يعاقب به المرء ، وإن لم تقع منه الجريمة ، إذ علل عقاب القتل في الحديث بأنه كان حريصا على قتل صاحبه ، والحرص فرط الارادة كما بينت لك في اللغة . وفي رواية : إنه أراد قتل صاحبه ، وقد اعترض على هذا الاستنباط بما جاء في حديث ابن عباس عند البخارى « ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فان هو هم بها ، فعملها كتبها الله له سيئة واحدة » ومثل ذلك ماجاء في حديث أبي هريرة عند البخارى أيضا « إذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها ، فان عملها فكتبوها له بمثلها ، وإن تركها من أجلى فآ كتبوها له حسنة » فلم يجعل في الهم بالسيئة عقابا إذا لم يقترن بعملها ، وجعل في تركها خشية الله ثوابا ، إذ جاهد باعث الشر حتى غلبه « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ » ، وقد دفع هذا التعارض بعض العلماء بالترقية بين الهم والعزم ، فالأول مرور العكرة بالنفس من غير استقرار فيها ، والثانى التصميم على المعصية وتوطين النفس عليها ، فالعقاب على الثانى دون الأول ، وهو دفع مدفوع ، وتفريق مردود ، لم يتم عليه دليل ، ثم إنه صُرح بالارادة في حديثنا ، وفي حديث أبي هريرة المعارض ، فالصواب من القول أنه لاتعارض أصلا ، فان حديثنا لم يرتب العقاب فيه على مجرد الحرص أو الارادة ، بل هو مرتب على أمرين : الأخذ في تنفيذ الجريمة برفع السيف والتقاتل به ، وسبق الاصرار عليها . وبعبارة أخرى : الشروع في الجريمة ، والقصص الجنائى ، كما يقول رجال القانون ، أما مجرد العزم بدون تنفيذ فلا يدل حديثنا على المؤاخذة به ، وظاهر حديث ابن عباس وحديث أبي هريرة أنه لاعتقوبة فيه ، بل التعبير بصيغة الافعال في جانب الشرودون جانب الخير

في قوله تعالى «لَهَا مَا كَسَبَتْ، وَعَلَيْهَا مَا كَسَبَتْ» يشعر بأن الشر لا يبدى فيه من المعالجة والمخالطة ليحسب على المرء، فلا يكفي فيه مجرد النية، أما الخير فالنية فيه لها ثواب بقدرها، ويؤيد هذا حديث أبي هريرة عند الشيخين «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل به أو تتكلم»

وقد احتج بالحديث من لم ير القتال في الفتن، كسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأبي بكر، وغيرهم، ممن لم يدخلوا في الشجار الذي كان بين علي وشيعته، وعائشة وأنصارها، وقد منا لك واجب المسلمين في الفتن، الذي أمر به القرآن في جلاء لاغموض فيه، وهو الاصلاح بين الطائفتين المتقاتلتين فان أبنا الصلح، أو أبته إحداهما فواجب قتال التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله «وبعد» فالحديث ينعي على المسلمين ما ينهم من شجار، وما يقوم بين أمهم من حروب، لا باعث عليها الا الاستئثار بالملك، والتعصب للجنس، دون الانتصار للحق، ولقد شربت هذه الحروب من دماء المسلمين عباً، حتى أضعفت شوكتهم وزلزلت سلطانهم، وطأطأت رؤوسهم لخصومهم، وأخضعت رقابهم لسيوفهم، فانتقصوا بلادهم من أطرافها، بل جاسوا خلالها، وأصبحت لهم الكامة في أكثرها، فهل من مدكر؟ لقد جاء من الأنبياء ما فيه مزدجر

الحديث ٧٦

في نعمة القرآن والمال، والنصح فيهما

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ مَلَكَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آ نَاءَ اللَّيْلِ ، وَآ نَاءَ النَّهَارِ ، فَسَمِعَهُ جَارُهُ لَهُ ، فَقَالَ : لَيْتَنِي أُوتَيْتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ ، وَرَجُلٌ آ تَاهُ اللَّهُ مَالًا ، فَهُوَ يَهْلِكُهُ

فِي الْحَقِّ ، فَقَالَ رَجُلٌ لَيْتَنِي أُوتَيْتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فَلَانٌ ، فَعَمِلْتُ
مِثْلَ مَا يَعْمَلُ — رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ ، وَفِي رِوَايَةٍ لِلشَّيْخَيْنِ :
لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا ، فَسَلَطَهُ عَلَى هَلَكَةِ
فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا

اللفظ : الحسد أن يرى المرء نعمة على أخيه ، فيتمنى زوالها عنه إليه أو إلى
غيره ، وقد يضيف إلى التمني السعي في زوالها ، والنهضة أن يتمنى مثلها ولا
يتمنى زوالها عن أخيه ، والتلاوة القراءة ، ولا تكاد تستعمل إلا في قراءة كلام
الله تعالى ، والأصل لمعنى « ت ل و » التبع ، ولذلك قيل لولد الشاة والناقة
« تَلُو » إذا فطم وصار يتبع أمه ، وكل ما يتبع غيره في شيء يقال : هو تلوه ،
وسميت قراءة القرآن تلاوة لأنه مثاني كلما قرئ منه شيء يتبع بقراءة غيره أو بإعادته ،
أو لأن شأنه أن يقرأ ليتبع بالاهتداء والعمل به ، بل فسرت تلاوة القرآن بإتباعه
والعمل به ، والآباء الساعات ، الواحد أتى مثلث الهمزة ، والتسليط التمكين من
القهر والاختضاع ، والهلكة الإهلاك ، والحكمة إصابة الحق بالعلم والعمل ، وبعبارة
أخرى : وضع الأشياء مواضعها ، ولذلك قيل لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها
حكيم ، والمراد بالحكمة هنا القرآن بدليل الرواية الأخرى ، والقرآن مبين للحق ،
مؤتٍ للحكمة

الشرح : الحسد رذيلة ممقوتة ، لأنه كراهية الخير للناس ، وتمنى زوال النعم
عندهم ، ولا يتخلق به إلا ذوو النفوس الحيثة ، والقلوب الأنسية ، التي مات فيها
داعى الخير ، وحيى مكانه باعث الشر ، فإن انضم إلى ذلك السعى في زوال النعم
بوشاية أو عمل تضاعف المقت ، وتزايد الفحش ، وقد نهى الله عنه بقوله « وَلَا
تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ » وأمر بالتعوذ منه في سورة الفلق
« وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ » وإذا كان الحسد كله شرا كان قول الرسول

(ص) لاحسد إلا في اثنتين من قبيل الاستثناء المنقطع ، فلا حسدَ محمود أو جازن .
مطلقا ، لافي مال أو علم ، ولا في منصب أو جاه ، ولا في غير ذلك من أنواع
النعيم ، سواء رجوت النعمة الزائلة لك ، أو رجوتها لغيرك ، ولكن هناك خصلتان
محمودتان ليستا من وادي الحسد ، أو تقول : إن الحسد هنا يراد به الغبطة مجازا ،
فغنى العبارة لا غبطة إلا في هاتين الخلتين ، فحصر الغبطة فيهما مع أنها تكون في
غيرها بياناً لعلو درجتهما ، وعظيم منزلتهما ، وأنها وحدهما الجديرتان بالغبطة دون
غيرها من صنوف النعيم

فالخلة الأولى الجديرة بالتمنى ، الحقيقة بالجد في إدراكها ، والسعي في نوالها .
خلة رجل من الله عليه بالقرآن ، فوهبه حفظه ، وعلم ما تضمنه ، من حلال وحرام .
وجم وأحكام ، وقصص وأخبار ، وآداب وأخلاق ، فذاق حلواته ، وعرف
مكانته ، فحرص عليه الحرص كله ، وعض عليه بالنواجذ ، واتخذ سميره وجليسه
وخليله وأنيسه ، فهو يتأوه آنا الليل ، وآنا النهار ، فلسانه به رطب ، وقلبه حى ،
وعقله فى نمو وعلو ، ونفسه مهتدية بهديه ، ومقتضية لأثره ، يفصل به فى المشكلات .
ويحكم فى المنازعات ، ويقضى على الشبهات ، يقى به المستفتين ، ويفض شجار
المتنازعين ، يدعو الناس إليه ، ويحثهم عليه ، يقرئهم آيه ، ويعلمهم أحكامه ، يعظهم
بعضاته ، ويهديهم بكلماته ، يشرحهم بما فيه من النعيم ، ويحذرهم عذاب الجحيم ، فهو
به عليم ، ولأمره سميع ، ولآيه قارى ، وبأحكامه فاصل ، ولما فيه ناشر ، فأورثه
ذلك الحكمة التى يزن بها الأمور بميزان الحق ، ويقول فيها القول الفصل : « يُؤْتِي
الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ » نعم من أوتي القرآن أوتي خيراً كثيراً ، أوتي صحة
فى جسم ، وطهارة فى نفس ، وكالا فى عقل ، وسعة فى مال ، وعزة فى تواضع ،
وشدة فى رحمة ، ورسوخا فى علم ، وصدقا فى قول ، وما يذَّكَّرُ بما يسمع إلا
ذوو العقول الراجحة ، والألباب الناضجة ، فأولئك إذا سمع جدم بجار علمه
الله القرآن ، ووقفه لتلاوته ليله ونهاره — يتمنون أن يؤتوا مثل ما أوتي من الذكر

الحكيم ، وأن يوقفوا لتلاوته كما وفق ، ويعملوا به كما عمل ، فيؤذا منهم رجـ
مشروع ، وتمنّى محمود ، جدير بالمسابقة إليه ، والتنافس فيه
والخلة الثانية ، الخليقة بالرغبة ، الحرّية بالغبطة خلة رجل وهبه الله مالا ، فلم يكن
فيه قنوراً بخيلاً ، ولا مبذراً سفيهاً ، يبده بين الكس والطاس ، وينثره تحت
أقدام المائلات المييلات ، الفاتنات الراقصات ، ويرمي ببدره على مناخذ الميسر ،
ويهلكه في ولأثم الرياء والشهرة ، ولكن في سبيل الله ينفقه ، وفي إقامة الحق
يهلكه ، وفي سبيل العزة لقومه ، والاستقلال لبلده ينثره ، يهذب به نفسه ويرقى ،
ويعلم أولاده ويثقف ، يصل به أقرباءه ، ويواسى أصحابه ، يفتح به المدارس ، وينشئ
المصحات والملاجئ ، ويقم المصانع ، ويؤلف به الشركات النافعة ، وينهض
بالشروعات المثمرة ، يعطف به على الأراامل والأيتام ، والمساكين والفقراء ، يساعد
به الغارمين ، ويقضى به على الظالمين ، وينصر المظلومين ، يفك به العائنين ، ويحرر
المستعبدين ، فيده في إنفاة مطلقه ، ولا لآفه مهلكة ، ولكن في سبيل الله ، لا في سبيل
الشیطان ، وفي سبيل الحق والشرف ، لا في سبيل الترف والسرف ، فن تمنى
مثل هذا المال ، ورجا الله أن يوقفه لمثل هذه الأعمال كان ذا الخلة المحموده ،
والغبطة المشكورة

تانك هما الخلتان ، الخليقتان بالتمنى ، وإيهما لأس الفضائل ، وجماع المكارم
ثروة في العلم ، وثروة في المال ، وقفهما على الخير ، وجدّ بهما في النفع ، فأى فضل
بعد هذا ، في ذلك فليتنافس المتنافسون ، ولثل هذا فليعمل العاملون

الحديث ٧٧

في النصح للرعية ، وعقاب المقصرين

عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرَ عَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً ، فَلَمْ يَحْطَبْهَا بِنُصْحِهِ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ، وَفِي لَفْظٍ آخَرَ عَنْهُ : مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٍ لَهُمْ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ — رَوَى ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

اللفظة : الرعية ما يرعاه المرء ويحفظه ، ويسوسه ويدبره ، واسترعاه الرعية طلب منه رعايتها وحفظها ، والنصح تحرى الأقوال والأفعال ، التي فيها صلاح المنصوح ، وهذا أثر الاخلاص له ، فالنصح من ناصح العسل أى خالسه ، وحاطه يحوطه كلاًه وصانه ، والاسم الحياطة ، وأحاط به مثله ، وغشه أظهر له غير ما أضمره وزين له غير المصلحة

الشرح : الرعية أمانة في يد الراعى ، يجب عليه القيام بحفظها ، وحسن التمهيد لها ، والعمل لمصلحتها ، فمن ولاه الله شئون الخلق من ملك وأمير ، ورئيس ووزير ومدير وأمور الخ يجب عليه أن يحوطهم بنصحه ، ويخلص لهم في حكمه ، فيكون لهم كما يكون لنفسه ، يجب العدل معه والبصدق ، فليكن معهم عادلاً ، وفي معاملتهم صادقاً ، يجب لنفسه السلامة والعافية ، والعلم والثروة ، فليعمل على سلامتهم من الأمراض ، ووقايتهم من الأضرار ، وليقيم بينهم دور العلم ، ويسهل السبل إليه ، ولينم ثروتهم ، بالجد في ترقية الصناعة ، وإقامة التجارة ، وتحسين الزراعة ، يجب الأمن على نفسه ، وماله وعرضه ، فليكن لنفوسهم واثقياً ، ولما لهم راعياً ، ولعرضهم صائناً ، فيضرب على أيدي المفسدين بيد من حديد ، لا يحرکہا إلا التربية والتأديب ، يجب لنفسه مجداً وعلواً ، فليعمل لمجدهم وعزتهم ، وشرفهم وكرامتهم ، وبعبارة وجيزة : ليفرض نفسه واحداً منهم ، وليعاملهم بما يجب أن يعامل به ، وقد بين الرسول (ص) أن من لم يحط رعيته بنصحه ، ولم يحفظها بقوله وفعله ، بل كان فيها الحاكم الخامل ، أو الوالى الظالم ، أو الراعى الغاش ، الذى

يعطى من طرف اللسان حلاوة ، وقلبه مفعم بالعداوة ، يتظاهر بالجد في المصلحة ، وهو يضمّر المفسدة ، يبدو للناس الشاب العابد ، والورع القانت ، وبين حنديه لنسيم ماكر ، وعدو غادر — من كان كذلك إذا استمر على غشه ، ولم يرعو عن غيه ، حتى بفتته المنية حرم الله عليه الجنة ، فلا يدخلها ، بل لا يَرَّاحُ رَأْحَهَا العتقة الذائعة المنتشرة ، إنما مأواه النار ، وما للظالمين من أنصار ، وأن هذا لوعيد شديد ، وعذاب أليم ، وإنه للحق والانصاف والعدل ، فإن من غش الآلاف أو الملايين ، وسامهم الهوان والذل عشرات السنين ، وحرّمهم لذة الحياة ليستحق النكال أضعافاً مضاعفة وما ربك بظلام للعبيد ، وانظر الحديث ٢١ ص ٤٣

الحديث ٧٨

في اللدد في الخصومة

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ أَبْغَضَ الرَّجَالُ إِلَى اللَّهِ الْأَلْدُ الْخَصْمَ — أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

اللفّة : الألد الأكثر لددًا ، والدد الخصومة الشديدة ، مأخوذ من ليدى الوادى أى جانبيه ، والخصم الشديد المنازعة الذى يَحُجُّ مَخَاصِمَهُ وَيَغْلِبُهُ الشَّرْحُ : يبين الرسول (ص) أن أبعد الناس من رحمة الله ومحبته ، ومودته ومعونته ، بل أحقهم بغضبه ولعنته ، وعدابه وعقوبته ، الذى يشتد فى خصومته ، ويمجادل حتى يجندل خصمه ، والحديث باطلاقة يشمل من يجادل لاستيفاء حق ، ولكن ذلك لا يدخل فيه ، فإن لصاحب الحق مقالا ، كما قال رسول الله (ص) وإما المراد به من يحاصم فى باطل ، أو يجادل بغير علم ، كالحامين الذين لم يدرسوا القضية ، أو درسوها وعرفوا باطلها ، ودافعوا فيها ، وكالجدلين الذين يحامون عن الآراء

الباطلة ، والعقائد الزائفة ، حتى يضل بهم العامة ، أو ذوو العقول الصغيرة ، سواء كان ذلك بالتأليف ، أو بالحديث في المجالس ، ويدخل في الblem من يخاصم في الحق ، ويتجاوز في الخصومة قدر الحاجة ، فيسب ويكذب لا يذء خصمه ، أو يخاصمه عناداً ليقهره ويذله ، وفي الدفاع بالباطل جاء قوله تعالى «وَلَا تُجَادِلْ عَنَ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا» - انظر الحديث ٥ ص ١٣ ، والحديث ٢٨ ص ٦٠

الحديث ٧٩

في فضل قراءة القرآن

عَن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَأَلَّا تُرْجَعَهُ ، طَعْمَهَا طَيِّبٌ ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ ،
وَ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْتَّمْرَةِ ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَلَا رِيحَ لَهَا ، وَمَثَلُ
الْفَاجِرِ - فِي رِوَايَةٍ : الْمُنَافِقِ - الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرِّيحِ الْمَخَانَةِ
رِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ - فِي رِوَايَةٍ : الْمُنَافِقِ - الَّذِي
لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ ، طَعْمُهَا مُرٌّ ، وَلَا رِيحَ لَهَا ، وَفِي رِوَايَةٍ
الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ . . . وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي لَا يَقْرَأُ . . .
رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ

اللفظ : الأترج نوع من الفاكهة ، متوسط الحجم ، واحدته أترجة ، وقد تخفف جيمه وتزاد نون ساكنة قبلها ، وقد تخفف همزته مع الوجهين ، والأترج مركب من أربعة أشياء ، قشر ولحم وحمض وبزر ، لكل منها مزايا خاصة بسطت

في كتب المفردات الطيبة ، وهو حسن المنظر ، ابن الملمس ، لذيداً لا كل ، يطيب
نكهة اللحم ، تصلح رائحته فساد الهواء ، ويذكر أن بعض الأَكاسرة غضب على
قوم من الأطباء ، فأمر بجسهم ، وخيرهم أدماً لا يزيد لهم عليه ، فاختروا الأترج
فقيل لهم : لم اخترتموه على غيره ؟ فقالوا : لأنه في العاجل ريحان ، ومنظره مفرح ،
وقشره طيب الرائحة ، ولحمه فاكهة ، وحمضه أدم ، ووجهه ترياق ، وفيه دهن ،
والريحان كل نبت طيب الرائحة ، وواحدته ريحانة ، والمعروف منه عند العرب الآس
ويقال : إن رائحته تقتل الجراثيم الجوية ، والحنظل نبات يمتد على الأرض كالبطيخ
وثمره يشبه ثمر البطيخ ، ولكنه أصغر منه بكثير ، ويضرب المثل بمراته

الشرح : الايمان طريق السعادة ، والفجور أو النفاق وسيلة الشقاوة ، والقرآن
دَوْحة هذا الدين ، منه تفرعت فنونه ، وأخذت علومه ، من فقه وتوحيد ، وتصوف
وحكمة ، وأصول وأخلاق ، ووعظ وقصص ، وبمقدار اتصال القلب به ، وتكبير
العقل فيه تكون درجة الانسان في الهدى والعلم ، ولقد مثل الرسول (ص) في هذا
الحديث لأربعة أصناف من الناس ، لهم صلة بالقرآن ، باعتباراه كتاباً ينتمون
اليه ، ويؤمنون به ولو إيماناً ظاهراً

فأولهم شخص أوفى ملاً الايمان قلبه ، وفاض على جوارحه ، فهو بالله موقن
و برسوله مؤمن ، وبكتابه مصدق ، وبدينه عامل ، جعل لنفسه حظاً من القرآن ،
يتلوه آناً الليل في تهجده ، أو مضجعه ، أو جالساً على فراشه أو مكتبه ، ويتلوه
في ساعات النهار قائماً وقاعداً ، راكعاً وساجداً ، كما سنحت له فرصة لقراءته انتهزها
حتى لا ينفل قلبه عن ذكر الله ، فتخطفه الشياطين ، وتضلّه عن سواء السبيل ،
وليست قراءته من طرف لسانه وشفته ، وشدقه وحنجرته ، بل قلبه الذي يقرأ ، ولبه
الذي يردد ، ولذلك أثمرت الخشية والهداية ، وأنتجت العمل والاستقامة ، فهذا
مثله الرسول (ص) بالأترجة ذات الطعم اللذيذ ، والرائحة الطيبة ، فان بلوته واخترته
وعاشرته وعاملته ، لم تجد إلا امرأً وفياً ، براءتياً ، يقدر الحق تقديساً ، ويشناً

الباطل مَسْنَأً ، وإن شمته فرائحة طيبة ، ذكية عبقة ، تحيي القلوب ، وتنعش النفوس ، وتدكي العقول ، وكيف لا تكون كذلك وهي نفحة القرآن ومكه الذي انبعث من لسانه الرطب المعطر ، وقلبه الحى المطهر

وإنهم شخص أو فريق ، بالقرآن مؤمن ، وبأحكامه عامل ، وبارشاده مهتد ، وبأخلاقه متخلق ، ولكن لم يؤت القرآن تلاوة وحفظاً ، وإن أوتيه تطبيقاً وعملاً ، فهذا كالتمرة ، حلوا الطعم لذيذه ، طيب الخلق جميله ، صادق النية حسن الطوية ، أما الرائحة ففقودة ، إذ لم يتطيب بمسك القرآن ، وإن غسل قلبه بمائه السليل ، ومثله في عمله الجليل

وإنهم فاجر أو منافق ، ليس له من الإيمان إلا اسمه ، ولا من الدين إلا رسمه يقرأ القرآن ، وقد يجيد حفظه ، ويتقن طريقه ، ويعرف قراءته ، وتوقيع ألفاظه ونغماته ولكن لا تجاوز التلاوة حنجرتة ، ولا تعدو ترقوته ، فإن تلوته تكشف لك عن قلب أسود ، وفؤاد مظلم ، وخلق مر ، وعمل ضر ، وهذا مثله الرسول (ص) بالريحانة ، وإن شممت فرائحة ذكية ، وإن ذقت فحرارة لذعة ، كذلك هذا يقرأ القرآن ، فتستريح له النفوس ، كما تستريح للروائح العطرة ، ولكن قلبه ونفسه منطويان على السوء ، تذوق مرارته ، وتحس قذارته ، إن عاشرته أو عاملته ، ومثل هذا لا أثر للقرآن في نفسه ، لأن فجوره ونفاقه ختم على قلبه ، فلا تؤثر فيه نصيحة ولا تنجح معه موعظة

ورابعهم منافق أوفاجر ، لا صلة له بالقرآن ، لا علماً ولا عملاً ، ولا تلاوة وحفظاً ، وهذا شبه الرسول (ص) بالحنظلة ، لا ربح لها ، وطعمها مر بشع ، كذلك هذا ، يحمل نفساً خلقت من النجور ، ونبئت في النفاق ، إن تدوَّقها الناس آذت أنفسهم ، ودنست نفوسهم ، ولا يشم منه خير ، إذ حرم من طيب الطيوب ، وعمار العطور : كتاب الله ، جلاء العيون ، وشرح الصدور ، وحياة النفوس ، وطيب القلوب ، وتسنف الآذان ، وسراج الأبواب ، تلك هي الأصناف

الأربعة ، التي تعرض لها الرسول (ص) بالبيان والتمثيل ، فيا ترى في أيها وصعت نفسك ؟ ظني أن تكون المؤمن الخالص ، والقارىء المتدبر ، والعامل الورع

الحديث ٨٠

في تسييح الله وتقديسه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي
الْمِيزَانِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ - رواه الشيخان
والترمذى والنسائى وأبو ماجه

اللغة : الرحمن صيغة مبالغة تفيد الامتلاء من الصفة كرىان وعطشان ، وقد
عرفت الرحمة بأنها رقة تقتضى الاحسان إلى المرحوم ، وتطلق على مجرد الرقة ، وعلى مجرد
الاحسان ، ويقال إنها في جانب البارى بمعنى الاحسان فقط ، وخير من هذا ألا
نؤول الصفات ، بل ثبت لله ما أثبتته لنفسه من غير تشبيه ولا تمثيل ، ونكل
العلم بالحقيقة إليه ، وما نعرفه من صفاتنا مقرب إلينا صفاته ، وإن كان الفرق بين
صفات الله وصفاتنا كالفرق بين ذاته وذواتنا ، وسبحان فى الأصل مصدر بمعنى
التسييح كغفران ، ومعناه التنزيه عن النقائص ، وأصله الجد فى عبادة الله تعالى
مأخوذ من السبح وهو المر السريع فى الماء أو الهواء ، ويقول النحاة : سبحان واقع
موقع المصدر منصوب بفعل محذوف ، تقديره : سبحت الله سبحانا ، أى تسييحاً
وأكثر ما يستعمل بالاضافة ، والحمد لله الثناء عليه بصفاته العليا ، وقد قالوا : إن
الواو فى « سبحان الله وبحمده » للحال ، والتقدير : أسبح الله متلبساً بحمده ، أو
للعطف ، والتقدير : أسبح الله ، وأقوم بحمده ، والأول أظهر لاتفاقه مع أسلوب
القرآن كما سند كر

الشرح : ذِكر الله تعالى يحيي ميت القلوب ، ويدكي فاطر الهمم ، ويحوط المرء سياج من العصمة ، ويقيه نزغات الشيطان . ويباعد بينه وبين المعاصي « **إِنَّ الصَّلَاةَ تَمْهِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ** »
وقد بين الرسول (ص) في هذا الحديث صيغة من صيغ الذكر لا مشقة في حفظها ولا صعوبة في استيعابها ، وهي مع ذلك عظيمة الأثر كبيرة الجدوى ، تغلق على المؤمن من فيض الله الخير الكثير ، والأجر الوفير ، تثقل من الطيبات حسانه ، وتمحو من أوزاره وسيئاته ، ولئن كانت مآثر التكليف شاقة على النفس ، فإن الذكر بها هين سهل لا يستدعى قوة ولا استعدادا ، وإنما يوجب إخلاصا وتفرغا للنفس من شواغل الدنيا وهو اجس القلب ، وليس بكثير على الله الذي وسعت رحمته كل شيء ، أن يجزل الثواب العظيم على العمل القليل ، لما في هذه الصيغة من تنزيه الله عن الشريك والنظير ، وتحميده على صوابغ النعم وجزيل الفضل ، وتعظيمه بما هو أهله

وأنت خير أن هذه الفضائل إنما لمن أخلصوا في دعائهم ، وكلوا في إيمانهم ، وتجنبوا المعاصي والحرام ، ونأوا عما يغضب الله من الآثام ، ولا تظن أن من أذنب الذكر ، وأصر على ما شاء من شهواته وانتهك حمي الله وحرمانه ، يلتحق بالقدسين الطاهرين ويبلغ منازلهم بكلمات يجرها على لسانه . لا يتجاوز أثرها فه يرشدك هذا الحديث الى أن للأعمال والأقوال ثقلا وخفة ، يتقل منها ما كان خالصا لله ويخف ما شابه الرياء والغفلة ، ولم يكن في حضور القلب واتبائه . وإن الأعمال صور ماثلة وأرواحها وجود الإخلاص فيها ولقد قال الله تعالى « **فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ** » وقال (ص) « **مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ** »

الحديث ٨١

ثمره افشاء السلام

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى
تَحَابُّوا ، أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِنْ فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَيْتُمْ ، أَفْشُوا السَّلَامَ
بَيْنَكُمْ — هذا الحديث رواه مسلم في كتاب الايمان وكذلك رواه.

ابو داود والترمذى

الشرح : يقسم الرسول (ص) بمن نفسه بيده وهو الله سبحانه على ثلاث.
قضايا (١) دخول الجنة بالايمان (٢) الايمان بالتحاب (٣) إفشاء السلام سبيل
التحاب ، و إشار هذه الصيغة في القسم زيادة تأكيد لصدقه (ص) فيما أقسم عليه.
وبيان لعظمة القسم به وسلطانه على المقسم أما القضية الأولى فيدل عليها كثير
من آى القرآن مثل قوله تعالى « إِنَّهُ مَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ
وَمَاوَاهُ النَّارُ » وقوله « وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ
الْعُلَى جَنَّاتُ عَدْنٍ » والايمان هو التصديق القلبي الذى يحرك الأعضاء بالأعمال
الصالحة فالؤمن حقاً لا يمه عقاب ، أما من دنس إيمانه بالأعمال السيئة فيدخل الجنة
بعد أن يلقي جزء ما اقترف ، وأما القضية الثانية فلأن الله تعالى وصف المؤمنين بأنهم
إخوة في قوله « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » والمحبة شأن الأخوة . ثم المعروف أن الشخص
إذا تكلمت العقيدة من نفسه أحب من على شاكلته ، فالؤمن الذى جرت أعماله
وأخلاقه على سنن الشريعة يحب من مائه في ذلك ، وها نحن أولاء نرى التآلف
والتحاب بين من ينتمون لحزب واحد أو يتفقون في المبدأ ، وأما القضية الثالثة فلأن

إلقاء السلام يشعر بميل ملقيه إلى من سلم عليه فإذا تبادلا ذلك فقد تبادلا الميل وإذا تكرر السلام نما الميل فكان محبة وإذا عممه بين الناس اكتسب محبتهم ولذلك حث الرسول (ص) على بذله لمن عرفت ومن لم تعرف ، والأمر بالسلام في الحديث يدل على وجوبه ولكن نقل ابن عبد البر وغيره أن الابتداء بالسلام سنة وأن رده فرض وأقله أن يقول السلام عليكم وأكمل منه أن يزيد : ورحمة الله وبركاته . فإن كان المسلم عليه واحداً وجب الرد عليه عيناً وإن كانوا جماعة فالرد فرض كفاية في حقهم وفي الحديث « يُجْزَى عَنْ الْجَمَاعَةِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ » رواه أحمد والبيهقي وكما يكون السلام عند اللقاء يكون عند الفراق لحديث « إِذَا قَدَّمَ أَحَدُكُمْ فَلْيُسَلِّمْ وَإِذَا قَامَ فَلْيُسَلِّمْ وَلَيْسَتْ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ » وقد قالوا : إن السلام اسم من أسماء الله تعالى فعنى السلام عليكم : أتم في حفظ الله كما يقال : الله معك والله يصحبك وقيل السلام بمعنى السلامة أى سلامة الله ملازمة لك واعلم أن السلام شعار المسلمين فلا ينبغي لمسلم يعرف قيمة المحافظة على شعار دينه ومقومات أمته أن يستبدل به كلمة أخرى مثل « نهارك سعيد » « ليلتك سعيدة » « بنجور » « بنسوار » الخ .

الحديث ٨٢

فضل ستر العورة

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ رَأَى عَوْرَةً فَسَتَرَهَا كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْءُودَةً --
الحديث أخرجه أبو داود والنسائي

اللفظ : العورة كل ما يستحيا منه اذا ظهر ، وكل عيب وخلل في شيء هو عورة ، والموءودة التي تدفن في التراب حية ، وإحيائها اناؤها مما يراد بها .

الشرح : ستر العورات والعيوب من الأمور المرغوب فيها لأن كشفها وانشاءها مما يورث الضغينة ويقطع الصلات . والعورات التي تستر هي التي في سترها مصلحة فوق مصلحة كشفها أما إذا كان في الستر مفسدة دينية كشخص رأى آخر يسفك دما وكان الستر عليه مما يجعله يتمادى في الشر فالواجب التبليغ عنه بل الكشف الذي يترتب عليه حفظ الأموال وحقق السماء أمر مطلوب . وقد شبه الرسول (ص) ساتر العورة بمن أحيا موءودة أى أنقذها من الواد الذى كاد يحيق بها كما في قوله تعالى « وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا » ووجه الشبه بينهما أن من ستر العورة أحيا صاحبها حياة أديبة فلم يشع عنه السوء ولم يثلم شرفه بين صحبه وقومه واحياء الموءودة احياء روى وقد تهون الحياة الحقيقية في سبيل الشرف والكرامة فمن أجل ذلك شبه الرسول ساتر العورة بمحيي الموءودة لأن في كل اتياد حياة . والغرض من الحديث الحب على ستر العورة اذا لم تترتب عليه مفسدة راجحة .

الحديث ٨٣

القصد في الطعام والشراب

عَنْ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ بِحَسَبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَأَعْلَا فَثُلُثُ لُطْعَامِهِ وَثُلُثُ لِسْرَابِهِ وَثُلُثُ لِنَفْسِهِ — أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ

اللغة : بحسبه أى كفيه أو يكفيه ، الصلب : العمود الفقري

الشرح : يدعو الحديث الى ذم الشبع والاسراف في تناول الطعام والشراب وقد نهى عن ذلك القرآن بقوله « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ »

وإنما كان ملء البطن شراً لما فيه من المفسد الدينية والدينية ، فالشيع يورث
البلادة ويعوق الذهن عن التفكير الصحيح وهو مدعاة الكسل والنوم الكثير
ومن نام كثيراً قتل وقته الذى هو رأس ماله فى الحياة العملية فيخسر كثيراً من
مصالحه الدينية والدينية وكم من أكلة كانت عاقبتها الكظة . وجلبت من
الاضرار والامراض ما لا قبل للانسان به ، ومن وصايا لقمان لابنه : يا بني اذا امتلأت
المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة ، ولا كذلك
الحال فى الافلال من الطعام والشراب فالقلب صاف والقريجة متقدة والبصيرة
نافذة والشهوة مغلوبة والنفس مقهورة . وقد أرشدنا الرسول (ص) الى المتدار
المناسب فى الطعام وهو ما يقيم الحياة ويحفظ الصحة ويمكن الانسان من القيام
بواجبه وإن كان لا بد مكثرأ جعل للطعام والشراب ثأى المعدة وترك ثلثها الباقى
خاليا حتى يتمكن من التنفس بسهولة وذلك أن البطن اذا امتلأت ضغطت على
الحجاب الحاجز فضغط على الرئتين فضاقت مجارى التنفس الذى هو ضرورى
لاصلاح الدم الفاسد وتحويله الى دم صالح تقوم به حياة الانسان .
فحور الحديث مدح الاقتصاد فى الطعام والشراب وذم الاسراف فيهما وهو
ما يطلبه الطب ويقوم به نظام العمل وتتوفر به للانسان مصالحه الدينية والدينية.

الحديث ٨٤

فضل الدعوة الى الخير

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ
اتَّبَعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ

عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ اتَّبَعَهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا —
الحديث أخرجه مسلم ومالك وأبو داود والترمذی

اللغة: الهدى الدلالة والرشاد والضلالة ضده والمراد بالهدى هنا ما به يكون
المرء سالكا الطريق المستقيم من خير يعمله أو شر يتجنبه والمراد بالضلالة ما به
يتنكب الانسان جادة الحق كصالح يدعه وسيء يعمله

الشرح: بين الرسول أن الداعى الى الهدى له من الأجر والثواب مثل أجور
من اتبعه مع استيفاء التابعين أجورهم كاملة وأن الداعى الى الضلالة كعقيدة
فاسدة وجريمة منكورة وخلق مردول عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه مع استيفائهم
آثامهم كاملة والسبب فى ذلك أن المرشد الى الخير كانت كلمته سبباً فى وجود
هذا الخير فى المجتمع الانسانى من هؤلاء التابعين فافعلوه من الطيبات كأنه
هو الذى فعله فله جزاؤه موفوراً وكذلك دأى الضلالة كأنه الذى ارتكب جرائم
تابعيه فعليه عقاب ما اجتموا .

والحديث فيه ترغيب عظيم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى
هو وظيفة الرسل والمصلحين كما فيه انكار شديد وويل عظيم للذين يضلون الناس
عن طريق الحق ويزينون لهم اجتراح السيئات أولئك الذين يخرجون على إجماع
المسلمين ويلبسون الحق بالباطل ليضلوا عن سبيل الله ويفرقوا الكلمة ويشتتوا
الجمع زاعمين أنهم مجددون باحثون لامقلدون والله يعلم ما الخير قصدوا ولا
الفهم والحق طلبوا ، فكن للخير داعياً ، وعن الشر منفراً وفى كنف الجماعة مستظلاً .

الحديث ٨٥

وصف المؤمن

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَّانٍ وَلَا لَعَّانٍ وَلَا فَاحِشٍ وَلَا بَيْدِيٍّ — أخرجه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه

النافع : الطعان الذى يقدح فى الأعراض واللعان السباب الشتام واللعن من الله الأبعاد من الرحمة ، والفاحش الذى ينطق بهجر الكلام وقبيحه وكذلك البذى الذى يسف فى القول ويخرج فيه عن دائرة الأدب وهو من البذاء بمعنى الكلام القبيح .

الشرح : المؤمن طهر الايمان قلبه ودفعه إلى الخير وسما به عن الدنيا ، عف اللسان فلا يقول إلا جميلا وظاهر السريرة ولا يعمل إلا حسنا ، فإن رأيت فى المتسمين بالاملام من ينطلق لسانه بالشتائم ويخوض فى الاعراض وينطق بالهجر فهذا ناقص الايمان لم تملأ العقيدة قلبه بل لازال فيه حظ للشيطان فينطق على لانه بالكلمات البذيئة والعبارات المستهجنة .

والحديث يبين ان الأخلاق لها مكانة عالية فى الايمان وان من لم يحسن خلقه ويتأدب لانه ضعيف الايمان أو ناقصه وان صام وصلى وحج وزكى فلا يتم للمرء ايمان الا اذا قام بكل ما أمر الله من عبادات وأخلاق وحسن معاملة للناس . والله يقول فى حق رسوله (ص) وَإِنَّكَ لَكَلِمَةٌ خُلِقَ عَظِيمٌ .

الحديث ٨٦

الكيس والعاجز

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الْأَمَانِي — رواه الترمذى واحمد والحاكم وابن ماجه

الفة: - الكيس العاقل المتبصر في الأمور الناظر في العواقب وقد كاسه
يكيس كينا والكيس العقل ، ودان نفسه قهرها وأذلها ، والهوى ميل النفس
الى الشهوة قيل سمي بذلك لأنه يهوى بصاحبه في الدنيا الى كل داهية وفي
الآخرة الى الهاوية ، والأمانى جمع أمنية وهي ما يتخيله الانسان فيقدر وقوعه من
لذائذه وشهواته وبعبارة أخرى ما يتمناه الانسان

الشرح : ما متاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ
لَهيَ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ : فالعاقل حقيقة من قهر نفسه وأخضعها لحكمة
عقله وشريعة ربه فهو يحاسبها على كل ما تأتي وما تذر فان كان خيرا ازداد منه
و حمد الله وان كان شرا أناب اليه وعاد على نفسه بالقهر والاذلال حتى تسلك الامام
المبين ولا تحيد عنه يمنة أو يسرة ، وسلوكه بالقيام بالواجب عليه لربه ونفسه وأهله
وقومه فذلك ما ينفع لما بعد الموت من بعث وحشر وحساب ونعيم وعقاب ،
والحازم من يستعد لهذه الرحلة الطويلة ولذلك اليوم المشهود وتلك الدار الباقية بنفس
يطهرها وخلق طيب يتجمل به وعمل صالح يقدمه « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مالٌ وَلَا بَنُونَ
إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » ذلك الكيس الحاذق أما العاجز المقصر في الواجب
فهو ذلك الذي ياتم بهواه فنفسه أسيرة شهواته كلما أهابت به لاقتراف فاحشة لبي
نداءها وكلما أخذت به عن سنن الحق سار وراءها غير مبال بما هو صائر اليه
« ومن أضلُّ مَن اتَّبَعَ هَواهُ يُغَيِّرْ هُدًى مَنَ اللَّهِ » أما عقله ودينه فقههوران
لشهوته فهي صاحبة الأمر تصرفه كما تريد فبحق ذلك هو الأحمق وانه ليزيده
حمقا تمنيه على الله الأمانى الكاذبة فهو يعلل نفسه بعفو الله ومغفرته وسعة رحمته
أو باستدراك ما فاته آخر حياته ولم يدر هذا العاجز أن رحمة الله كتبها للذين يتقون
ويؤتون الزكاة والذين يؤمنون بآيات الله ويتبعون الرسول النبي الأمي ، لم يدر
هذا العاجز أن الموت غائب لا يدرى متى يقدم وانه قد يباغت الناس في ريعان
الشباب حيث البنية سليمة والقوة موفورة ، فالعاقل يجعل هواه خاضعا لعقله ومن

وراء أذن ربه وفي الحديث « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جُنْتُ بِهِ » والعاقِل لا يَتَمَنَّى مِنَ الْمَكَافَاتِ إِلَّا مَا يَنْتَاسِبُ مَعَ عَمَلِهِ الَّذِي قَدِمَهُ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ وَالْجَنَّةُ ثَمْمَهَا الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ « وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى » فَمَنْ لَاحَظَ لَهُ مِنْهَا فَلَا نَصِيبَ لَهُ فِيهَا وَلَكِنْ فِي جَهَنَّمَ « إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى » وَفِي الْحِكْمِ « لَا تَتَكَلَّوْا عَلَى الْأَمَانِيِّ فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى »
إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا ندمت على التفريط في زمن البذر

الحديث ٨٧

الاستشارة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ - رواه الترمذى وابو داود عن أبى هريرة
الشرح : ومعنى الحديث أن المستشار أمين لمن استشاره فان أفضى سره أولم يحض له الرأى ولم يخلص له فى النصيحة فقد خانه واذا كان المستشار أميناً فلا تضع سره الا عند من يراعه ولا تستشر الا من لهم خبرة بالأمور وفكر ناضج وقلب مخلص فأولئك الذين يرجى خيرهم وينتفع برأيهم

الحديث ٨٨

المؤمن القوى

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ -

وَفِي كُلِّ خَيْرٍ ، اِحْرَصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ ، وَلَا تَعْجِزْ ،
وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ
قُلْ قَدَّرَ اللَّهُ ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ —
أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ

الشرح : في الحديث حث على أمور ثلاثة (١) تقوية الايمان (٢) الحرص على
النافع (٣) والاستعانة بالله ، والنهي عن أمرين (١) العجز (٢) وقولك إذا أصابك
مكروه أو فأتك محبوب لو أني فعلت كذا كان خلاف ما حصل فان هذا القول
فتح باب للشيطان ولكن تقول قدر الله وما شاء فعل فتلك خمسة أمور نبينها
فيما يأتي : —

(١) الايمان محور السعادة في الدنيا والآخرة متى اتبع بالعمل الصالح « مَنْ عَمِلَ
صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » والناس متفاوتون في الايمان فمنهم قوى تدفعه
عزيمته الى الاعمال الصالحة فتراه مقداما في الجهاد ، أماراً بالمعروف ، نهياً عن المنكر
لا يبالي بالأذى يناله في سبيل الدعوة الى الخير ، صبوراً على القيام بحقوق الله من
صلاة وصوم وزكاة وحج وحسن معاملة للناس لا تفتر همته في ذلك ولا يدع للخور
الى نفسه سبيلاً . ومنهم ضعيف الايمان تراه بعكس سابقه ، وقد ذكر الرسول (ص) ان
الأول خير من الثاني لأنه دائم في طلب السعادة لنفسه كاملة ، أراد الآخرة
وسعى لها سعيها وهو مؤمن فسيه مشكور ، والثاني أمن وقصر في السعى فهو لنفسه
عند تقصيره ، وكما أن الأول خير فهو أحب إلى الله من الثاني لأنه أتى من الأعمال
بما يقرب به اليه ويستدعى عطمه عليه ولا كذلك الثاني وقد قال الرسول (ص) « وَفِي
كُلِّ خَيْرٍ » لأن الاستعداد بالايمان عند كل منهما ولكن الأول نمام بالعمل الطيب
فازداد رسوخاً وثباتاً وأتى أكله كل حين باذن ربه وأما الثاني فإنه أهمله ، وإن لم

يتداركه بالعناية وصالح العمل خشى عليه الذبول فالموت فقد الخير .
فالعرض من هذه الجملة الحث على العناية بشجرة الايمان يقيمها والقيام عليها
بإبعاد الحشرات منها حتى يشعر للعبد عزة في دينه وسعادة في آخره

(٢) أمرنا الرسول (ص) بالحرص على النافع في الدنيا والآخرة فالؤمن لا يدع
فرصة يستطيع فيها كسب مال أو جاه أو علم نافع من علوم الحياة كرياضة أو هندسة
أو طب أو تربية أو كسب خالق طيب أو تنمية أو أداء عمل يقرب الى الله وينفع
في الآخرة كقراءة قرآن ومدارسة دين وصلاة أو صيام . لا يدع فرصة يستطيع
فيها شيئا من ذلك الا انتهزها .

(٣) ولا ينسى ربه عند مباشرة الاسباب فان العوائق حجة والحاجة إلى مدده
في كل لحظة دائمة فان لم يستعن به ربما وقف عن غايته .

اذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجنى عليه اجتهاده
فليستعن بالله الذي بيده كل شيء، ومنه التيسير وبه التوفيق « إياك نعبدُ
وإياك نستعين » .

(٤) ولا ييأس من الوصول إلى غرضه وقد ملأت الثقة بالله نفسه بل ليطرح
عنه الكسل جانباً والتقاعد والجمول ظهرياً وليقل كما كان يقول الرسول : « اللَّهُمَّ
إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ » وفي هاتين الجملتين (٢ و ٣) ارشاد الى
مابه يقوى الايمان فان قوة العزيمة والجد في مباشرة العمل بعد بحثه وتبين الصالح
منه مع الثقة بالله والاستنجاد به مما يزيد الايمان قوة في النفس كما أن الجملة الآتية
ارشاد لترك الغنيات الباطلة وترك الكلام الذي لا يجدى بل يقول حسنا ويفعل طيبا .

(٥) نشرح لك الأمر الخامس بما قاله ابن القيم في زاد المعاد قال : قوله لو
كنت فعلت كذا وكذا لم يفتني ما فتى أولم أقع فيما وقعت فيه ، كلام لا يجدى
عليه فائدة البتة فانه غير مستقبل لما استدبر من أمره وغير مستقيل عثرته بل وفي
ضمن «لو» ادعاء أن الأمر لو كان كما قدره في نفسه لكان غير ما قضاه الله وقدره

ومشيتته فاذا قال لو أنى فعلت كذا لكان خلاف ما وقع فهو محال إذ خلاف المقدر المقضى محال فقد تضمن كلامه كذبا ومحالا وان سلم من التكذيب بالمقدر لم يسلم من معارضته بقوله : لو أنى فعلت كذا لدفعت ما قدر على . فان قيل ليس في هذا رد للمقدر ولا جحد له اذ تلك الاسباب التي تمنأها أيضا من القدر فهو يقول لو وفقت لهذا القدر لاندفع به عنى ذلك القدر فان القدر يدفع بعضه ببعض كما يدفع قدر المرض بالدواء وقدر الذنوب بالتوبة وقدر العدو بالجهاد فكلاهما من القدر ، قيل هذا حق ولكن هذا ينفع قبل وقوع القدر المكروه ، وأما اذا وقع فلا سبيل الى دفعه وان كان له سبيل الى دفعه بقدر آخر فهو أولى به من قوله لو كنت فعلته بل وظيفته في هذه الحالة أن يستقبل فعله الذى يدفع به أو يخفف ولا يتمنى ما لا مطمع في وقوعه فانه عجز محض والله يلوم على العجز ويحب السكيس ويأمر به والسكيس هو مباشرة الاسباب التي ربط الله بها مسبباتها النافعة للعباد في معاشه ومعاده فهذه تفتح عمل الخير وأما العجز فيفتح عمل الشيطان لانه اذا عجز عما ينفعه وصار الى الأمانى الباطلة بقوله : لو كان كذا وكذا فتح عليه عمل الشيطان لأن بابه العجز والكسل اهـ وربما يشكل هذا الحديث أن النبي (ص) قال : (لو استقلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت ولو لان معنى الهدى لاحتلت) رواه البخارى وهو سلم . والجواب ان كراهة استعمال « لو » في التلief والتحسر على أمور الدنيا اما طبيا واما هر بالما في ذلك من عدم التوكل وأما اذا استملت في تمنى القربات كما في هذا الحديث فلا كراهة . فما مضى نسلم الأمر فيه لله وقول . قدر الله وما شاء فعل والمستقبل نعدله عدته معتبرين بالماضى متجنبين الأسباب التي أدت الى وقوع المكروه أو دفع المحبوب ولباب الحديث تقوية الايمان والجهد في الاعمال والاعتماد على الله وترك الامانى الباطلة والكلمات غير الجدية والأخذ فيما يفيد .

الحديث ١٩

دعاء للرسول

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ - رواه مسلم

الشرح: تعوذ النبي (ص) بالله من أمور سبعة: أولها وثانيها العجز والكسل والفرق بينهما أن العجز عدم القدرة والكسل عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة في مع امكانه وكلاهما ذاء يقعد الانسان عن القيام بالواجبات ويفتح عليه أبواب الشرور. وكما ان العمل والجد فيه مناط السعادة في العاجلة والقابلة فكذلك العجز والتكامل طريق الشقاوة وقد أمر القرآن بالعمل في مثل قوله تعالى (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) والقيام بالعمل يستدعي القدرة عليه والانتفاع. واذا كان العمل واجبا كان الترك محرما والترك اما للعجز واما للكسل ففي الآية خم لهما فلذلك تعوذ منهما النبي (ص) وابعاد العجز عن المرء اما بادامة القدرة ان كانت متوفرة أو بتيسير أسبابها ان كانت مفقودة

وثالثها ورابعها الجبن والبخل والأول يتعلق بالنفس والثاني بالمال فمن فقد الشجاعة على مقاومة الشهوات النفسية والخواطر الشيطانية أو مكافحة العدو أو مدافعة الخصم الجادل بالباطل فهو الجبان ومن لم يواس بماله الفقراء والمساكين ويقدمه للغزاة والمجاهدين وينفقه في وجوه المصلحة فذلك البخيل الذي يقول الله فيه : « وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالنَّفْصَةَ وَلَا يُدْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » وأمر الله في آيات كثيرة بالجهاد بالنفوس والأموال هو نهى عن

الجبن والبخل وليس يرجل في الحياة من لا يقدم نفسه وماله في سبيل اعزاز دينه-
واسعاد أمته « وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »

وخامسها الهرم والمراد به الرد الى أرذل العمر كما صرح به في رواية أخرى
وسبب الاستعاذة منه ما فيه من الخرف واختلال العقل والحواس والضبط والفهم
وتشويه بعض المنظر والعجز عن كثير من الطاعات والتساهل في بعضها ويكفي
للتعوذ منه ان الله سماه أرذل العمر وأن المرء فيه لا يعلم من بعد علم شيئا

وسادسها عذاب القبر وقد استدلل لثبوته بمثل قوله تعالى « النَّارُ يُعْرَضُونَ
عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ »
وقوله « سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ » وقوله « وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ
الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَهُمْ
الْيَوْمَ تُجْرَزُونَ عَذَابِ الْهُونِ » ولكن ليس في هذه الآيات ما هو نص- في

عذاب القبر وإنما العمدة في إثباته ما ورد في السنة من مثل هذا الحديث وحديث
عائشة عند البخارى : أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها
أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رسول الله (ص) عن عذاب القبر
فقال : نعم عذاب القبر قالت عائشة فأرأيت رسول الله (ص) بعد صلى صلاة
إلا تعوذ من عذاب القبر . وفي البخارى أيضا أن النبي (ص) مرَّ على قبرين فقال
إنهما كيعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال بلى أما أحدهما فكان يسمى بالنميمة
وأما الآخر فكان لا يستتر من البول : وإلى إثبات عذاب القبر ذهب جميع أهل
السنة وأكثر المعتزلة ونفاه بعض الخوارج وبعض المعتزلة كضرار بن عمرو وبشر
المريسي ومن وافقهما . وحجة النافين له أن عمدة ما ورد فيه أحاديث آحاد وهي إنما
تفيد الظن دون القطع الواجب في باب العقائد وليس في القرآن ما هو نص فيها
وسابعا فتنه الحيا والمات وأصل الفتنه الامتحان والاختبار ومنه فتنت الذهب
إذا اختبرته بالنار لتنظر جودته ، والحيا زمن الحياة والمات وقت الموت والمراد

بفتنة الحيا ما يعرض للانسان في حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات أو الابتلاء مع زوال الصبر والمراد بفتنة المات ما دل عليه مثل قوله تعالى « وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا وَالْمَلَائِكَةُ يُضْرِبُونَ وُجُوهُهُمْ وَأَذْبَارُهُمْ » وقوله « وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ » أي باسطوها بالأيدى .
أو المراد بها السؤال في القبر مع الحيرة

فتلك الأمور السبعة التي تعوذ منها (ص) فتعوذ بالله من شرها وسوء أثرها ..

الحديث ٩٠

النظر لمن هو اسفل

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ : رواه مسلم ولفظ البخارى : إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ مِمَّنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ

اللفظ : الازدراء، الاحتقار والانتقاص يقال زريت عليه زراية وأزريت به .

إذا انتقصته وعبته

الشرح : رضا المرء بما ناله من متاع هذه الحياة أساس السعادة فيها والرضا يدعو الى شكر الله على ما وهب قليلا كان أو كثيرا وقد هذا الرضا مؤلم للنفس موقع لها في الهم والحزن منذ فيها نار الحسد ، فالنفس التي لا ترضى شقية في هذه الحياة ولن تكون يوما سعيدة مهما حصلت من أعراض هذه الحياة فانها كلما بلغت درجة تمودتها فلتها وتطلعت الى غيرها فلم ترض بحالها فتألمت وقد أرشدنا رسول الله (ص) .

في هذا الحديث الى الطريق الذي يورثنا القناعة ويملاّ نفوسنا بالرضا ويعرفنا نعم الله علينا لنقوم بشكرها الواجب فيزيدنا من نعمه ، ذلك الطريق أن ننظر الى من هو دوننا في أعراض الحياة الدنيا دون من هو فوقنا فيها لأن ذلك يدعو الى الاعتراف بنعمة الله علينا واكبارها والشكر عليها ، لا احتقارها والاستهانة بها ، وما من حال للمرء إلا وفي الناس من هو دونه فيها كما فيهم من هو أعلى منه فيها فالعاقل ينظر الى المبتلى بالاسقام وينتقل الى ما فضل به عليه من العافية التي هي أساس التمتع بطيبات الحياة ، وينظر الى من في خلقه نقص من عسى أو صمم أو بكم أو تشويه في الشكل ويزن ذلك بسلامته من هذه العاهات وأشباهها ، وينظر الى من ابتلى بالدنيا وجمعها مع أهله القيام بحق الله فيها ويعلم أنه قد رجحه بالافتقار وبقلة التبعة في الأموال وبسلامة دينه ، وينظر الى من طلى بالفقر المدقع والدين الثقيل وينتقل الى سلامته منهما وهكذا يوازن بين حاله وأحوال من دونه فيرى تفضيل الله له على كثير من خلقه ويستعظم نعم الله عليه فيلهج بشكره ويمجد في عبادته ويرضى بعميشته فيسعد في أولاه وآخرته أما اذا قصر نظره على من علاه فهنالک الحسد والنم وهنالک ازدراء النعم وهنالک التقصير في شكر الله والولوع بغاية الغايات من وسائل هذه الحياه وستنفد حياته دونها .

أما النظر الى من فوّه في العلم والخلق والاعمال الطيبة ووسائل الشرف والعزة فهو نظر محمود يدعو الى الترقى في مدارج الكمال وذلك خليق بكل انسان ينبغي مجداً في دنياه ونعياً في أخراه . وفي هذا المعنى قول الشاعر :

من رام عيشاً رعيداً يستفيد به في دينه ثم في دنياه إقبالا
فلينظرن الى من فوّه أدبا ولينظرن إلى من تحته مالا

الحديث ٩١

في ذهاب الهم وقضاء الدين

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ جَالِسًا فِيهِ ، فَقَالَ يَا أَبَا أُمَامَةَ مَا لِي أُرَاكَ جَالِسًا فِي غَيْرِ وَقْتِ صَلَاةٍ ، قَالَ : هُمُومٌ لَزِمْتَنِي وَدُيُونٌ يَأْرَسُوكَ اللَّهُ . فَقَالَ : أَلَا أَعْلَمُكَ كَلَامًا إِذَا قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ . وَقَضَى دَيْنَكَ . فَقَالَ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ . وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ . وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَالْجُبْنِ . وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ . قَالَ : فَقُلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللَّهُ هَمِّي وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي -- رواه أبو داود

الشرح : الأنصار هم أهل المدينة الذين هاجر إليهم الرسول (ص) وأصحابه فأوهم ونصروهم ، رأى الرسول عليه السلام أحد صحابته في المسجد في غير وقت صلاة ، وشأن المسلم الجد والعمل لا الضعف والكسل ، والمساجد ليست بيوتا للكنى ولكن للذكور والعبادة في أوقاتها ، فسأله عما أقعده في المسجد ، فأجابته بأن ديونا لزمته ، وهو ما أحاطت به جعلته يترك الناس ويأتي المسجد في غير

وقت صلاة ، فعرض عليه الرسول (ص) أن يعلمه كلمات إذا قالها في الصباح وفي المساء زالت همومه وأحزانه ، وقضيت ديونه التي شغله التفكير فيها فنغص عيشه واقتض مضجعه وأذهب عن نفسه انشراحها وسرورها ، فقال يا رسول الله أحب أن تعلمني هذه الكلمات فعلمه الرسول أن يتعوذ بالله من ثمانية أمور :

أولها وثانيها : الهم والحزن . أما الهم والقلق فانه يكون في الأمور المهمة المقبلة التي يرجو الانسان حصولها أو يخاف شر وقوعها كطالب في مدرسة شغل الهم قلبه وملاك منافذه بسبب اقباله على امتحان ينال به الاجازة ، فتراه في شغل دائم وتفكير مستمر في صعوبة الامتحان وأحوال الناجحين والراسبين . وما يؤول إليه أمره لو قدر له الرسوب ، أو بماذا يشتغل لو كان من الفائزين ، وهكذا يضيع وقته في غير فائدة بدلا من أن يجد في دروسه ويحصل علومه ويستعد لما هو مقدم عليه ويدع النتائج لله وحده وهو معتقد أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، وكصاحب خصومة مطروح أمرها أمام القضاء تراه مهموما من تبيجتها يخاف أن يحكم عليه فيها لخصمه فيطلق للتفكير العنان ، ولا يكتم اضطرابه وقلقه عن الناس ويقصر فيما يجب عليه ، ويتقاعد عن العمل الذي يقيه شر القضاء ، وكان أولى به أن يفكر في توكيل من يحسن الدفاع عنه بالحق والحفاطة عليه . واعداد البراهين والبيئات التي تغلب حقه على باطل خصمه ، كما بعد العدة حتى اذا حكم عليه وجد ما يخفف وقعه ويذيب ألمه ، لا أن يترك لخصمه كل فرصة يتمكن بها منه ويحوك له الحبال والمكائد للايقاع به لأن ذلك ليس من شأن المسلم ، وقل مثل ذلك في سائر الناس الذين لهم آمال شغلوا بالكلام فيها والتحدث عنها عن العمل لنيلها والجد في سبيلها أو يخشون قوارع تحمل بهم أو نوائب تصيبهم فتطير قلوبهم هلعاً ونفوسهم جزعا ، وخليق بهم أن يعدوا لكل أمر عدته ، ولكل شدة وقايتها ، وان يكون تفكيرهم في الوسائل المنجية من البلاء أو المبعدة عنه أو الخففة من وقعه

فن أجل أن الهم مضیعة للوقت في غير جدوى ، وانه داع إلى التقصير في

الواجب وانه تقاعد عن التدبير النافع لنيل الخير المرجو ، أو تجنب الشر المحذور ، من أجل ذلك تعوذ الرسول (ص) منه . كما تعوذ من الحزن الذي يكون على أمر محبوب فات نبه ، أو ضر نزل لا يقلع ، فهذا أيضا مذموم . وقد نهانا الله عنه بقوله :
(وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا) وبقوله حكاية عن رسوله (لَا تَحْزَنَنَّ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)

ولو كان الحزن يرد فائتا ، أو يدفع واقعا لكنا فيه معذورين ، ولكنه مضيعة للوقت وسخط على القضاء ، وتعلق بما لا سبيل له ، وتكاسل عن اتخاذ الأسباب لدفع المصيبة أو تخفيف ألمها ، فمن أجل ذلك أيضا تعوذ الرسول (ص) منه ، وعلى المؤمن أن يدرع بالصبر ويأخذ لنفسه من حوادثه وحوادث غيره عظات لما يستقبل من أيامه حتى لا يقع فيما وقع فيه من قبل (لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين) والله سبحانه يختبر بالمصائب عادة ، ليميز الخبيث من الطيب ويستبين من كان قوى العزيمة كثير الجلد والتصبر من الخائر المألوع قال تعالى (وَاتَّبِعُوا نُصْحَ مَنْ بَشَّرَ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَّاتِ وَبَشَّرِ الصَّابِرِينَ) . وقال عز شأنه (أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)

الثالث والرابع : مما تعوذ منه الرسول (ص) العجز والكسل ، والأول

عدم القدرة على الشيء ، والثاني التقاعد عنه مع استطاعته ، وإذا علمت أن بالعمل مكانة الإنسان في هذه الحياة وعلوه ورفته ، وأن به السعادة في الآخرة والفوز بالنعم المقيم ، وأن العجز والكسل شر ما ينتلئ بهما المؤمن أدركت أنهما داء وييل من أصيب بهما (خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخَيْرُ مِنَ الْمُبِينِ) . هذا ومجانبة العجز تكون بمجانبة أسبابه فلا يعمل الإنسان عملا شاقا أو يأتي أمرا خطيرا من شأنه أن يذهب ببعض أعضائه العاملة ، أو يسلبه القدرة ويجعله من المعزة الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فالذي يجهد نفسه ويحملها فوق طاقتها ولا

يعطيها قسطها من الراحة وحفظها من الطعام والشراب الحلال الطيب ، والذي لا يداوى علل جسمه ويترك الدواء لمرارته أو يبخل عن نفسه بأجر طيب أو بضمن دواء هوساع نحو العجز جان على نفسه شرجانية ومن يتعوذ بالله من العجز وهوسائر نحوه في أحد هذه الطرق فإنه يطلب مالا يمجد ويقول مالا يفعل (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) وأما الكسل فجائنته تكون بتقوية الارادة ومعاشرة المجدين العاملين ومباشرة الأسباب واستشعار لذة العمل وحلاوة بلوغ الآمال وتمثل الخيبة والفشل ، ومعرفة أن المجد في العمل والمغامرة ، والتمس في الكسل وملازمة الراحة .

الخامس والسادس : الجبن والبخل . والأول شح بالنفس ، والثاني شح بالمال . فالذي يبخل بنفسه عن بذلها في سبيل الدين ، في سبيل اقامة معالم الحق . في سبيل حفظ البلاد ورد عادية المعتدين عليها والمنتهكين حرمتها ، والسالين حقوقها ، والفسرين أهلها على الذل والاستعباد ، والمستبدين بهم شر الاستبداد ، الذي يبخل بنفسه عن بذلها في هذه السبل المذلة طريق الكرامة والعزة ، الموطدة للشرف والرفعة ، الذي يبخل عن ذلك يمت نفسه ، ويشترى نحوه ، لأنه ان حي جسمه فقد ماتت روحه ، ماتت نفسه العالیه ، وذمت حياته الطيبة ، وكم من حي بين الناس هو في عداد الأموات ، وكم من ميت في عداد الأحياء (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) إذ الحياة الحقة أن تعيش مرفوع الرأس موفور الكرامة في قولك وتصرفك وقلمك ورأيك واعتقادك ، أن تعيش في أمة لا سلطان لأحد عليها . ولا من يتحكم في رقابها وحقوقها وأموالها . رأيها المحترم وقولها النافذ ، ومصالحها المقدسة ، ولن يعيش في أمة هذا وصفها الا من بذل نفسه في الذود عنها وكرس حياته في جلب الخير لها ، ودفع الضرر عنها ، هذا هو الكريم حقا ، هذا هو الشجاع صدقا ، هذا هو الجواد بلاريب : والجود بالنفس أقصى غاية الجود

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما
 أما الذى يبخل بماله عن نفسه فلا ينفقه فى سبيل ترفيها وأسعادها وتهذيبها
 وسد حاجتها وتقديم الطيبات لها ، أو يبخل به عن الفقراء والمساكين ، والعجزة
 والمقعدين ، والمنكوبين والملهوفين ، أو يبخل به عن الجهاد ، ومناجزة الأعداء ،
 ومصالح الأمة العامة ، الذى يبخل بماله عن ذلك ويحبسه فى خزائنه إنما يسمى فى
 هلاك نفسه والقضاء على أمته. وما يبنى من يكتنز أمواله عن حقوقها أفيطمع أن
 يأخذه معه الى جده أو ينفق منه فى عالم الغربة والوحدة ، أينفعه إذا ما وقف أمام
 أسرع الحاسبين ، واشتد الكرب وهال الخطب . كلا لن ينفع الانسان بعد وفاته
 ماله إذا لم يكن من عمله منتد وناصر بل يكون شرا عليه ونكالا (لَا يَحْتَبِنَ
 الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ
 سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (وَالَّذِينَ يَكْتَنِرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ
 وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ
 فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ، هَذَا ، أَكْتَنَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ،
 فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتَنِرُونَ) والمؤمن الصادق من بذل فى سبيل الدين نفسه
 وفى اعلاء شأن أمته ماله

السابع والثامن : غلبة الدين وقهر الرجال : والدين — أعاذك الله —
 إذا غلب الأناى ذهب بعزه ، وأودى بنعيمه وأنى على طارقه وتليده ،
 وقديمه وجديده

إذا غلب الأناى ملك عليه فكره وعقله ، وصوابه وورثده — فلا يذوق
 طعم الهناة ولا يحس التفكير ولا يهتدى إلى الصواب . وإنما يغلب الدين انسانا
 استدان بلا بصيرة ولم يدبر أمره وينظم شأنه . ويحذى طاب المال وألمس الطرق
 المشهورة إلى ليفوم بالسداد . أما يغلب من استدان ولم يعرف على الوفاء بل كانت

نيتته التقصير. انما يغلب من استدان لغير حاجة ماسة بل لارواء شهوة أو ابتغاء الشهرة والملق والرياء وحب الظهور الكاذب والمقدح بالباطل ؛ أما من استدان لضرورة ملجئة عازما على الوفاء فهذا الله ضامنه ، وموقفه للسداد ورازقه من حيث لا يحتسب حتى يخلصه مما أهمه (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)

وغلبة الرجال إما بالاذلال والاستعباد لغيرهم ، أو انتصارهم عليه في مواطن النزاع والخصومة ، أو في ميادين الحرب والطمان فنعوذ بالله من أن يستبد بنا فرد فيستخدمنا لما ربه ، ويني على رموسنا كاذبة ومجداً موهوماً ، ويطمس معالم مجدنا وسؤددنا ، كما نفوذ به من أن يغلبنا خصمنا فينصر باطله على حقنا وتكون له الكلمة علينا ، ويقتل رجالنا ويسلبنا أموالنا ويسبي نساءنا وذراريها ويدوس عزتنا وكرامتنا ، نفوذ بالله من كل ذلك ونسأله القوة والعدة حتى يرهبنا الأعداء وأن يهبنا أسباب السعادة والعزة حتى لا يستبد بنا فرد أو أمة

تلك هي الأمور الثمانية التي علمها الرسول (ص) لأبي أمامة فلننتخذ منها غذاء في الصباح وعشاء في المساء حتى نجتمع إلى تغذية الجسم تغذية الروح فنضمّن لنفوسنا اللذة الكاملة والسعادة الشاملة

وإياك أن تعوذ بالله من هذه الثمانية وأنت لسيلها سالك وفي التلوث بها مقيم بل الواجب عليك أن تجتنبها أو تأخذ في التفضي عنها ، وإياك أن تلوّكها بلسانك ولا تمرها بقلبك فان الدعوة الطيبة ما صدرت عن القلوب قبل أن تانظ بها الأفواه

الحديث ٩٢

افضل الصدقات

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبٌ ، حَرِيصٌ (وفي رواية شَحِيحٌ) ، تَأْمُلُ الْغِنَى ، وَتَخْشَى الْفَقْرَ ، وَلَا تُتَمَهَّلُ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ الْحُلُقُومَ قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا ، وَلِفُلَانٍ كَذَا ، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ — رواه البخاري

اللفظ: الحرص: الجسع. والشح: منتهى البخل: تأمل الغنى: تطمع فيه ببلغت الحلقوم: قاربت الروح الموت، إذا لو بلغت حقيقة الموت لم يصح شيء من تصرفه ولا أقراراته. ولم يتقدم للروح ذكر اكتفاء بدلالة السياق — الحلقوم: مجرى النفس — لفلان: المراد منه في الأولى والثانية الموصى له أى أوصيت لفلان بكذا ولفلان بكذا. وفي الأخيرة للوارث أى وقد صار المال للوارث — أو أنها فى الأوليين للموصى له وفى الثالثة للمقر له أى وكان على فلان كذا ديناً.

الشرح: كان أصحاب الرسول عليه السلام يتحرون أفضل أنواع الطاعات وأعظمها عند الله أجراً، ولا يأبون أن يسألوا الرسول عنها ليتقربوا بها الى الله، وينالوا الدرجات العلى. فسأله أحدهم عن أكثر الصدقات أجراً، فقال له عليه السلام: أن تصدق وأنت صحيح الجسم معافى فى بدنك لم ينقطع أملك من الحياة، ولم تنف بك القدم على حافة القبر، اذ المرض يقصر يد المالك عن ملكه، وسخاوته بالمال اذ ذاك لا تمحو عنه سمة البخل ولا تدل على طيب نفسه بالطاء، لأنه يكون

قد مل الحياة ، وسئم العيش ، ورأى ماله قد صار لغيره ، بخلاف ما إذا كان صحيحاً ، يكون للمال مكان في قلبه وحب من نفسه لما يأمل من البقاء ويخشى من الفقر فالشح به غالب والسماح به حينئذ أصدق في الاخلاص وأعظم في المثوبة - وكذا اذا تصدق وهو حريص على جمع المال قد توافرت لديه أسباب ادخاره كان ذلك دالاً على الرغبة في الخير وابتغاء ما عند الله .

ولا يتأخر بالتصدق حتى يكون الموت منه قاب قوسين لأنه يكون مغلولاً عن التصرف في كل ماله إذ أن المريض لا يجوز له أن يتبرع إلا بثلث ماله فقط ، وما زاد على ذلك يكون من حق الورثة ان شاءوا وأجازوا تصرفه وان شاءوا لم يجزوه . ويدل الحديث على أن تنجيز وفاء الدين والصدقة في حال الصحة أفضل منه في حال المرض لأنه في الأولى يصعب عليه اخراج المال غالباً لما يخوفه الشيطان من الفقر ، ويزن له من امكان طول العمر والحاجة الى المال ، كما قال تعالى (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ) وقال (وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ) الآية وفي الحديث (مَثَلُ الَّذِي يَعْتِقُ وَيَتَصَدَّقُ عِنْدَ مَوْتِهِ مَثَلُ الَّذِي يَهْدِي إِذَا شَبِعَ)

الحديث ٩٣

ما تجوز الصدقة به في مرض الموت

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم : يعوذني من وجع اشتد بي ، فقلت يا رسول الله قد بلغ بي من الوجع ما ترى ، وأنا ذو مال ، ولا يرثني إلا ابنة ، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال لا ، قلت فالشطر يا رسول الله؟

قَالَ لَا ، قُلْتُ فَأَلْتُلْتُ؟ قَالَ التُّلْتُ وَالتُّلْتُ كَثِيرٌ ، أَنْكَ إِنْ تَذَرَ :
 وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ ، وَأَنْكَ
 لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُهُ
 فِي فِي امْرَأَتِكَ — رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

اللفظ: الوجع: اسم لكل مرض وجمعه أوجاع ووجع — اشتد: قوى —

بلغني: أثر في ووصل غايته — ذو مال: أي كثير فالتنوين للتكثير كما صرح
 بذلك في رواية أخرى (الابنة) اسمها عائشة ولم يكن لسعد (رضه) في ذلك الوقت
 من الولد الا هذه البنت ، ثم عوفى بعد ذلك ورزق أولادا كثيرين منهم أربعة
 ذكور واثنتا عشرة انثى — ومعنى لا يرثني أي من الذرية والا فقد كان له عسبة
 — الشطر: النصف — التلث: بالنصب على الأغراء أو بفعل محذوف وبالرفع
 على الابتداء والخبر محذوف أي كافيك . والتلث كثير — يحتمل أن يكون
 مسوقا لبيان الجواز بالتلث وان الأولى أن ينقص عنه ولا يزيد عليه . وهذا هو
 المتبادر . أو يكون لبيان ان التصدق بالتلث هو الأكل الكثير أجره ، أو يكون
 معناه كثير غير قليل في نفسه تذر: تترك — عالة: فقراء جمع عائل من عال يعيل
 اذا افتقر — يتكففون الناس: يسألون الناس با كفهم ، يقال تكفف واستكف
 اذا بسط كفه للسؤال أو سأل ما يكف عنه الجوع ، أو سأل كفافا من طعام

الشرح: يشير هذا الحديث الى نوع مما كان المسلمون في عهد الرسول
 ينتفون من تخير أفضل القربات إلى الله . فسعد رضي الله عنه لما أحس شغل المرض
 وخشى أن يكون قد دنا أجله ثم رأى ان ماله كثير لا يأمن إذا تركه لابنته التي
 ليس له وارث سواها ان يطفئها أولا تحسن تدبيره وربما جر الى مالا يؤجر هو ولا
 هي عليه فسأل الرسول ان يأذن له بالتصدق بالثلثين حيث يرى ان ثلثه الباقي يكفي

«ابنته سواء أبقيت من غير زوج أم تزوجت وان في ذلك القدر صلاحها وخيرها
- ويكون قد قدم لنفسه ما يجعل له عند الله منزلة رفيعة ، فلم يجز له النبي صلى الله
عليه وسلم التصدق بذلك ، فاستأذنه في النصف فلم يأذن له به أيضا فاستأذن في
الثالث فأذن له به ، ثم أبان له عليه الصلاة والسلام الحكمة السامية من ذلك تلك
أن المسلم لا يقتصر ثوابه على ما يقدمه قبل وفاته من صدقة بل انه يثاب أيضا على
أن يجعل أولاده في غنى عن سؤال الناس بما يقيمهم عوز الدهر ويدفع عنهم غائلة
الأيام وبؤس الفقر وذله ؛ بل ليس ذلك فقط هو الذى يؤجر عليه المؤمن . فان أقل
الحظوظ النبوية إذا قصد به وجه الله كان طاعة يثاب عليها كما يشير الى ذلك
- قوله (حتى ما تجعله في في أمراك)

فانظر كيف أن البر الرحيم ذا الفضل العظيم يرضى من المسلم ببعض ماله
- ولا يجزيه عليه متى كان خالصا وحده لا رياء فيه ولا نفاق ، ويفيض عليه من
رحمته على أدنى الخيرات يأتيها .

وقد عبر الرسول بقوله (ورثتك) ليكون الجواب كليا مطابقا لكل حال
يموت عليها سعد ، سواء أورثه ابنته وحدها أم مع غيرها أم ورثه غيرها ، ولم
يخص ابنته دون سواها ليشمل جميع الورثة وأنه مطالب بأن يقيمهم بما يقيمهم ذل
السؤال - وهناك لطيفة في نهاية الحديث ، تلك هي قوله (وإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ الْخ)
فان سؤال سعد رضى الله عنه يشعر بأنه رغب في تكثير الأجر فلما منعه الرسول
- من الزيادة عن الثالث قال له على سبيل التسلية والترضية : إن جميع ما تنفق له في مالك
من صدقة ناجزة ومن نفقة ولو كانت واجبة تؤجر عليها إذا ابتغيت بذلك
- وجه الله تعالى .

هذا ويؤخذ من الحديث سوى ما تقدم

(١) ان الوصية لا تجوز بأزيد من الثلث ان كان هناك وارث، وقد اختلف
- فبين ليس له وارث ، فذهب جمهور الأئمة إلى منعه من الزيادة عليه ، وقال

الحنفية بجواز الزيادة إذ ذاك مستدلين بأن الوصية في الآية مطلقة (مِنْ بَعْدِ
وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ) فقيدتها السنة بمن له وارث فبقى من لا وارث له على
اطلاقه . وبهذا الحديث أيضا لأن من لا وارث له لا يترك من يخشى عليه القفر

(٢) إن السنة تفيد القرآن كما تقدم

(٣) ان خطاب الشرع للواحد يعم من كان على صفته من المكلفين لاجماع

العلماء على أن هذا الحكم عام وليس مختصا بسعد

(٤) إباحة جمع المال من طرقة المشروعة والحث على صلة الأقارب

الحديث ٩٤

الحث على القصد في العبادة والتمتع بالطيبات

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى
نُبُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوهَا ، فَقَالُوا وَإِنَّ نَحْنُ
مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ
وَمَا تَأَخَّرَ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ . أَمَا أَنَا فَأَنَا أَصَلَّى اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ
أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ أَنَا أُعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ
أَبَدًا ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ فَحَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ .
وَقَالَ : مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمْ
لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ ، لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ ، وَأُصَلِّي ، وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ
النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي — رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ

اللائمة : الرهط . الجماعة من ثلاثة إلى عشرة وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه والنفر من ثلاثة إلى تسعة

والثلاثة الذين في الحديث هم علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عمرو ، وعثمان بن مظعون رضي الله عنهم - تقالوها - رأى كل منهم انها قليلة - أخسأكم الله وأتقاكم . أكثركم خشية لله وتقوى منه . ما بال أقوام . ما شأنهم وما حالهم - الرغبة عن الشيء ، كراهيته والاعراض عنه والرغبة فيه حبه والميل إليه - السنة - الطريقة

الشرح : كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يتحرون عبادة النبي عليه السلام ومقاديرها رجاء أن يكون لهم حظ مقاربتة في الدرجة والمنزلة عند الله تعالى فجاء ثلاثة منهم إلى أزواجه يسألون عن كيفية عبادته في السر ومقاديرها ، فلما علموا أنها لا تزيد على عبادتهم وجدوها قليلة بالنسبة إليهم ، لاتفى بما يبغون الحصول عليه من الزاني ورأوا من وعد الله غفران ذنوب الرسول ما تقدم منها وما تأخر ما يغنيه عن كثرة العبادة ، وأنهم دونه في ذلك بمراحل كبيرة ، وفي حاجة إلى مداومة الطاعة والاكتثار منها ، فأخذ كل على نفسه أن يلزم نوعا من العبادة لا يتقطع عنه ، فرأى أحدهم أن يجافى جنبه عن المضاجع ليلا ويصرف جميع ليلائه أبدأ في العبادة فلا يعطى نفسه حظها من النوم والراحة ، لأن السهر في ذكر الله يصفى الفكر ويرقق الذهن ، والنوم يدعو إلى الكسل والتراخي ويبلد النفس . ورأى آخر أن يصوم الدهر ولا يفطر ، لأن الصيام يكبح جماح شهواته ويكسر شرة نفسه ويتقى ما خبت من طباعه ويغسل ما دنس من أخلاقه ، ويعمله يستشعر الرحمة والرأفة بالضعفاء والفقراء والمساكين . ورأى آخر أن يعتزل النساء فلا يتزوج . لأن ذلك يبعده عن الاشتغال بالدنيا وملاذها وينسيه عبادة الله ، حيث يشغله أمر معاشه والسعى على أولاده وتربيتهم والنظر في أمورهم من التفرغ للطاعة . فلما بلغ ذلك الرسول (ص) خطب المسلمين منها إلى خطأ ما عزم عليه هذا النفر ،

وإلى أن التقرب إلى الله لا يكون بتحميل النفس فوق طاقتها واجهادها بالشاق من الطاعات بل ان خير الأعمال الى الله أدومها وإن قل ، وانهم يوشكون أن يوقعوا أنفسهم في عجز وضعف لا يقوون معها على أدنى أنواع العبادات فضلا عن أعلاها فيكونون كالمئنت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى . وخير لهم أن يترفقوا بأنفسهم ليستديعوا الطاعة ويتمتعوا بما أحله الله لهم من الطيبات ، إذ لارهبانية في الاسلام ولقد كان من آدابه (ص) اذا رأى شيئا يكرهه وخطب في شأنه ألا يعين فاعله ولا يواجهه بما يكره ولا يسميه باسمه على رءوس الملا ، بل يقول ما بال رجال أو ما بال أقوام لأن المقصود وهو الزجر عما اعتزموا عليه يحصل لهم ولغيرهم ممن سمع الخطبة أو بلغه أمرها بدون الالتجاء إلى توبيخهم ، وهذا من مكارم أخلاقه عليه السلام وحسن آدابه وجميل عشرته ، ولقد قال تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) وقال عليه السلام (أَدَبِي رَبِّي فَأُحْسِنَ تَأْدِيبِي)

وفي الحديث إشارة الى أن الخنيفة السمحة لا تدعو إلى الرهبانية وحرمان النفس بما أحله الله ، ولكن في الأقطار ليقوى المؤمن على الصيام ، وفي النوم ليتقوى على القيام ، وفي التزوج ليكسر شهوة نفسه ويعفها ويكثر النسل ومن رغب عن ذلك ، فان كان لنوع من التأويل والفهم لا يعد ذلك خروجا عن الملة ولا كفرا ، ويكون معنى (فليس مني) أى ليس من طريقي ، وإن كان إعراضا وتنطعا يفضى إلى اعتقاد صواب ما عمل ورجحانه كان معنى (فليس مني) فليس على ملتي لأن اعتقاد ذلك كفر ، وإن كان تورعا لشبهة في ذلك لم يكن ممنوعا ولا مكررها

ويؤخذ من هذا الحديث سوى ما تقدم

- (١) التنبيه على فضل النكاح والترغيب فيه
- (٢) وعدم الغلو في الانقطاع عن الملاذ وما أحله الشرع
- (٣) فيه رد على من منع استعمال المباحات والحلال من الأطعمة الطيبة

والملابس اللينة وآثر عليها غليظ الطعام وخشن الثياب من الصوف وغيره (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) ، (لا تمحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا)

والحق العدل والقصد في جميع الأمور ، فان ملازمة الطيبات تفضي إلى الترفه والبطر ، ولا يؤمن معها من الوقوع في الشهوات ، كما أن منع النفس من تناولها يؤدي إلى التفتيح المنهي عنه ، وملازمة الاقتصار على الفرائض مثلا وترك النفل يفضي إلى إثارة البطالة وعدم النشاط إلى العبادة ، وربما يؤدي إلى التكاسل عن الفرائض. وقد أخذ النبي (ص) بالأمرين وشارك في الوجهين ، فلبس مرة الصوف والشملة الخشنة ، ومرة البردة والرداء الحضرمي ، وتارة كان يأكل القثاء بالرطب وطيب الطعام إذا وجدده ، ومرة كان يأكل الدجاج

(٤) يؤخذ من الحديث أيضا مشروعية التوصل إلى العلم لكل أحد حتى النساء إذا تعذر أخذه من أصل محله

(٥) وعلى تقديم الحمد والثناء على الله عند إلقاء مسائل العلم ، وإزالة الشبهة عن المجتهدين

(٦) الحث على متابعة السنة والتحذير من مخالفتها ، وهذا من أهم الأمور التي تركت ونشأ عن تركها مفسد عظيم في الدين والدنيا

الحديث ٩٥

جزاء العجب والخيلاء

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ مُخِيلَةً لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -

رواه البخارى .

اللغة: جر ثوبه أسبله وأطاله: الخيلة والخيلة العجب والكبر عند فضيلة: يترآها الانسان في نفسه . لم ينظر الله اليه لم يرحمه ولم يحسن إليه لأن النظر الحقيقي . وهو قلب الحدقة محال على الله تعالى لما يلزمه من المماثلة للحوادث .
الشرح: أحل الله سبحانه وتعالى لنا الطيبات من الرزق من ما كمل ومشرب . ومبلس لنتمتع بها في غير معصية ولا طغيان . ومن شر المعاصي الكبر والاعجاب . لأن الكبر يسلب الفضائل ، ويكسب الرذائل ، ويباعد بين المؤمن وبين التواضع وهو رأس أخلاق المتقين ، ويورث الحقد والغضب والازدراء بالناس واغتيالهم . ويجافي بين المرء وبين الصدق وكظم الفيظ وقبول النصح ، والوقوف على ما يكون فيه من عيب ، واستفادة العلم والالتقياد للحق ، ومنشأ ذلك استحقاره واستصغاره . ولذلك قال رسول الله (ص) (الكِبَرُ بَطْرُ الحَقِّ وَعَمَصُ الخَلْقِ) أى رد الحق . والمهارة فيه وازدراء الناس

والكبر أسباب كثيرة : منها العلم . وما أسرع الكبر إلى العلماء ، فلا يلبث . أحدهم أن يستشعر في نفسه كمال العلم فيستعظم نفسه ويستحققر الناس ويستجهلهم ، وذلك بأن ما هو عليه ليس بعلم حقيقى لأن العلم الحقيقي ما يعرف العبد ربه ونفسه . وخطر أمره وهذا يورث الخشية والتواضع قال تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ) أو بأنه سىء التحيزة خبيث الدخلة فلا يزيده العلم إلا خبثا وسوما ومنها الحسب والنسب فيتكبر من يعرف له علو نسب على من دونه وربما يأنف من مخالطة الناس ومجالستهم ، ويجرى على لسانه التفاخر بنسبه ، ولقد روى . أن أبا ذر رضى الله عنه قال : قَاوَلْتُ رَجُلًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لَهُ يَا بَنَ السُّودَاءِ فَقَضِبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ (يَا أَبَا ذَرٍّ لَيْسَ لَابْنِ الْبَيْضَاءِ عَلَى ابْنِ السُّودَاءِ فَضْلٌ) ومنها المال والقوة والأتباع والعشيرة ففي هذا الحديث يبين لنا الرسول سببا من أسباب الخيلاء . والعجب وهو جر الثوب وإطالته تيهما من الرجل أو المرأة ولو كان اللبس مع التشمير لأنه يضر بالنفس في الدنيا حيث يكسب .

المقت من الناس وإضاعة المال . وفي الآخرة حيث يكسب الانتم . أما من قصد إظهار نعمة الله عليه شاكرًا عليها غير محتقر لمن ليس مثله فلا يضره ما لبس من المباحات قال عليه السلام (كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبُسُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ) وقال ابن عباس (كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف ومخيلة)

ولا شك أن ما هو في حكم جر الثوب إطالة الأكام وتوسيعها عن المعتاد وقدر بعضهم المذموم بما نزل عن الكعبين إلا إذا كان لمداراة عيب أو عاهة فلا بأس بها وقيل بكرامتها لما روى من أن رسول الله (ص) أبصر رجلاً قد أسبل إزاره فقال ارفع إزارك ، فقال إني أحنف (معوج الرجل إلى الداخل) تصطك ركبتي فقال ارفع إزارك فكل خلق الله حسن : ولأنها تدعو إلى الخيلاء وتعلق النجاسات بالثوب

فعليك أيها المؤمن بالتواضع تزدد رفته ، وبالعمل بآداب الدين تزدد من الله قرباً ومحبة ، وتذكر مبدأك وهو نطفة مذرة ، ومنتهاك وهو حيفة قدرة ، فانك إن عرفت ذلك لم تأخذك العزة في غير الحق ، ولم تتعاطم على إخوانك المؤمنين . وإذا ذكرت لله عليك فضلا ونعمة فاذكر أن لذلك نهاية ومتحولا . فإياك والبطر والخيلاء فانها محقة للبركة ، مذهبة للنعمة ، تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب

الحديث ٩٦

بيع الرجل على بيع أخيه وخطبته على خطبته

عن ابن عمر رضی الله عنهما قال : نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يبيع الرجل على بيع أخيه وأن يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخطيب قبله أو يأذن له الخطيب - رواه البخاري

اللفظة : الخطبة بكسر الخاء طلب الزواج بالمرأة

الشرح : اشتمل هذا الحديث على النهي عن أمرين : بيع الرجل على بيع أخيه .
وخطبة الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له
أما الأول فصورته أن يبيع شخص لآخر شيئاً ويكون للمشتري الخيار فيأتي
ثالث ويقول للمشتري في مدة الخيار افسح لأبيعتك مثله بأقص من الثمن . وإنما
نسب عن هذا النوع من البيع لأنه يجنب العداوة والبغضاء بين البائع الأول والثاني
وربما جرد ذلك إلى أضرار لا تنتهي عند حد كما هو مشاهد معلوم . فلعرض قليل من
متاع الدنيا لا يليق بالمسلم أن يسبب من الشرور والإحسان لأخيه ولنفسه ما يفض
الله ورسوله ويزرع الحقد في القلوب

وبناء على القاعدة القائلة (إن النهي عن الشيء يقتضى قساده) يكون بيع
الرجل على بيع أخيه - فاسداً وبذلك قال المالكية والحنابلة . أما جمهور الفقهاء
فيقولون بصحة هذا البيع مع الأثم لأن النهي هنا ليس لذات النهي عنه بل لأمر خارج .
وأما الثاني : فهو أن يطلب الرجل من امرأة أو من وليها التزوج بها فتقبل
هي أو الولي بزواجه فيجىء آخر ويخطبها لنفسه مع علمه بخطبة الأول وهو حرام
بالإجماع إذا قبلت الخطوبة أو وليها الزواج من الخاطب الأول . أما لورد أحدهما
فغلاتحرم خطبة الثاني

وهل الحرمة تفسد زواج الخاطب الثاني . قالت الظاهرية يفسخ نكاحه
سواء قبل الدخول أم بعده . وقال الجمهور لا يفسخ لأن النهي عن الخطبة ، وهي
ليست شرطاً في صحة النكاح فلا يفسخ لوقوعها غير صحيحه

وهذا الحكم عام يشمل عدم حواز الخطبة على خطبة الأول ولو فاسقاً أو كافراً
وهو رأى عامة العلماء . وقيل لا تحرم الخطبة على خطبة العاسق والكافر لأن
الحديث مقيد بعدم خطبة الرجل على خطبة أخيه ، ولا أخوة بين المسلم والكافر

ومجديث : (المؤمن أخو المؤمن) فيخرج بذلك الفاسق ورد ذلك بأن التعبير بالأخ هنا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له .
وقوله في الحديث (حتى يأذن له الخاطب) يدل بنصه على حواز الخطبة له بعد الاذن . وبمفهومه على جواز ذلك لغيره لأن إذن الخاطب الأول قد دل على عدوله فتجوز خطبتها لكل من يريد نكاحها

الحديث ٩٧

ما ينبغي اعتباره في اختيار الزوجة .

عن أنى هريرة رضى الله عنه قال : قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ ، لِمَا لَهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَأَظْفَرَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ — رواه الجماعة الا الترمذى

اللفظ : الحسب . الشرف بالأباء والأقارب مأخوذ من الحساب لأن العرب كانوا اذا تناخروا عدوا مناقبهم وماثر آبائهم وحسبوا فيحكم لمن زاد عدده على غيره ، وقيل المراد به هنا الأفعال الحسنة . تربت يدك لصقت بالتراب بسبب الفقر . وهذه جملة خبرية بمعنى الدعاء لكن لا يراد بها حقيقته بل يراد بها الحث والتعريض . وقيل أنها مثل على حد قولهم للشاعر قاتله الله لقد أجاد

الشرح : الزواج سنة من سنن الهدى حث عليه الرسول (ص) و يرغب فيه بأنواع الترغيب . والناس في اختيارهم الزوجة وتفضيلهم بعض النساء على بعض يختلفون . منهم من يرغب في ذات الفنى الوافر والثروة الواسعة لكي تعينه على مطالب الحياة ومشاق الزوجية ومرافق الاولاد ، أو توفر عليه بعض مطالبها الخاصة . أو يتمتع في مالها وينعم به . ومنهم من يرغب في ذات الحسب العالى والعدد .

الكثير يتخذ منهم عصبية ويمتز بهم عن قلة ويقوى عن ضعف ، ومنهم من يرغب فى ذات الجمال البارع يتمتع بمنظرها نفسه ويستروح بها قلبه ، ومنهم من يرغب فى ذات الدين الحصان ، يأمن بدينها أن يثلم شرفه ، أوتزل قدمها فى مهواة المعاصى والشرور ، إن غاب حفظت غيبه ، وإن حضر لم تقع عينه منها على ما يكره وكل له وجهة ، يدفعه الى الاختيار ما يرى أنه الجدير بالطلب أو يحقق رغباته ويسد نهماته ، فلا يزال يسعى وراء بغيته ويدأب للحصول على طلبته ، لا يرضى بديلا عما رسمه لنفسه ولا يقنع بغير ما يرى أن سعادته فى العشور عليها وتحصيلها حتى ينال أمنيته أو يقنع بما تيسر له ، غير أن الرسول عليه السلام اختار من بين هؤلاء الجديرة بالبحث والطلب ، القمينة بأن تقتنى وتدخر وتكون شريكة الرجل فى حياته تلك هى ذات الدين ، اذا وجدت لا ينبغي العدول عنها ، لأنها ضخيمة الرجل وأم أولاده ، وأمينته على ماله وسره وشرفه فدينها يجعل الرجل مطمئنا يفضى اليها بذات نفسه ويطلعها على مكنون أمره ، وتكون الحفيظة على ماله ومنزله ، المربية أولاده على التقوى والصلاح فهو بها سعيد وهى به سعيدة

أما ذات المال التى لم تعتمص بالدين ولم تتحل بالتقوى فقلما يدوم له صفاؤها ويسلس قيادها وترعى حقوقه ، وتكون له البارة المطبعة ؛ وإنما تعز عليه بما لها ، وتفخر برائها ، ترى أن لها من غناها ما يجعلها النافذة الكلمة المطاعة الأمر ، ذات الحرية المطلقة فيخرج من يده زمامها ، ويفلت من حكمته وطاعته قيادها وتكون البلية عظمى اذا كان دونها فى الثروة ، أو كان هو معدما ، هنالك تكون هى السيدة وهو المسود ، هى الآمرة وهو المطيع ، هى المالكة لأمره تسيره كما تحب وتهوى ، فينقلب الأمر وتعمم المصيبة كما هو مشاهد بين ظهرائنا مما تثن منه الحياة الزوجية ، ويهدم فى كيان الاسر ، وينشئ الأبناء على أسوأ المثل وأدنى الصفات ويجعل المنزل مباءة مقت وكره ، ومثابة شرور وآلام ، ونزاع وخصام وأما ذات الحسب فانها تدل على زوجها بحسبها ، وتفخر عليه بعد يدها وبخاصة

إذا كان أقل منها عددا ، فلا يشعر معها بهناءة ولا سعادة ، أو يطأطى ، لها رأسه ،
ويذل نفسه

وأما ذات الجمال فتكون مبعث ظِنَّةٍ ، ومجلبة ريبه ، ولقد استشار رجل
حكيا في الزواج فقال له افعل وإياك والجمال البارع فقال فكيف ذلك؟ فأجابته

ولن تصادف مرعى مُمرِّعا أبدا الا وجدت به آثار منتجع
ولقد قال الرسول عليه السلام في ذلك (لا تزوجوا النساء الحسنين فلعن
حسنهن أن يرُدَّيهنَّ ، ولا تزوجهن لأموالهن فمسي أموالهن أن تطفينهن ، ولكن
تزوجهن على الدين ، ولأمةٌ سوداء ذات دين أفضل)

وليس المراد من ذلك أن يعرض المرء عن ذات المال والحسب والجمال ،
ويقبل على المعدمة الوضعية الدميمة بل المراد الا يجعل الانسان نصب عينه في اختيار
الزوجة وتفضيلها المال أو الحسب أو الجمال غير آبه بما عساه يكون لها من صفات
أخرى ، ولا ينكب عما تتعلى به من خلال قد تفضل ما نظر اليه منها وليبدأ
بذات الدين والتقوى فاذا ضمت الى ذلك خلة من الخلال المرغوبة كان خيرا وأفضل
والا فلا يضيره كثيرا أن تفقد مع دينها صلاحها مالا يتفد وحسبا يزول
وجمالا يذبل وتذوى نضرته بعين حين ، أما الدين فلا يزيد مع الأيام الأجدة ،
ولا يأتي إلا بغير دائم وسعادة مستمرة

الحديث ٩٨

الحث على الزواج

عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ

أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ
فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ - رواه الجماعة

اللغة : العشر - جماعة يشبههم وصف واحد . الشباب - جمع شاب
(ولم يجمع فاعل على فعال غيره) وهو اسم لمن بلغ ولم يجاوز الثلاثين وقيل الأربعين .
ثم يسمى كهلا الى الأربعين ، ثم شيخا . الباء - والباء - الجماع . وأصله الموضع
يتبوؤه الانسان ويأوى اليه ، وقيل معناه في الحديث مؤونة النكاح .
ويصح حمله على كلا العينين ويكون المعنى من قدر على الوطء ومؤن التزويج ،
كما يشهد لذلك رواية « من استطاع منكم أن يتزوج فليتزوج » . ورواية « من
كان ذا طول (قدرة) فلينكح » - أغض للبصر - أشد كفاله عن النظر الى
المحرم - أحسن للفرج - أشد منعاه من الوقوع في الفاحشة . وجاء . أصله
الغمز ومنه وجأ في عتقه اذا غمزته دافعا له ، ووجأه بالسيف اذا طعنه به ، ووجأ انثيه ،
غمزها حتى رضهما . وتسمية الصوم وجاء من باب الاستعارة لهلاقة المشابهة لأن
الصوم لما كان مؤثرا في ضعف شهوة النكاح شبه بالوجاء .

الشرح : يخاطب الرسول عليه السلام شباب أمته الذين هم غرسها النامى ،
وعتادها في مستقبل أيامهم أن يبادر الشاب منهم الى التزوج متى كان قادرا على
أمور الزواج من النفقة وما يتبها وكان به توفان الى النساء حتى لا تزل به القدم
في مهواة المعاصي وحمأة الشرور فان للشباب فتوة ونزوة تدفع الشاب الى اطاعة
شهوته وتطوره على ارضائها بدون أن يبالي سوء مغبة أو حسنها . وكم جر ذلك من
ويلات وأعقب من أدواء استفحل فيما بعد شرها . وعم ضررها وأصحت ملاقاتها
عسيرة وتدارك أخطارها في غير الوسع والطاقة ، وكم من شاب أغرته شهوته واستعبدته
لذته فآتى نفسه من المعاصي حظها وأروى من الموبقات غلتها فكان عاقبة ذلك
ان افتقر بعد يسر ومال عريض ، وضعف بعد قوة وصحة شاملة ، وانتابته الأمراض
والعلل فصار حلف المم والسهاد ، بنام على مثل شوك القتاد . قد أقض مصعبه ،

وذبلت نضرته وتنكرت له الحياة بعد اقبالها ، وكشرت الأيام بعد ابتسامها ،
وكلبه الزمان وقد كان له مواتيا مطيعا ، ونفر منه الأصدقاء ، وكان قرة أعينهم
وموضع العبيطة والسرور منهم

ولقد بين الرسول (ص) حكمة المبادرة الى الزواج بعد القدرة والاستطاعة
بأنها تحصن الفرج عن الوقوع في المحرمات وملابسة ما يفضب الله ويزرى بالشرف
والكرامة وتدعو الى العفة وغض البصر عما لا يحل من محارم الله - أضاف الى
ذلك ان المبادرة الى الزواج تمكن المرء اذا رزق أولادا من تربيتهم والقيام بشؤونهم
واعدادهم لمستقبل حياتهم وجعلهم رجالا صالحين ينفعون أنفسهم وأمتهم ، ويجعل
منهم عمادا لها وقوة يرهب بهم جانبها وتقوى شوكتها وتحفظ هيبتها وكرامتها
ويدفع من يريد اذلالها واستعبادها . أما اذا أبطأ في الزواج حتى تقدم به العمر
فقد لا يستطيع تربية أولاده لضعف قوته وعجزه عن تحصيل ما به حياتهم وتوفير
أسباب السعادة لهم وربما أدركه الأجل فيتركهم كرزب القطا مهينى الجناح
ضعيفى المنة ، لا يقدر على دفع عوادي الأيام وكاب الزمان

زد على ذلك أيضا أن الإبطاء في الزواج يزيد في كثرة الفتيات العانسات
ويفوت عليهن زمن نضرتهم ، وجنى ثمارهن في أبانه وليس لمن القوة على مدافعة
الشهوة كالرجال فتطغى عليهن وتجبرهن على سلوك طريق الغواية والفساد وهناك
الطامة الكبرى والمصيبة العظمى ، من اختلاط الانساب وانتهاك حرمة الاعراض
وتمزيق ثوب الحياة ، والاستهتار بما يزيل الكرامة ويذل الشرف والعزه ويقضى
على الإباء والروءة والنخوة

وقد وصف الرسول (ص) العلاج لغير القادر على الزواج وهو الصوم فانه
يكسر الشهوة ويقتل الميل والرغبة في النساء لأنه يضعف البدن وينقص من الدم
الذى يبعث الحرارة والقوة فتقل دوافع الشهوة وتضمحل شدتها

الحديث ٩٩

استئذان المرأة في الزواج

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُنْكَحُ الْأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ وَلَا الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ أَنْ تَسْكُتَ - رواه الجماعة

اللفظ: الأيم . كل مذكر لا أنثى معه ، وكل أنثى لا مذكر معها بكراً أو ثيباً ، يقال أم الرجل وأمت المرأة إذ لم يتزوجا ، وقيل الأيم التي لازوج لها وأصله التي كانت متزوجة ففقدت زوجها برزء طراً عليها ثم قيل في البكر مجازاً لأنها لازوج لها . والمراد بها هنا الثيب بدليل مقابلتها بالبكر - تستأمر . يطلب وليها أمرها قبل أن يزوجها . البكر التي لم تزل بكارتها والمراد بها هنا البالغة . تستأذن . يطلب أذنها بالزواج

الشرح : يستأثر بعض الأولياء بترويض من يكون تحت كفهم من النساء أبكاراً كن أم ثيبات صغيرات كن أم كبيرات بمن يشأون لا يرجعون اليهن برأى ولا يعتدون منهن بقول فيملكونهن ممن لا يرغبن ويسلهون قيادهن إن لا يحسنه ولا يرضين عشرته فيشجر الخلاف والشقاق ، وتنمو البغضاء والحقد ويحل الكره محل الحب ، والخصام محل الوئام ، وقد يكون الباعث للأولياء على ذلك رغبة في نفي مال الزوج أو اعتزازاً بجاهه ، فأرشدنا الرسول الناصح الأمين إلى أنه لا يصح أن يفرد الولي بتحيز الزوج لموليته والمقد عليها بدون رضاها لأنها ستكون في مستقبل الأيام شريكة للزوج في حياته . وأما لأولاده ومدبرة لمنزله . فينبغي أن يكون لها رأى في اختياره فان كانت ثيباً فلا بد من تصريحها بالأذن ولا يكفي

السكوت منها ، وإن كانت بكرا اكتفى بسكوتها عن صريح الرضا ، بدليل التعبير بالاستثمار في جانب الأيم وهي الثيب ، وبلاستئذان في البكر ، والأول يدل على تأكيد المشاورة ، ذلك بأن الثيب قد قل حياؤها بممارستها الرجال فلا تستحي من التصريح بالرضا ، أما البكر فيغلب عليها الحياء فلا تصرح فيكتفى بالسكوت في الدلالة عليه ، ولوردت واحدة منهما الزواج فلا يصح من وليها العقد عليها - والمراد من البكر التي أمر الشارع باستئذنها هي البالغة إذ لا معنى لاستئذان الصغيرة لأنها لا تدرى ما الأذن

هذا وقد ذهب الحنفية إلى أنه يشترط في صحة زواج الولي الكبيرة اذنها فلو عتد عليها بدون استئذان لم يصح سواء أ كان الولي أبا أم جدا أو غيرها بكرا كانت أو ثيبا إذ لا ولاية عندهم على البالغة لأن عملة الولاية هي الصغر وقال الشافعي ومالك واحد يجوز للأب أن يزوج البكر ولو كانت بالغاً بغير استئذنها . لقوله عليه السلام (الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأمر واذنها سكوتها) فقد جعل الثيب أحق بنفسها من وليها ومفهومه أن ولي البكر أحق بها منها . وبما روى أن ابن عمر والقاسم وسالم كانوا يزوجون الابكار لا يستأمرنهن

واستدل الحنفية: (١) بما رواه أحمد وأبو داود أن جارية بكرا أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت أن أباه زوجها وهي كارهة فخيرها النبي عليه السلام . (٢) بأن الولي ليس له أن يتصرف في مال البكر البالغة الا باذنها والمال دون النفس فكيف يملك أن يتصرف في نفسها ويخرجها إلى من قد يكون أبغض الناس إليها . (٣) أن جميع ما في السنة من الأحاديث الصحاح والحسان المصرحة باستئذان البكر ومنع العقد عليها إلا باذنها لا يعقل له فائدة إلا العمل على وفقه لاستحالة أن يكون الغرض من استئذنها مخالفتها . فلو كان للولي اجبار عليها لم يكن للأمر باستئذنها فائدة

وختلف في المراد من البكر التي يعتبر سكوتها رضا فذهب الحنفية أهلها

من لم يمسها انسان ويكون مصيها أول مصيب سوا، بقيت عذرتها أم زالت بسبب غير الوقاع كمرض أو وثب أم لم يكن لها عذرة أصلا - ومن زالت بكازتها بوطه حلال فهي ثيب . ومن زالت بزنا فان تكرر منها ذلك أو أقيم عليها الحد فهي ثيب ، وإن لم يتكرر ولم تحد فهي في حكم البكر من حيث اعتبار سكوتها رضا عند أبي حنيفة لأن الناس عرفوها بكرا ولم يشتهر أمرها فلا يزال لها حياء الابكار - وقال أبو يوسف ومحمد والشافعي إنها ثيب فلا يكتفى بسكوتها عند استئثارها بل لابد من الافصاح منها لأنها ثيب لغة وشرعا ولا يسلم بقاء حياها من ذكر الزواج . وفي هذا الحديث تقرير لمبدأ جليل ذلك هو اعتبار المرأة انسانا كامل الارادة . والاختيار لاحق لأحد عليها في اكرامها على ما لا تحب وترضى متى كانت عاقلة . وقد جعل لها اختيار الزوج الذي سيكون شريك حياتها تشاطره الحياة الزوجية وما تتطلبه من تكاليف ومهام ، ولم يسح لأحد من ذوى قرابتها ولو كان أبها أن يكرهها على الزواج بمن لا ترغب . بل جعل تزويجه أبها من أى شخص كان موقفاً على اذنها واجازتها ، فان إجازته ورضيت عن فعله بعد علمها بما يلزم العلم به انعقدت رابطة الزواج متينة غير منقوضة ، وإلا فلا سلطان لأحد عليها . ذلك بعد إن كانت المرأة في الجاهلية وضعية الشأن قليلة الخطر تكاد تكون من سقط المتاع لا رأى لها ولا إرادة في أى أمر من أمورها جل أو هان ، وكان لوليها أن يزوجها بمن يشاء وبما يشاء أو يعضلها عن الزواج لا راد لقوله ولا معقب لعمه فجاء الاسلام وفك عنها قيود العبودية والأذلال وناولها قسطها من الحرية والاستقلال حسبما تقتضيه طبيعتها الخلقية ووظيفتها في المجتمع

الحديث ١٠٠

احداد المتوفى عنها زوجها

عن زينب ابنة ابي سامة عن أم حبيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا - رواه البخارى من حديث طويل

اللفظ: تحدد: فعل مضارع إما بفتح التاء مع ضم الحاء أو كسرها من حدث المرأة حدا وحدا واما بضم التاء، وكسر الحاء من أحدث احدا إذا امتنعت عن الزينة من طيب ولباس لموت زوج أو قريب . وأصل الحد فى اللغة المنع ومنه سمي البواب والسجان حدا ، وسميت العقوبة حدا ، والمراد هنا منع المتوفى قريبا أو زوجها نفسها من الزينة والطيب ومنع الخطاب خطبتها والطمع فيها - ثلاث ليال - أى مع أيامها وقوله وعشرا . أى ليال مع أيامها كذلك

الشرح: الحزن على القريب أو الزوج أو الصاحب غير محذور وربما كان مشكورا بل قد يكون اظهاره واجبا مراعاة لحق القرابة ووفاء لواجب الصفة . ولكنه متى خرج عن هذا القدر صار مذموما لأنه يبعث السأم إلى القلب والنم إلى النفس ، ويدعو إلى تعطيل الأعمال وتحريم ما أحل الله . وربما جر إلى السخط من قضاء الله . والحديث يدلنا على القدر الذى يباح للمرأة فيه أن تبدي الحزن على من يموت من زوج أو غيره ، وقد بين أن لها الاحداد على غير الزوج من أب أو ابن أو أخ أو غيرهم إلى ثلاثة أيام ، أما على الزوج فالى نهاية العدة وهى أربعة أشهر وعشرا أيام ، فمتنع من التزين والتطيب والظهور بمظهر الفرح أو

السرور وكذا تمتنع خطبتها والتكلم في شأن زواجها حتى تنتهي عدتها
وقد أشار بقوله لا يحل إلى أن مجاوزة الأحداد من ثلاثة أيام على غير الزوج
حرام تفضب الله ورسوله، ولذا فإن كثيراً من زوجات الرسول (ص) ونساء الصحابة
كن يكففن عن الاحداد على من يموت من أقاربهن ويدين أمارات التزين
بمد ثلاثة أيام امثالاً لأمر الرسول (ص) وقياماً عند تعاليمه

واستدل الحنفية بكلمة (امرأة) على أنه لا يجب الاحداد على الصغيرة لأن
المرأة لا تطلق إلا على البالغة . وقال غيرهم بوجوب الاحداد عليها إذا توفي زوجها
كما تجب العدة ، والتقييد في الحديث بلفظ امرأة لأنه خرج مخرج الكثير الغالب
ويطالب وليها بمنعها مما تمتنع منه البالغة - واستدلوا أيضاً بتكثير امرأة على وجوب
الاحداد سواء دخل بها أم لا حرة كانت أو أمة أو كاتبة أو أم ولد إذا مات زوجها
لا سيدها . واستدلوا بقوله (تؤمن بالله النخ) على أنه لا إحداد على الذمية وبذلك
قال بعض المالكية . وقال الجمهور إن قيد الايمان لا مفهوم له وإنما ذكر تأكيداً
للمبالغة في الزجر ، ولأن الاحداد من حق الزوج وهو ملتحق بالعدة في حفظ
النسب فتطالب به الكافرة

واستدل بقوله (على ميت) على أنه لا إحداد على امرأة المفقود لأنه لم يتحقق
وفاته - وبقوله (الا على زوج) على أنه لا يزداد على الثلاث في غير الزوج أباً كان
أو غيره وعلى أنه لا احداد على المطلقة مطلقاً وبه قالت الشافعية والجمهور .
أما الحنفية فقالوا بذلك في المطلقة رجعياً والمطلقة قبل الدخول اما المبانة فعلها الاحداد
قياساً على المتوفى عنها زوجها. هذا ولم تظهر للتحديد بأربعة أشهر وعشر حكمة جليلة
فكل ذلك الى العليم الحكيم

الحديث ١٠٩

تخير الأوقات للمواعظ

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السامة علينا - رواه البخاري

اللفظ : يتخولنا . يتعهدنا بتنويع المواعظ ولا يثقل علينا بتتابعها - السامة . الملل والضجر

الشرح : خير الواعظين وعظا وأجداهم نفعاً وأكثرهم تأثيراً من يتفقد أحوال الناس وأنسب أوقاتهم فيأتي اليهم بمواعظه وينشر بينهم ما أثره ، كما أن أحسن العلماء أثراً من اختار للناس مسائل العلم ، وانتقى ما يفيدهم في دينهم وآخرتهم وكان في كل ذلك حسن العبارة فصيح القول يحلظ الجذب بالمزاح الطريف ، والحكمة بالفكاهة الشيقة ، وينتبهز تشويقهم الى ما يدين لهم وخواصهم من شواغل الدنيا ، واستجمام قواهم ورغبتهم في التفقه والتعلم فهناك يكون لوعظه وعلمه أبن الأثر وأنجم الفائدة

وهذا قدوة المؤمنين صلى الله عليه وسلم كان يتفقد الأوقات المناسبة للصحابة فيعظهم ويعلمهم ، ويجعل من حوادثهم وأحوالهم عظات بالغات ، ودروساً حجة المنافع وما كان يداوم عليهم بذلك مخافة أن يلحقهم الملل والضجر فيسأموا وينصرفوا عن سماعه وقبول قوله ، ولكنه كان كالطبيب يعطى من الدواء بالمقدار الملائم للمرض ويتمشى معه في طريق العلاج مترقياً في مقادير الدواء حتى لا يمل المريض ويكره الدواء فيصعب علاجه ويستفحل داؤه ويمز شفاؤه . وفي الحق ان للنفوس أوقاتها تكون فيها راغبه في العلم توافقه الى سماع الموعظة وذلك عند صفائها واستراحتها،

من العناء والمشقة ، وحين ذلك ينبغي أن تتبلغ منهما بما يناسب مقدارا ومادة ، وأن لها أوقتا تكون فيها مكدودة ضجرة ، قد أثقلتها متاعب الحياة وشغلها صوارف الأيام فلا تقبل علما ولا تقبل على عالم ، بل تنفر وتفر هاربة لا تلوى على نصح ناصح ولا تصيح الى وعظ مرشد ، ومن الخطل في الرأي أن يبتغى الناصح لها في تلك الأوقات رشدا أو يرقب إصلاحا ، فعلينا أن نتقدي بالرسول (ص) في ذلك ولا يكون الواعظ أو المرشد كحاطب ليل لا يدرى ما يلقي على الناس ولا من يلقي عليه موعظته — ولجهل كثير بطرق الوعظ والارشاد واختيار مسائل العلم وتثقيف الناس وبخاصة العامة منهم قلت الفائدة منهم على كثرتهم ، وانصرف الناس عن الاستماع اليهم والركون الى قولهم ، وفضلوا الجلوس في مجالس اللهو عن دروس العلماء والواعظين ، اللهم إلا قليلا أحسنوا الوعظ فأحسن القوم الاستماع والعمل ، وأجادوا في القول وتخبروا أساليبه فكان لهم التأثير الحسن والسلطان على القلوب فألأنوا قاسيها ، وأسلسوا عصيها ، وملكوا زمامها فكانوا من الصالحين المصلحين الذين عملوا بقوله (ص) يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا

الحديث ١٠٢

ما يكره من التمداح

عن أبي موسى رضى الله عنه قال : سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يُدْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي الْمُدْحَةِ « وَفِي رِوَايَةٍ فِي الْمُدْحِ ، وَفِي أُخْرَى فِي مَدْحِهِ » فَقَالَ : أَهْلَكُمُ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهَرَ الرَّجُلِ — رواه البخارى ومسلم

اللفظ : يطريه . يبالغ في مدحه — المدحة بكسر الميم كيفية المدح وهيئته
أهلكم أو قطعتم — كذا بأو شك من الراوى

الشرح : المدح على الشيء قد يكون من أشارات الاستحسان ودواعي التشجيع والاجادة واستحاثات الهمم إلى جلائل الأعمال والاشادة بذكر المجد العامل ، وحفز العزائم على الدأب والسعى لتحصيل المحامد وابتناء المكارم ، كما أن السكوت عنه غمط من شأن أولى الهمم وتثبيط لهم ، وقت في عضدهم ، وإمانة لما عساه يكون عندهم من غرائز يدفعها التنشيط ، ويقبرها الغمص والزراية ، كل هذا خير مادام القصد ما ذكر ، أما اذا كان المدح للتملق واسناد الأعمال الى غير أربابها فانه مجلبة الطغيان وباعث النفاق والذله ، ومحى المهانة والحقارة وموجب المقت والسخط والكذب ، لأن المدح يضطر الى الافراط وقول غير الحق وإلى إظهار ما لا يضرر للممدوح ، واعتقاده أنه كما يقول مادحه وقد يكون فاسقا أو ظالما وهذا غير جائز. ففي حديث أنس : إذا مدح الفاسق غضب الرب . وقال الحسن رضى الله عنه : من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله فى الأرض فاذا ما سلم المدح من تلك الآفات كما تقدم لم يكن به بأس ولقد كان سيدنا على رضى الله عنه اذا أتى عليه يقول : اللهم اغفر لى ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون ، واجعلنى خيراً مما يظنون

الحديث ١٠٣

من الذنوب ألا يستتر الانسان من بوله وأن يمشى بالنميمة
 عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : رَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَائِطٍ مِنْ حَيْطَانِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ثُمَّ قَالَ بَلَى . كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ . وَفِي رِوَايَةٍ لَا يَسْتَبْرِئُ . وَفِي أُخْرَى لَا يَسْتَنْزَهُ - مِنْ بَوْلِهِ وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ - رواه البخارى وغيره

اللفة : الحائط البستان - في كبير - في أمر يشق عليهما اجتنابه والابتعاد عنه لى . اى أنه لكبير خطره « يحسبونه هينا وهو عند الله عظيم » . يستتر يجعل بينه وبين بوله سترة أى لا يتحفظ منه - ويستبرى ، - يتطهر - ويستزهر . يبعد عن أن يصيبه البول أى لا يتوقى منه - النيمة . هى ثقل الكلام بين الناس لا يقع الأذى وإلحاق الضرر بهم

الشرح : ينبئنا الرسول (ص) أن من الذنوب ما يعده الانسان صغيراً لا يبالي أن يقترفه ولا يأبى ارتكابه ويظنه هين الشأن . وهو سبب المغبة مؤلم العاقبة وإن من ذلك عدم الاستتار وقت قضاء الحاجة فتبدو للناس من الانسان عورته . كالحيوان البهيم . مع أن الله كرمه على سائر الخلق (ولقد كرمنا بنى آدم) ويفقد حياته وتضيع كرامته ويصبح حقيراً شأنه شأن الدواب . أو ألا يحترز من البول فتصيبه النجاسة وتتأثر على جسمه وملابسه فتلوثها وتجعله مستقذراً فى أعين الناس وتفسد صلواته وعبادته - ومن ذلك أيضا السعى بالنيمة ونقل الكلام بين الاصدقاء والخلان بقصد الاضرار بهم وافساد صداقتهم ومودتهم ، وكشف ما يكره كشفه من أمورهم سواء أكان ذلك بالقول أم بالكتابة ، وسواء كان المنقول من الاعمال أم من الأقوال . ولذا كان خطبها جسيماً وعاقبتها سيئة

ولقد قال الرسول (ص) لا يدخل الجنة تمام . وقال : أحبكم الى الله أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم على الله المشاءون بالنميمة المرفقون بين الاخوان ، الملتمسون للبراء العثرات

وقال الحسن : من نم اليك نم عليك . ومعنى هذا أن التمام ينبغى أن يبغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته . وكيف لا وهو لا ينفعلك عن الفدر والحياة والافساد بين الناس وهذا من آفات اللسان التى يجب على المسلم أن يحذر منها يأخذ نفسه ولسانه على الحق والصدق ومحبة الناس والعمل لخيرهم والبعد عما يضرهم ويسىء اليهم

الحديث ١٠٤

تعاهد القرآن

عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم **تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ أَنْ فَوَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنْ الْإِبِلِ فِي عُقْلِهَا** — رواه البخارى ومسلم

القرء : تعاهدوا القرآن . حافظوا عليه وتفقدوه حيناً بعد حين بملازمة تلاوته — تفصياً . تخلصاً وتفلتاً ، يقال تفصيت من الشيء تفصياً إذا تخلصت وخرجت منه العقل . بضمين جمع عقال بكسر العين وهو الجبل يشد في ركبة البعير الشرح : القرآن هو قانون شريعتنا الاسلامية ، وقاموس لغتنا العربية . وقدوتنا وامامنا في حياتنا ، به نهتدى ، واليه نحتكم وأوامره ونواهيه تقتدى ، وعند حدوده تقف ، سعادتنا في سلوك سننه واتباع مناهجه ، وشقوتنا في تنكبه . تعاليمه والبعد عن شرعته ، ومن الواجب أن نتمهده ونتفقه بالحفظ ومداومة التلاوة والمدارسة حتى لا ينسى

ولقد شبهه الرسول (ص) بالبعير الذى يخشى منه الشراد فما دام تعاهده بالعقال أمن نفوره ، أما إذا أهمل شرد وندوصار من الصعب أمساكه ورياضته ، وكذلك القرآن . ففى كان المسلم شديد العناية به لا يترك تعاهده بالتلاوة بل يجعله سميره فى خلوته وجليسه فى وحدته ومؤنه فى وحشته ، يستبدله بلفو القول والكلام فيما لا يفيد دام حفظه وطال مقامه . أما اذا أهمل شأنه وشغلته الصوارف عنه نسيه وكما طال العهد بتركه ازداد نسيانا ، ووجد مشاق جسيمة فى استعادة حفظه وثقل عليه استدراكه وهذا الحديث يوافق قوله تعالى (انا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً) . ويحض على مداومة تلاوة القرآن ويفيد إباحة القسم عند الحبر المقطوع بصحته مبالغة فى تثبيته فى صدر ساهمه

الحديث ١٠٥

في الاستعاذة من الاثم والدين

عن عائشة رضی الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو في الصلاة ويقول : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ .
فَقَالَ قَائِلٌ : مَا أَكْثَرُ مَا تَسْتَعِذُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْمَغْرَمِ فَقَالَ
إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ - رواه البخاري
اللفظ : أعوذ ألبأ وأستجير - المأثم . الأثم والذنب - المغرم . بفتح الميم

والراء الغرم وهو الدين وفعله غرم كشرب

المسرح : المعاصي محارم الله التي نهى عباده المؤمنين عن اقترافها وحذرهم من انتهاكها وأن يحوموا حولها . والدين - وقالك الله ذله - مثقل الاعناق ، وطريق النية والأذى وسبيل النقر ومورث المهانة في أكثر أحواله ، فلا غرو أن استعاذ الرسول (ص) منهما وأكثر من استعاذته في صلواته حتى أدرك ذلك الصحابة فسأل أحدهم عن الباعث على كثرة تعوذه من الدين فقال ان الرجل إذا اذان اضطر إلى أن يخفي معسرته ويؤسه حتى لا يشمت فيه عدوه ولا يلحف في مطالبته غريمه فيظل يعلأ ماضيه بزخرف من القول يموه به على سامعيه ، ويحافى بينهم وبين الاطلاع على حقيقة أمره ودخيلة نفسه ويظل يقول إن لي عقارا بجهة كذا ، وتجارة لن تبور في أصناف كذا وكذا تدر على من الارباح كل عام القناطر المنقطرة من الذهب والفضة ، ولي ديون على فلان وفلان ، ولكم سخوت على الفقراء وجدت على المساكين ، وأبرأت مدينين من ديون كانوا عن اداؤها عاجزين ، وهكذا لا يبرح يقول إن لي ولي وهو في كل ذلك كاذب مائن (١٦ - أدب)

وموافق مخادع حتى ينكشف للناس أمره ويبدو لهم عواره فيطالبوه ويلازموه. فيعدهم ويمنيهم وينضرب لهم الآجال ويتملقهم رجاء أن يمهلوه حتى إذا جاءت مواعيده ، وحلت النجوم ، استمهلهم وطلب منهم أن ينسئوه مرة أخرى وهو في كل ذلك يماطل ويراوغ ، لأن الدين بهظه وضائق عليه موارد ، وخانه حظه. وعثر به جده ، والفي يديه صفرا مما كان يؤمله ، فالتمس الخلاص لنفسه من الناس وإذا بالسبل كسم الخياط أو هي أضيق ، وبالابواب قد ارتجت دون تنفيس كرتبه أو تفرج غمته فسقط في يده وأسلم نفسه للمقادير تناوشه فتصرعه فلا يجد منها مفرا ولا ملتجدا

ذلك شأن الذي يستدين فيما يكرهه الله أو فيما لا يكون له حاجة للاستدانة فكم من بيوت عامرة خربت ، وثورات طائلة ذهبت وبادت ، ونفوس كانت كريمة عزيزة ذلت وهانت ، وحرمان استطالت على الدهر خضعت ، وأنوف عزت على الاحن والحوادث ارغمت بالدين ومهانتة . كل ذلك للدين لم تمس اليه الحاجة ولم تدع اليه ضرورة ملحة . بل لمظهر كاذب ونفاق مزر ، وابتغاء الزلفى لحاكم أو ول والجري وراء عرض زائل أو إشباع شهوة مردولة ، واطفاء غلة محقوتة ، وهذا هو الذى يستعيز منه الرسول صلوات الله عليه ، أما الاستدانة لحاجة ماسة مع القدرة على الأداء فلا يستعاذ منه ، ولا يستغنى عنه إلا القليل من الناس لأن بعضهم محتاج إلى بعض ولاغنى لأحدهم عن الآخر — وما أخرجنا إلى الاقتداء بالرسول في استعاذته والبعد عما يوجب الذلة ويزرى بالكرامة ويريق ماء الحياة ويضيع المروءة ، وما أخرجنا إلى ابتغاء العزة والحفاظة على الشمم والاباء ، ولا يكون ذلك إلا بتمسكنا بآداب ديننا والعمل بها وخاصة في هذه الأيام التى قل المعين والمناصر وكثر العدو وأحكم فينا حباله واعمل في هدم كيان وحدتنا وديننا وكل عزيز علينا جهده ومكايده. ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم

الحديث ١٠٦

في الحلف بغير الله

عن عبد الله بن عمر رضی الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم سَمِعَ
عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ . فَقَالَ ، إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمُ أَنْ
تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَضْمَتْ -
رواه البخارى

الشرح : قد يأتى إنسان لا آخر قولاً أو يذكر له خبراً فلا يصدق السامع إما
لخالفته لما يعلمه من موضوع الحديث ، أو لغرابته عنده أو لغير ذلك من البواعث
التي تحول دون وقوع ذلك الخبر موقع القبول ، أو يصدقه ولكن يحتاج من القائل
الى ما يؤكده ويزيده ثبوتاً وتحققاً ، فيضطر المتكلم الى أن يؤكده قوله ويوثق
خبره بأنواع المؤكدات ، ومنها اليمين .

فالحلف على الشيء ، يفيد تأكيد المحلوف عليه باقترانه بما يعظم عند السامع
والتكلم . وفى هذا الحديث يعلمانا الرسول (ص) بمن يحلف وتؤكد أقوالنا اذا
أردنا الحلف ، ومن نعظم ، ويبين لنا أن نحلف بالله ولا نحلف بآبائنا ، لأن التعظيم
الحقيقى لا يكون إلا له سبحانه وتعالى وهو الجدير بالاجلال والاكبار

ولما كان النهى يقتضى الحرمة . فقد أفاد الحديث حرمة الحلف بالآباء وبكل
ماسوى الله من نبي أو ولي وتخصيص الحلف بالله خاصة . لكن اتفق العلماء على
أن اليمين تنعقد بالله وذاته وصفاته العلية ، والمشهور من مذهب المالكية أن النهى
عن الحلف بالآباء للكراهة لا للتحريم ، وعند الحنابلة للتحريم لقوله عليه الصلاة
والسلام (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) ويرى بعض الأئمة أنه لا إثم

في الحلف بغير الله ما لم يور بينه وبين الله في التعظيم ، أو كان الحلف متضمنا ككفرًا أو فسقا وأما ما ورد في القرآن من القسم بغير الله كالشمس والقمر والنجوم والطور ففيه جوابان : أحدهما أنه على حذف مضاف والتقدير ورب الشمس الح . والثاني أن ذلك مختص بالله سبحانه وتعالى فإذا أراد تعظيم شيء من مخلوقاته أقسم به وليس لغيره ذلك

الحديث ١٠٧

النية في الحلف

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَمِينُ عَلَى نِيَّةِ الْمُسْتَحْلِفِ — رواه مسلم وابن ماجه .

الشرح : يتخاضم اثنان أمام القاضى فى حق لأحدهما على الآخر وليس لصاحب الحق منهما بيعة فيطلب يمين خصمه فيحلف بأمر القاضى ناويا خلاف ما يحلف عليه .

ويكلف رجل آخر عملا من الاعمال فيزعم أنه قام به ويقسم على ذلك ناويا فى يمينه عملا آخر ، أو معرضا بشيء سوى ما حلف عليه ، فهل تعتبر فى ذلك نية الحالف أو نية المحلف ؟

يدلنا الحديث على أن المعتبر ما نواه المحلف لا الحالف ، والحذف وعدمه على ما نواه المستحلف فن حلف ناويا خلاف ما طلب منه الحلف عليه حنث فى يمينه وعليه كفارة اليمين .

وقد فصل العلماء فى ذلك . وخلاصة التفصيل أن المحلف ان كان ظالما أو كاذبا فى دعواه فالعبرة بنية الحالف وإلا فنية المحلف ، وكذا اذا كان المحلف هو القاضى أو نائبه فبلى نية المحلف . أما اذا كان بغير طلب أو بطلب غير القاضى أو فى موضع

لا تعلق لأحد بحق قبل الحالف فعلى نية الحالف .
والحاصل أن اليمين على نية الحالف في كل الأحوال إلا اذا استحلّفه القاضى
أو نأبّه في دعوى توجهت عليه فتكون على نية المستحلّف . وهذا مراد الحديث
سواء كان اليمين بالله تعالى أم بالطلاق أم بالعتاق إلا إذا حلّفه القاضى بالطلاق أو
العتاق فتنفعه التورية ويكون الاعتبار بنية الحالف لأن القاضى ليس له التحليف
بهما وإنما يستجاب بالله تعالى

الحديث ١٠٨

كراهة الحلف في البيع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : **الْحَلْفُ مَنْفَقَةٌ لِلسَّلْعَةِ مَحْمَقَةٌ لِلْبَرَكَاتِ** — وَفِي رِوَايَةٍ لِلرَّبِيعِ — رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

اللفظ : الحلف : القسم والمراد باليمين الكاذبة كما صرح بذلك في رواية الامام احمد - منفقة . مصدر ميمى من النفاق بفتح النون وهو الزواج ضد الكساد . السلعة بكسر السين . واحدة السلع بكسر ففتح وهى المتاع وما أعد للتجارة . محمقة . بوزن منفقة من المحق وهو النقص والابطال . والهاء فيهما للمبالغة - البركة الزيادة والنماء

الشرح : تساوم تاجراً في شراء شيء وتختلفان في الثمن فيقسم لك الايمان المغلظة أنه لا يربح فيها شيئاً إذا باعها لك بما ذكر من الثمن أو أن غيرك قد عرض عليه فيها أكثر مما تعرض أنت وإن في بيعها لك بما رغبت غبنا عليه وخساراً كبيراً . أو تختلف معه في نوع السلعة أو جنسها فيلقاتك باليمين أنهما من الصنف

الفلاّنى أو من نوع كذا ولا يزال ينمق لك الكلام ويفريك بالابحان حتى تعتر
ونصدقه فنشترها كما قال بما طالب من الثمن ، حتى إذا فحست عنها لم تجدها كما
كنت ترغب أو وجدتتها لا تساوى مادفمت فيها بينما يكون البائع قد ظفر منك
بالثمن الذى أرادته ، وهكذا يصنع مع غيرك فتفتق بضاعته وتزداد ثروته ، وكما
وجد الربح قد نما بين يديه ولمع بريق الذهب والفضة أمام عينيه استمرأ هذا السبيل
الذى يرى أنه يدر عليه الربح الوفير من غير كبير مجهود ولا خسارة مادية ويظن
أنه بذلك قد أمن البوار وسلم من الخسران . حتى إذا ظن أن الدنيا قدواته ، وأن
السعادة أقبلت عليه وسالته الأيام نزلت به مصيبة فى جسمه أو ماله أو ولده ذهبت
بوافر ثرائه . واجتاحتها جائحة أودت بما جمع واقتنى ، من مرض ممض أو فقد ولد
أو سرقة أو حريق أو نحو ذلك من البلايا التى يصيب بها الله من لا يعرون
لدينه حقاً . ولا يخشون لبطشه بأساً ولا عقاباً ، ومن يتخذون اسمه هزواً ولعباً ،
ويشترون بعهد الله وإيمانهم ثمناً قليلاً ، فيصبح صفر اليدين يندب حظه ، ويقاق
على الدهر تبعه ما أصابه ، وما درى أنه هو الذى خاط لنفسه ثوب الفقر وما نزل
به وهو الذى حفر لنفسه تلك الهوة السحيقة التى تردى فيها لا إلى نجاة أو قرار بما
خفر من ذمته وكذب فى قوله ، وتفض من يمين الله واحب الوفاء بها ، لازم رعايتها
وهكذا يصدق عليه قول الله تعالى (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملى لهم
إن كيدى متين)

فواجب المؤمن فى تجارته أن يكون صادقاً أميناً لا خائناً ولا غاناً ، وأن يقنع
بالربح القليل من حلال طيب عن ربح كثير من حرام خبيث لأن الأول كثير
التركة مأمون الفائدة ، بعيدة عنه الفوائل بمنجاة عما يذهب من النوائب . أما الثانى
فبسبب أن تأخذه النازلات الفادحات فنقل بركته وتمحق زيادته ، وللال قليل فى
صحة وطمأنينة وراحة بال ، خير من غنى كثير فى مرض واضطراب فكر
ووساوس وهموم

الحديث ١٠٩

شراء المصرة

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ اشْتَرَى غَنَمًا مُصْرَاءً فَاحْتَلَبَهَا فَإِنْ رَضِيَهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ سَخِطَهَا فَنِي حَلَبَتِهَا صَاعٌ مِنْ تَمْرٍ — رواه البخارى وأبو داود

اللغة : المصرة . الدابة التي ربط ضرعها ليجتمع اللبن من قوالب صرير الماء في الحوض وصريته بالتخفيف والتشديد إذا جمعه - سخطها . كرهه شراءها ولم يرد بقاءها عنده - الصاع : قدجان وثلاث

الشرح : كان بعض الناس . ولا يزالون - إذا أراد بيع شاة أو بقرة ربط أئدائها يومين أو أكثر حتى يجتمع اللبن فيها ثم يخرج بها إلى السوق ليبيعهما فيظن من لا يعرف حقيقة أمرها أنها غزيرة اللبن حافلة الضرع وأن ذلك عادتها فيغتر بذلك ويشتريها بثمن غال . حتى إذا ما عاد إلى بيته واحتواها منزله وحلب ذلك القدر الذي كان قد اجتمع في ضرعها وجدها قد صارت عجفاء لا تدر أخلافها ولا تعطيه من اللبن إلا اليسير فيعرف أنه قد خدع بظنه أن ورمها شحم وأن تصريرتها اكتناز باللبن فيسقط في يده ويصبح في حيرة من أمره وغم وبؤس مما صار إليه

فبين الرسول (ص) في هذا الحديث أن من حدث له ذلك واشترى دابة مصرة فهو بالخيار بعد أن احتلبها إن شاء أمسكها ورضى بها على ما فيها من عيب وغرر وإن شاء ردها على بائعها ورد معها قدحين وثلاثا من التمر لقاء ما احتلبه من لبنها واسترداد الثمن الذي دفعه لأن البائع غرر به وخدعه واستغل طيب نفسه وقتاء سريره من اتهام غيره بالفش وعدم احتياطه .

ومن هذا الحديث تستبين أمور

(١) أن الخيار لا يثبت إلا بعد الحلب والجمهور على أن المشتري إذا علم أنها مصراة ثبت له الخيار على الفور ولو لم يحلب لكن لما كانت التصرية لا تعرف غالبا إلا بعد الحلب جعل الحلب قيدا في ثبوت الخيار

(٢) أن المصراة يحل بيعها مع ثبوت الخيار ولا مدة له بل يثبت عقب الحلب ثلاثة أيام بعد الحلب كما يدل على ذلك بعض الروايات التي روى بها الحديث.

(٣) إن هذا الحكم لا يختص بالغنم بل يشمل الابل والبقر من كل ما كول اللحم أما غير ما كوله كالجارية والأتان فلا يرد اللبن عوض وإن ثبت له خيار ردها لفوات أمر مقصود منها

وهل يثبت الخيار بمجرد الحلب الأولى أو أن له الثانية والثالثة؟ اتفق العلماء على أن له الحلب الثانية ولا يسقط خيار بسكوته بعد الأولى . واختلفوا في الثالثة فقال الجمهور أن له الثالثة لأن الحلب الأولى لا يتحقق معها معرفة التصرية . وكذا الثانية لجواز أن يكون نقصها عن الأولى لاختلاف المارعى أو لامر غير التصرية ، فإذا حلبت الثالثة تحققت تصريتها فكان له ردها

(٤) يفيد الحديث أن الصاع يرد مع الشاة . ويلزم من ذلك عدم رد اللبن ولو كان باقيا أى لا يلزم البائع بقبوله لأن نص الحديث أثبت له حقا هو صاع التمر وهل يتعين التمر أو يجوز غيره مما يقتات به أهل البلد أو قيمته؟ مذاهب

ويدل الحديث أيضا على وجوب الصاع قل اللبن أو كثر حنما للنزاع في قلته وكثرته إذ قد يحصل البيع في صحراء أو بادية لا يوجد من يعتمد قوله في المقدار والقيمة

هذا وقد خالف الحنفية الحديث ولم يعملوا به فلم يثبتوا الرد ببيع التصرية ولم يوجبوا رد الصاع من التمر . وحجتهم على ذلك أن حكم هذا الحديث مخاف للأصول المعلومة ، وما كان كذلك لا يلزم العمل به ، أما المقدمة الأولى فإن المعلوم

من الاصول أن المثليات تضمن بمثلها والقيميات بقيمتها من النقدين . وههنا إن كان الابن مثليا فضمانه بمثله لبنا وإن كان قيميا فضمانه بقيمته من النقدين ، وهو في الحديث مضمون بالتمر فهو خارج عن الاصلين جميعا
وأیضا إن القواعد الكلية تقتضى أن يكون الضمان بقدر التالف من المضمون . وهنا قدر الضمان بالصاع مطلقا قل الابن أو أكثر . وأيضا إن الحديث يقتضى بردالصاع ولو كان الابن باقيا ، وفي ذلك ضمان الاعيان مع بقائها والاعيان لا تضمن بالبدل . إلى اذا هلكت كالمغصوب وسائر المضمونات
وأما المقدمة الثانية فان هذا الحديث خبر آحاد فيفيد الظن ، والاصول المعلومة - مقطوع بها من الشرع ، والمظنون لا يعارض المقطوع
وقد نوقشت هذه الحجج ورد عليها بما لا يتسع المقام لبطاه

الحديث ١١٠

ثبوت خيار المجلس في البيع والشراء

عن حكيم بن حزام : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : البَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَدْنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَّتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَاحِدٌ

اللفظة : البيعان البائع والمشتري ، ويسمى المشتري بيعا من باب التغليب . لأن البيع هو البائع - الخيار . اسم من الاختيار أو التخيير وهو طلب خير الأمرين من إمضاء البيع أو فسخه . والمراد به خيار المجلس في الفسخ لأن الامضاء لا يحتاج الى شيء ، زائد على الإيجاب والقبول ويكفي فيه السكوت - يتفرقا . يتفرقا . بأبدانهما وقيل يتفرقا بالأقوال أى ما لم يتم البيع بالإيجاب والقبول . وزعم بعضهم

أنه يقال افتراقاً بالكلام، وتفرقا بالأبدان ورد ذلك بقوله تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) فانه ظاهر في التفرق بالكلام لأنه المخالفة في الاعتقاد ، ويرجع حمل التفرق في الحديث على تفرق الأبدان ما رواه البيهقي بلفظ (حتى يتفرقا من مكانهما) وبأن ابن عمر رضى الله عنهما كان اذا باع أو اشترى شيئاً ولم يشأ الرجوع قام من مجلسه ومشى هنيهة - صدقا وبينا . أى صدق البائع المشتري في نوع المبيع وسلامته من العيوب و بين له ما فيه . وصدق المشتري البائع في نوع الثمن وجنسه و بين له ما فيه من عيب أو نحوه - كتما وكذبا - أى أخفى كل منهما عن الآخر ما في البديل الذي يكون من جهته وغش كل الآخر فيما عليه البديل

محتت بركة بيعهما . أى قات وضاعت الزيادة والغائدة التى كان يرجوها كل منهما البائع فى الثمن والمشتري فى المبيع بما يتلهم الله به من الجوائح والمصائب التى تذهب بما فى أيديهما

الشرح : قد يشتري الإنسان شيأ من آخر لحاجة له فيه ثم يندم على الشراء لظروء ما يدعو للندم من رغبة عما اشتراه أو استكثر الثمن أو بدو أمر لم يكن باديا من قبل يقتضى رد المبيع ، وقد يبيع شيأ من ماله لحاجة عرضت ثم يتبين له أفضلية بقاءه اما لتبين خسارة فى البيع أو اهتدائه إلى مخلص سوى البيع من الحاجة التى دعت اليه فيود كل منهما أن لو أقاله صاحبه وفسخ ما بينهما من عقد أو وجد سبيلا يحله من هذا التعاقد ، لذا بين الرسول (ص) أن كلا من البائع والمشتري بالخيار بعد الايجاب والقبول بين امضاء البيع أو فسخه ماداما فى مجلس البيع فلكل منهما أن يفسخه بدون رضا الآخر ، ويسمى هذا (خيار المجلس) أما إذا ترك أحدهما صاحبه فلا خيار لهما ولا لأحدهما لأن ما كان بينهما من عقد قد تأكد بالمفارقة فلا سبيل الى العدول عنه إلا برضا الطرفين بالأقالة . فالتفرق المذكور فى الحديث هو التفرق بالأبدان لأنه المفهوم عند الأطلاق إذا قيل تفرق الناس . ولأن البيعين (بتشديد الياء) هما البائع والمشتري على ما تقدم ولا يسمى أحدهما

بيعا حقيقة الا بعد حصول العقد منهما ومتى حصل العقد لا يكون منهما تفرق بالأقوال بل بالأبدان . ولأن كل واحد يعلم بداهة علما عاما أن المشتري بالخيار ما لم يوجد منه قبول المبيع ، وإن البائع خياره ثابت في ملكه قبل أن يعقد البيع ، فلو كان المراد من التفرق الاحتلاف في الأقوال وهي الايجاب والقبول - إذ ليس بينهما أقوال سواهما - خلا الحديث عن الفائدة ولم يكن له معنى - وبهذا تمسك من أثبت لكل من المتبايعين خيار المجلس وهم جماعة من الصحابة والتابعين منهم علي وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وشريح والشعبي وعطاء - - وذهب مالك وأبو حنيفة إلى عدم القول بخيار المجلس وإلى أن الصفقة متى تمت بالايجاب والقبول فلا خيار إلا بالشرط . ولم يعملوا بهذا الحديث لمعارضته ما هو أقوى منه من نحو قوله تعالى : (وأشهدوا إذا تبأيتهم) لأن الآية تدل على طلب الاشهاد عند البيع فإن وقع قبل التفرق لم يكن له فائدة مع ثبوت خيار المجلس ، وإن وقع بعد التفرق لم يصادف محله لأنه وقع بعد تمام البيع . وقوله (أوفوا بالعقود) والراجع عن موجب العقد قبل التفرق لم يكن موفيا به . وقوله عليه السلام (المسلمون عند شروطهم) والخيار يعد العقد بدون شرط مفسد للشرط وهو العقد الذي بينهما - وفي بعض هذه الأقوال . مقل يرجع اليه من شاء ، في المطولات .
والمشهور أن حد التفرق بالأبدان موكول إلى العرف فما عده العرف تفرقا
حكم به والا فلا
وفي الحديث دلالة على شؤم التدليس والكذب وعن الصدق والارشاد

الحديث ١١١

النهي عن بيع الثمر قبل بدو صلاحه

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ بَيْعِ الثَّمَارِ حَتَّى تُزْهِىَ ، فَقِيلَ وَمَا تُزْهِىُ ؟ قَالَ حَتَّى تَحْمَرَّ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَرَأَيْتَ إِذَا مَنَعَ اللهُ الثَّمَرَةَ بِمِ يَأْخُذُ أَحَدَكُمْ مَالَ أَخِيهِ - وواه البخارى ومسلم

اللفظ : تزهى : فى القاموس . زها النخل طال كآزهى ، والبسر تلون . كآزهى وزهى

الشرح : كان الناس فى عهد الرسول يبيعون ثمار نخيلهم أو بساتينهم قبل أن يظهر نضجها وأمانها من العاهات بل قبل أن يبدو الثمر من أكمامه فتحتاجه الجوائح وتذهب به العاهات والأمراض بأن يعفن الطلع أو يفسد الثمر حتى إذا جاء الجذاذ لم يجد المشتري ثمرًا مما رغب فيه وقت الشراء فيختصم مع البائع ويكثر بينهما اللجاج والشحناء ، البائع يقول بعثك وما ضمنت لك السلامة من الآفات والمشتري يقول ما اشتريت إلا لىكى أنتفع بما دفعت ثمنه ، وهم تستحل الثمن الذى أخذته إذا كنت لم أقبض شيئاً مما اشتريته وفى ذلك من العداوة والبغضاء ما فيه .
فنهى الرسول (ص) البائعين والمشتريين من بيع الثمار قبل أن تعقد يبدو صلاحها وتظهر حمرتها وصفرتها وتصير بأمن من الآفات التى تهلكها لكيلا يحصل بينهم الاختلاف والخاصمة إذ قد عرف كل منهم ما هو مقدم عليه وأمن على البديل الذى يأخذه من الآخر

و بظاهر النهى قال بعض العلماء ببطلان البيع قبل أن تزهى الثمار سواء قبل وجودها أم بعده وقبل ازدهائها وقيل إن البيع جائز

هذا ونهاية الحديث تدل على العلة فى النهى ، وأنه مخاطب به البائع لئلا يأكل مال أخيه بالباطل ، والمشتري لئلا يضيع ماله ، ويساعد البائع على الباطل ، وفيه أيضا قطع أسباب النزاع بين المسلمين

وهل يكتفى بدو الصلاح فى جنس الثمار ؟ حتى لو بدا الصلاح فى بستان من البلد جاز بيع ثمرة جميع البساتين وإن لم يبد الصلاح فيها ، أو لا بد من بدو الصلاح فى كل بستان على حدة ، أو لا بد من صلاح كل جنس على حدة ، أو فى كل شجرة

على حدة ، قال مالك يكفي بدو الصلاح في جنس الثمار لجواز البيع في الجميع وإن لم يبد صلاحها ولو كانت من أنواع مختلفة ، وقال الإمام أحمد لا بد من بدو صلاح كل بستان على حدة ، وقال الشافعي يشترط لصحة بيع كل جنس بدو الصلاح في ذلك الجنس بصلاح بعضه ولا يشترط صلاح الجميع لأن الأزهاء متلاحقوا. واشترط صلاح الكل يؤدي إلى إفساد أكثره ، وقد من الله تعالى على عباده بكون الثمار لا تطيب دفعة واحدة ليطول زمن التفكه والتلذذ بها فيشكروا الله على ما آتاهم

الحديث ١١٢

فضل التجاوز عن المعسر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفَتِيَانِهِ تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ — رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

الشرح: التجاوز عن المعسر ين وتفرج كرب المكروبين من أعظم الأعمال مشوبة، وأكثرها عند الله أجرا ، وعند الناس حمدا وشكرا . ولقد قال الرسول (ص) (من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه) وقال (ص) (من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) ، وقد يأتي على المرء شدة ومسغبة يضيق بها واسع رحابه ، وتمسك بتلابيبه وتصبح الدنيا أمامه كسم الخياط ، يود الخلاص منها بأي ثمن وإن غلا ، ويود أن لو ابتلعت الأرض ، لذيون تراكت ، وأزمات به حلت لم تبق على رطب ولا يابس ، ولا صامت من ماله ولا ناطق ، فإذا ما أشفه دائنه مما هو فيه وحط عنه بعض دينه أو تجاوز له عما شملت به ذمته ، كان كمن ردت إليه الحياة وقد كادت

تزهق ، أو انتشل من براثن الهلاك وقد أوشك أن يفرق ، وناهيك إذا كان المتجاوز تاجرا شأنه البيع والشراء للربح والكسب فهو جد حريص على زيادة ماله ، وإعاء ثروته ، وتقليب تجارته في الأسواق يتنمى المال الوفير ، والربح الكثير ، فإذا ما وضع عن غريمه بعض ما عليه دل ذلك على إخلاصه وسلامه نفسه من الشح ورغبته في الخير وابتغاء الأجر فلا غرو أن يتجاوز الله عن سيئاته ويحط من أوزاره. ويعفو برحمته عن هفواته وزلاته وهو الغفور الرحيم

الحديث ١١٣

استقراض الأبل وحسن القضاء

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم يتقاضاه فأغلظ ، فهمَّ به أصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا ، ثُمَّ قَالَ أَعْطُوهُ سِنًا مِثْلَ سِنِّهِ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا نَجِدُ إِلَّا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ ، فَقَالَ أَعْطُوهُ ، فَإِنَّ خَيْرَ كُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ بِالْفِإِظِ مَخْتَلِفَةً

اللفظ: يتقاضاه يطلب منه قضاء الدين -- أغلظ . شدد في المطالبة - فهم به أصحابه . أراد أصحاب الرسول أن يؤذوه - مقالا . صولة في الطلب وقوة الحجة - سنا مثل سنه . جملا سنه مثل الذى له - أمثل . أفضل وأحسن

الشرح : اقترض الرسول (ص) من أعرابي بعيرا ، فلما حل أجل الأداء جاء الاعرابي ليستوفى ماله ولكنه لم يعمل في الطلب ولم يحسن بل شدد في المطالبة على عادة الاعراب من الجفوة ، فأساء ذلك بعض الصحابة الذى حضروا المطالبة وأرادوا أن يؤذوا الاعرابي لسوء أدبه مع الرسول ولكنهم لم يفعلوا أذبا مع النبي (ص)

فقال لهم الرسول : دعوه ولا تأخذوا عليه القول حتى يبين حقه ويطلب ماله
قال صاحب الحق ذو صولة وقوة و بيان ، فاذا حيل بينه وبين المطالبة به ضاع حقه
وعد كاذبا أو محتالا ، ولا شك أن هذا من حسن أخلاق المصطفى عليه السلام فكأنه
يبدى عذرا لاعرابي في تشديده في الطلب ويكف عنه عادية الصحابة ويكبح من
غيطهم الذي أثاره جفاء ذلك الاعرابي وغلظته ويسرى عنه ما يعتريه من الخوف
والفرع لارادتهم الايقاع به
ثم أمر بأن يشتري له بعير يقضى به حقه فقالوا لم نجد إلا أفضل من الذي
يستحقه فقتل (ص) اشتروه واعطوه إياه يكن لكم فضل حسن القضاء
يدل هذا الحديث على أمور :

جواز المطالبة بالدين اذا حل أجله . وحسن خلق النبي (ص) وعظم حلمه
وتواضعه وانصافه — وقبح مجافاة صاحب الحق وإن أساء في الطلب ، وجواز
استقراض الابل ويلحق بها جميع أنواع الحيوان وعلى هذا أكتفى العلماء . أما الحنفية
فلم يجوزوه ، لأن فيه بيع الحيوان بالحيوان نسيئة وهو منهي عنه في جملة أحاديث
صحيحة رجالها ثقات فهي ناسخة لما في هذا الحديث ، ولأن الحيوان مما تختلف
أفراده اختلافا كبيرا ويقع بينها تفاوت كبير يؤدي الى الخصومة والمنازعة — ويدل
على جواز الوفاء بما أهل أفضل من المثل المقرض إذا لم يكن ذلك مشروطا في العقد ،
وإلا فهو حرام لأنه ربا ، ويستوى في الزيادة القليل والكثير والصفة والمقدار

الحديث ١١٤

النهي عن القضاء حين الغضب

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَقُولُ : لَا يَقْضِينَ حَكْمٌ فِي رِوَايَةٍ لَا يَحْكُمُ أَحَدٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ
وَهُوَ غَضْبَانٌ — رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ

اللفظ: الحكم، الحاكم، ويطلق على القيم بما يسند اليه وعلى ما يرتضيه
الخصمان للفصل بينهما

الصرح: العدل دعامة العمران وباعث الطمأنينة إلى النفوس، به يحق
الحق ويذهب الباطل، يأمن في ظلاله الخائف، ويرتدع من جبروته وسطوته
الطالم، ويقوى الضعيف الحق، ويضعف القوى المبطل، وتستتير بضوئه مسالك
حياة الوادعة السميدة، ويضمحل على صخرته صخب البطش والجور

وأحر بمن نصب للفصل بين الناس في الخصومات واستجلاء الحق في ثأيا
الدعاوى والباطيل أن يكون جد حريص على وضع الأمر في نصابه وتقرس
الصواب من بين عريض الأقوال والمزاعم، ولا يتحقق ذلك إلا بأن يكون
حاضر الذهن واعيا لكل ما يقال بين يديه، يزنه بميزان الصيرفي الناقد،
والعبرى الحاذق، مالك زمام أمره، خالي الذهن من الصوارف التي تحول بينه
وبين ماجعل له، رزينا لا تستفزه الأهواء، ولا يأسر لبه الملق والاطراء،
حليما لا تحل حبوته المكدرات، ولا تهيج طائرته المفزعات، فارغ النفس من
الهموم والشواغل، هنالك يتحقق منه العدل، ويرتضى الحكم، وتخضع الهامات
العاصية، وتدل النفوس الطاغية، ويمتد ظل الأمن على الناس، وتسكن ثورة
الأهواء، ويقضى على نزوات العيث والفساد

أما إذا كان القاضي أو الحكم على غير ذلك اختل نظره وربما تجاوز الحق إلى
الباطل في حكمه كأن يكون حال غضب استولى على نفسه، وصب عليه صرفه
ومقاومته، وكذا سائر ما يتعلق به القلب تعلقا يشغله عن استيفاء النظر ودقة البحث
لاستيضاح الصواب. ولذا نهى الرسول (ص) في هذا الحديث أن يقضى القاضي
بين الناس وهو غضبان، وقاس العلماء على الغضب كل مامن شأنه أن يؤثر على
العقل وينير الفكر من جوع أو مرض أو هم أو نحو ذلك

الحديث ١١٥

التعريف باللقطة وحكمها

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ عَنِ اللَّقْطَةِ : فَقَالَ اعْرِفْ عِفَاصَهَا وَوَكَايَهَا ثُمَّ عَرَفْنَاهَا سَنَةً فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا وَإِلَّا شَأْنُكَ بِهَا ، قَالَ : فَضَالَةُ النَّعْمِ ، قَالَ هِيَ لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذَّبِّ ، قَالَ : فَضَالَةُ الْإِبِلِ ، قَالَ مَلَكَ وَلَهَا ، مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا تَرِدُ الْمَاءَ وَتَأْكُلُ الشَّجَرَ حَتَّى يَأْتَاهَا رَبُّهَا — رواه البخارى وغيره بألفاظ مختلفة

اللقطة : اللقط — (بضم اللام وفتح القاف على المشهور) كل مال معصوم معرض للضياع لا يعرف مالكه ، وأكثر ما تطلق على ماسوى الحيوان ، أما الحيوان فيقال له ضالة . العفاص : الوعاء الذى يكون فيه الشئ من جلد أو نسيج أو خشب أو غيره مأخوذ من العفص وهو الشئ لأن الوعاء يثنى على ما فيه ، وأصل العفاص الجلد الذى يكون على رأس القارورة ، يقال عفصتها عفصا إذا شددت العفاص عليها وأعفصتها إذا جعلت لها عفصا — الوكاء : (بكسر الواو) هو ما يشد على رأس الصرة والسكيس من خيط ونحوه وفعله أو كى كأعطى . والمراد من معرفة العفاص والوكاء تمييزها عن غيرها حتى لا تختلط اللقطة بمال الملتقط ، وحتى يستطيع إذا جاءه صاحبها أن يستوصفه بالعلامات التى تميزها عن غيرها ليتبين صدقه من كذبه — عرفها سنة . أنشر خبرها بين الناس بقدر استطاعتك حتى يعلم صاحبها أمرها — شأنك بها . تصرف فيها — لأخيك — المراد به أما صاحبها أو (١٧ — أدب)

ملتقط آخر . - للذئب . المراد به كل حيوان مفترس . مالك ولها . دعها وشأنها ، سقاؤها ، السقاء ، وعاء الماء والمراد به هنا كرشها لأنها تخزن فيه الماء فتقوى على السير عدة أيام دون أن تشرب - حذاؤها . المراد به اخفاقها أى أنها تقوى على السير وقطع البلاد ورعى الشجر والامتناع على السباع المفترسة - ربها . صاحبها الشرح : اشتمل هذا الحديث على حكم ثلاثة أشياء سئل فيها رسول الله

صلى الله عليه وسلم

(١) اللقطة : وقد تقدم تعريفها وانها أكثر ما تطلق على غير الحيوان . وقد بين الرسول حكمها بأنه يجب على ملتقطها أن يتبين علاماتها التي تميزها عما عداها من وعاء ورباط وكذا كل ما اختصت به من نوع وجنس ومقدار (كيل أو وزن أو ذرع) ويحفظ عليها احتفاظه على ماله ، ولا يعتدها غنيمة ساقها الله إليه فيعمل فيها يد الائتلاف والاتفاق كأنما هي مال مملوك له ، سواء في ذلك الحقير والجليل ثم يعرفها وينشر نبأها بما يستطيع في مجتمع الناس وعقب الصلوات في المساجد وحيث يظن أن ربها هناك وما يمتد أنه يذيع أمرها حتى يصل إلى صاحبها . ومدة التعريف سنة ، وتلك في ذات القيمة غير التافهة . وقال جمهور العلماء إن التعريف سنة واجب إذا أراد تملكها ولم يرد حفظها على صاحبها ، أما إذا أراد حفظها لملكها فالأصح أنه يلزمه التعريف أيضا لئلا تضع على صاحبها فانه لا يدري أين هي حتى يطلبها .

أما القليل التافه الذي يعلم أن صاحبه لا يطلبه عادة فانه لا يعرف أصلا ويملك بأخذه . وإن كان يتبعه صاحبه يعرف أياما إلى أن يغلب على الظن أن صاحبه لا يطلبه بعد ذلك . وإن كانت اللقطة مما يتسارع إليه الفساد كالطعام فللملتقط أن ينفع به ويضمنه لصاحبه ، وله أن يتصدق به ولا ضمان عليه - هذا حكم تعريفها أما أخذها والتقاطها فهو مستحب ، وقيل يجب ، وقيل إن كنت في موضع يأمن عليها إذا تركها استحب الأخذ ، وإلا وجب ، وإذا علم من نفسه الطمع

فيها حرم عليه أخذها . وهذا كله في غير لقطة الحرم . أما لقطته فيحرم أخذها إلا لتعريفها لقوله عليه السلام (لا يلتقط لقطتها (مكة) إلا من عرفها) .
ولما فقدت الأمانة ، وغاب الطمع على الناس سنت الحكومات في قوانينها أن من وجد شيئاً وجب عليه تسليمه إلى رجال الحكومة وإلا أعد سارقاً يعاقب بما يستحق ، وهذا لا بأس به

واللقطة في مدة التعريف ودية عند الملتقط لا يضمنها إذا هلكت إلا بالتعدي ، وعليه ردها لصاحبها متى بين من العلامات والامارات ما كان خاصاً بها يميزها عما عداها ولا يشترط أن يقيم البينة . وإذا انقضت المدة ولم يطلبها صاحبها كان للملتقط الانتفاع بها وعليه ضمانها لصاحبها ان عاد يطلبها

(٢) ضالة الغنم : وقد ذكر النبي عليه السلام أنه يجوز أخذها بقوله (هي لك أو لأخيك النخ) فكأنه قال هي ضعيفة معرضة للهلاك ، مترددة بين أن تأخذها أنت أو أخوك وهو صاحبها أو ملتقط آخر ، أو أن تفرسها الوحوش ، وفي ذلك حث على أخذها . وهل يجب تعريفها أو لا ؟ الجمهور على الوجوب ، فان لم يطلبها صاحبها كان للملتقط أن يأخذها وغرم لصاحبها ، وقال المالكية أنه يملكها بمجرد الأخذ ولا ضمان عليه ولو جاءها صاحبها لأنه سوى في الحديث بين الذئب والملتقط والذئب لا غرامة عليه ، فكذلك الملتقط

وأجمعوا على أنه لو جاء صاحبها قبل أن يأكلها الملتقط ردت إليه

(٣) ضالة الإبل : وقد ذكر رسول الله (ص) أنها مستغنية عن الملتقط وحفظه بما ركب في طباعها من الجلادة على العطش والقدرة على تناول الماء كقول من الشجر يغير تعب لطول عنقها فلا تحتاج إلى ملتقط ، وبخاصة ان بقاءها حيث ضلت يسهل على صاحبها العثور عليها ، بدل أن يتفقدتها في إبل الناس

الحديث ١١٦

النهي عن عقوق الامهات وكثرة السؤال واضاعة المال

عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ ، وَوَادَ الْبَنَاتِ ، وَمَنْعَ وَهَاتِ
وَكْرَةَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ -
رواه البخارى

اللفظ: عقوق الأمهات إيذاؤهن وعدم القيام بحقوقهن - واد البنات . ذفينهن
احياء . منع . مصدر منع يمنع . هات . اسم فعل بمعنى أعطى . والمراد بهما منع
ما أمر الله باعطائه وطلب مالا يستحق - قيل وقال : وفي رواية قيلا وقالا ، وهما اما
اسمان ، يقال كثر القيل والقال ، واما مصدران لقال يقول والمراد كثرة الكلام
المفضى الى الخطأ والزلل ، وكرر للمبالغة في الزجر عنه ، واما فلان محكيان والمراد
حكاية أقاويل الناس والبحث عنها ليحدث بها . فيقول : قال فلان كذا
وقيل كذا

الشرح : اشتمل هذا الحديث على ستة أشياء يجب على المسلم اجتنابها
أولها : عقوق الأمهات وعدم القيام بحقوقهن والوفاء لمن بما يجب من حسن
الطاعة والانفاق والمعونة ، وطيب القول والبعد عما يفضهن أو يسبب سخطن ،
غطالاً شقيت الأم بابنها حملاً وفضلاً ورضاعاً وتربية وحياطة من كل أذى وضرر ،
تسهر لينام ، وتتعب ليرتاح ، وتشقى ليسعد ، ابتسامته وهو صغير أشهى لديها من
الدنيا وما فيها ، وصحته وسروره أغلى ما تبغى الحصول عليه ، تقتدبه بكل مرتخص

وغال ، وتقيه بما تستطيع وتملك من كل غائلة وشر ، ان بكى طارت نفسها شعاعا ، وان مرض تقرحت جفونها التباعا ، فليس من حسن الصنيع ان يقابل ذلك بالجحود والكفران أو يجعله في مطارح النسيان . وقد خص الأُم في هذا الحديث لأن العقوق اليها أسرع لضعفها ولينبه على أن ير الأُم مقدم على ر الأب في التلطف والحنو

وثانيها : دفن البنات وهن أحياء ، وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك مخافة الفقر أو العار ، لأن البنت ضعيفة المنة ، عاجزة عن مزاحمة الرجال في كسب مادة الحياة فتكون عبئا على أبيها وحملا ثقيلًا ، فكان بعضهم يقتل البنات ليخف عنه ثقل معيشتهم ، وبعض آخر يئدهن مخافة أن يجلبن عليه العار بزلة تجعل أهلها سبة الدهر

وثالثها : منع وهات . والمراد بهما البخل بالمال عن الواجبات الشرعية وما تقتضيه المروءة من زكاة وصدقة وبر وعاونة محتاج وغوث مستغيث ونحو ذلك ، والطمع فيما ليس أهلا له من ابتغاء أجر بدون عمل ، أو زيادة على استحقاق لما في ذلك من اضاءة المروءة واذلال النفس وأكل المال بالباطل

ورابعها : قيل وقال . والمراد تتبع أخبار الناس وأحوالهم للتحدث بها وإشاعتها . وربما كان في شئ منها ما يفضب القول فيه من أمور كان يود إخفاءها وأسرار لا يجب اذاعتها ، فتنشأ المداوة وتنمو الضغينة ويم الفساد والأذى

أضف الى ذلك ما يوصم به من كانت هذه صفته من المذلة والصغار ، وما يلقاه من الناس من الاهانة والاحتقار

وخامسها : كثرة السؤال ، والمراد بذلك اما سؤال المال والصدقة ؛ وفي ذلك من اراقة ماء الوجه واذلال النفس ما يربأ المؤمن أن يندس به نفسه وإما السؤال عن المشكلات والمعضلات وأخبار الناس واختراع الأحاجي والألفاظ للتعجيز والارهاق لما يترتب على ذلك من اضاءة الوقت في غير المفيد . وربما كان

في الجواب عن السؤال ما يؤلم السائل ويسىء اليه أو الى غيره على حد قوله تعالى
(لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم)

وسادسها : اضاءة المال . بالاسراف في إنفاقه أو انفاقه فيما يفضب الله من
المحرمات .

وعلى الجملة انفاقه في غير وجهه المأذون فيه شرعاً مما يجلب مصلحة دينية أو
دنيوية أو يدفع مضرة كذلك . ذلك بأن المال قوام الحياة ، ومادة الدنيا التي هي
مزرعة الآخرة ، واضاعته تورث الندم والفقر والذل ، انظر الى ما يصنع في الافراح
والمآتم وجهاز العروس والمنازل ، وما ينفق في الملاذ والملاهي ، والرياء والملق
للحكّام ، والظهور في المظاهر الكاذبة الخادعة وما يجلب ذلك من الخراب العاجل
وقانا الله شر هذه الآثام ووقفنا للعمل بسنة خير الأنام

الحديث ١١٧

قبض العلم بموت العلماء

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِرَاءً يَنْتَرِعُهُ مِنْ
الْعِبَادِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ
عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا . وَفِي رِوَايَةٍ رُءُوسَاءَ . مُجْهَلًا فَسُئِلُوا فَأَقْتَرُوا
بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

الشرح : العلماء هم مصابيح الهداية ، ورسول الرشاد ، وأمناء الله في خلقه ،
يهدون الضال ، ويأخذون بيد المسترشد إلى حيث السداد والصواب ، آتاهم الله
من بسطة الفهم ، وسعة العقل ونفاذ البصيرة ما يكون عصمة لهم من الزلل في

الرأى ، والخلط فى الفهم ، وعوناً على استكناه الحقائق ، وكشف غوامض العلوم ، فصدورهم أوعية المعارف ، وعقولهم خزائن الحكم ، يفيض منها على الناس ينبوع لا ينضب ، ومعين لا يفيض ، وعلى مقدار كثرتهم فى الأمة واسترشاد الناس بهم يكون رقيها وعزها ، كما أن فى قلتهم وانفضاض الأفراد من حولهم أو ابتعادهم عن الناس يكون انحطاطها وتأخرها ، وانتمارها فى جهالة جهلاء ، وفشو الأكاذيب والأضاليل فيها .

وموت العالم ينجو مصباح يضىء ظلمات الحياة ، ويثلم سيف كان للحق ماضياً ، ويتهدم ركن من أركان عظمة الأمة ومجدها ، فان لم يخلفه غيره بقى ذلك الجانب مهيباً . وظل ذلك الركن مظلماً ، واستولت من بعده على العقول الأوهام والخرافات ، وثار من مكائنها هوام الفتنة والزيف ، وتصدر المجالس من ليس لها بأهل ، وأفتى من ليس بينه وبين العلم نسب ولا صهر ، فأذاع الأساطير - وملاً الأفتدة والآذان بما ينبو عنه العلم الصحيح ، ويجافى الحق والصواب ولا يزال سادراً فى ظلمات الزيف حتى يضل من حوله بضلاله ويعمى البصائر عن سواء السبيل فواجب على العلماء أن يذيعوا ما آمنهم الله عليه من مسائل العلوم وأبكار الفنون وأن ينشروا بين الناس نور الهدى ولا يستأثروا به دونهم ، وعلى العامة أن يحرصوا على تفهم ما يحتاجون إليه فى حياتهم حتى لا يصبخوا فى بيداء لاهدى فيها ولا رشاد

الحديث ١١٨

مضار الاختلاف وكثرة السؤال

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
دَعُونِي مَا تَرَ كُتُبَكُمْ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُؤَالَ هُمُ

وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا نَهَيْتَكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا
أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ - رواه البخاري ومسلم

الشرح : لهذا الحديث سبب . روى أن رسول الله (ص) خطب الناس
فقال : أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل أكل عام يارَسُولَ اللَّهِ؟
فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله (ص) لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ،
ثم قال ذروني ما تركتكم الخ الحديث

يعلم الرسول (ص) المسلمين الاقتصاد في السؤال على ما لا بد لهم منه ،
وعدم الالحاح فيما لا فائدة فيه مخافة أن تقع الأجابة بأمر يستقل فيؤدي لترك
الامتثال فتقع المخالفة والمعصية فيكون العذاب ، وهذا إذا لم يكن المقام مقام استفهام
واسترشاد حيث يحمد السؤال ويذم السكوت ، وربما يفضى كثرة السؤال إلى
مثل ما وقع فيه بنو اسرائيل ، إذ أمروا أن يذبخوا بقرة ، فلو ذبحوا أئى بقرة كانت
لامتثلوا ، ولكنهم شددوا فشدد عليهم

ثم أرشدهم إلى أنه يجب عليهم أن يقفوا عند نواهي الرسول (ص) ويحجبنوا
كل ما حظر عليهم فعله فلا يسوغ لهم الاثيان بشيء منه ، وقد استدل بعض العلماء
بعموم النهى في هذا الحديث على أن الاكراه أو الضرورة لا تبيح فعل المنهى عنه
كالتداوى بمحرم أو دفع العطش به

وأن الشرع لم يكلفهم إلا بما يطيقون ، فلا يكلفهم بما فوق طاقتهم ولا بما
يستحيل عليهم فعله ، ويدخل في ذلك كثير من الأحكام ، كالصلاة لمن عجز
عن ركن منها أو شرط فيأتى بما في مقدوره . وكذا الوضوء وستر العورة وحفظ
بعض الفأحة

وقد استدل بهذا الحديث على أن اعتناء الشرع بالمنهيات فوق اعتنائه
بالمأمورات لأنه أطلق الاجتناب في المنهيات ولومع مشقة الترك ، وقيد في المأمورات
بقدر الطاقة . وقد يقال إن النهى يقتضى الكف عن الشيء . وهذا مقدور لكل

أحد ولا مشقة فيه فلا يتصور عدم الاستطاعة ، بخلاف الأمر فانه يقتضى الفعل وقد يعجز عن مباشرته كما هو مشاهد فلذا قيد الأمر بالاستطاعة دون النهى . واستدل به على ذم كثرة السؤال والتعمق فى المسائل إذا كان على وجه التعنت والتكلف ، أما إذا كان على وجه التعلم والتعلیم لما يحتاج إليه من أمر الدين أو الدنيا فذلك جائز بل مأمور به لقوله تعالى (فاسألوا أهل الذکر إن كنتم لاتعلمون)

أضف إلى هذا أن كثرة السؤال عما لا يعنى مضيعة للوقت واشتغال بما هو عبث وداعيه إلى الاختلاف والمجادلة بالباطل ، ومثل ذلك كثرة التفريع على مسائل لا أصل لها من الكتاب ولا السنة ولا الإجماع فيصرف فيها زمان كان صرفه فى غيرها أولى

ومن ذلك البحث عن أمور مغيبية ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك البحث عن حقيقتها ، وعمما لم يثبت فيه دليل صحيح كالسؤال عن وقت الساعة وعن الروح ، وعن مدة هذه الأمة إلى غير ذلك مما لا يعرف إلا بالنقل ويوقع التعمق فيه فى الشك والخيرة . وقد روى أن النبي (ص) قال : لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله ؟

وضابط القول فى ذلك

أن المذموم من البحث والسؤال هو الاكثار فيما لا يأتى بفائدة ، وتفريع المسائل وتوليدها لاسيما فيما يقل وقوعه أو يندر ، وبخاصة إذا كان الحامل على ذلك المباهاة والمغالبة . وكذا أغلاق باب البحث والمناقشة حتى يفوت الانسان كثير من الأحكام التى يحتاج إليها فى حياته

أما إيمان النظر والبحث فى كتاب الله تعالى والمحافظة على ما جاء عن رسول الله (ص) والصحابة الذين شاهدوا التنزيل وعرفوا السنة وما دلت عليه فان ذلك محمود نافع مطلوب ، وهو الذى كان عليه عمل الفقهاء من التابعين ، أما من جاء بعدهم فقد كثر بينهم الجدال والمراء ، وتولدت الشحناء والبغضاء ، وهم أهل دين

واحد حتى صدق عليهم قول الرسول (ص) في آخر الحديث (فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم)

الحديث ١١٩

في فضل الصدقة والاستغفار عن السوأل

عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **الْيَدُ الْعَمَلِيَّةُ خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ** -
رواه البخارى ومسلم

اللغة: اليد العليا . اليد المتصدقة المنفقة - اليد السفلى . اليد الآخذة -

تعول . يكون في عيالك وتلزمك نفقته

السرج : من أفضل نعم الله على عبده سعة الرزق وبسطة المال ، وخير المال ما وقى به المرء نفسه ذل السؤال ، وحفظ به ماء وجهه ، فمن عرف لنفسه حقها ، ونفى لها السعادة دأب وسعى في تحصيل ما يوفر كرامته ويعنيه عن سؤال الناس وجعل له يداً عندهم ، ولم يجعل لأحد عليه فضلاً ، وأما من رضى بالهوان وقنع بالدون ، واستطاب الراحة والدعة لا يبالي أن يعرض أديم وجهه للامتهان ولا يؤمله أن تستباح كرامته ، وتراق على ماني أيدي الناس عزته وإباؤه

فالرسول (ص) يرغبنا في السعى لجلب الرزق من طريقه المشروعة وليكون لنا فضل التصدق على البؤساء والمعوزين ولا نكون ممن يمدون أيديهم لسؤال الناس ويقنعون بما يلقى إليهم من فتات الموائد ، ويحسنا على الانفاق في سبيل الخير مما أفاء الله علينا ، وأن نبداً بذوى القربى منا ومن تلزمنا نفقتهم حتى يكون ثواب الصدقة مضاعفاً وأجرها عظيماً

الحديث ١٢٠

في التحلل من المظالم في الدنيا

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا ، فَإِنَّهُ لَيَسَّ ثَمَّ دِينَارًا
وَلَا دِرْهَمًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ
حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ - رواه البخارى

اللفظ : مظلمة . بكسر اللام مصدر ظلم كضرب ، وهو الجور والايذاء . يتحلله
منها . يستبرئ منها بإيفائه إياها أو إبرائه - ثم . فى اليوم الآخر - يؤخذ من حسناته .
من ثوابها .

الشرح : ما أجل العدل وإتقاء كل ذى حق حقه ، وما أحسن الوثام يجمع
شمل المسلمين ، ويقوى رابطتهم وتشد أواصر وحدتهم ، وما أجدرهم أن يصدروا
فى أعمالهم عن حب يتبادلونه ، وإخلاص يفيض عليهم هناة وسعادة ، وما أشقاهم
إذا لبسوا ثياب النور ، واضطبعوا بالأحن والبغضاء ، واستشعروا الغل والضغن ،
كل يبنى الشر لأخيه ويود لوالتهم ما فى يده وأودى بطارفه وتالده واستأثر دون
الآخر بالخير ومرافق الحياة

ماذا يرجو الظالم من ظلمه ؟ وماذا يرتجى لعاقبته ؟ وما الذى أعده يوم يقتص
منه ويؤخذ للمظلوم بحقه ، لن غره أقبال الأيام وابتسام الدهر له فليحذر تقلياته
فإنها شديدة قاسية ، ولن اعترز بقوة جسمه ، وامتداد سلطانه ، فيذوق لطغيانه
وتجبره مارة الصاب والعلقم

يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحته وبنيه ، يوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ، هنالك تنجأ عن العيون العساوة ويتفرق عن العاصي الأصحاب والأئصار ، ولا يبقى إلا ما أسلف من خير أو شر ، ويؤخذ بيد العاصي فينصب على رؤوس الناس ، وينادي مناد هذا فلان بن فلان ، من كان له حق فليأت ، فيأتون ، فيقول الرب : آت هؤلاء حقوقهم ، فيقول يارب فنيت الدنيا فمن أين أوتيتهم ؟ فيقول للملائكة خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل إنسان بقدر طلبته ، وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال إن المفلس من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار — رواه الامام مسلم

الحديث ١٢١

في بطانة الخير وبطانة الشر

عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخَافَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بَطَانَتَانِ ، بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ ، وَبَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى — رواه البخارى

اللفظ : البطانة. خاصة الرجل الذين يبطنون أمره ويخضعونهم بمزيد التقريب

يسمى به الواحد والجمع . يقال بطن فلان بفلان يبطن به بطونا و بطانة إذا كان
خاصا به داخل في أمره - تحضه عليه . ترغبه فيه وتحببه إليه

الشرح : من ولى أمور الناس ومهامهم فقد تعرض لخطير العظام ، وحمل
جسيات الأمور ، وصار مرهوب البطش مأمول النوال ، ومن شأن ذلك أن
يترب الناس أحواله ، ويطرقون أبوابه ، كل يبغى عنده الزلفي ، ولهم
في ذلك ما رب شتى وهم في ذلك فريقان ، فريق ناصح يبصره بمعايير
الأمور وتفاصيل الأعمال ، ويرشده إلى مزالق الاقدام ومطارح الهلكة فيجنبه
اياها ، ويهديه السبيل الأقوم ، ويأخذ بيده إلى حيث السلامة والنجاة ،
فيكون الناصح الأمين ، والصادق الوفي وإن أصابه في ذلك مكره احتمله ،
وفريق يزين له كل ماصد منه ، ويموه أمام عينيه حقائق الأشياء فتبدو على
صورة مستعارة ، ويجعل كل ما يعمل أو يقوله كأنه ملهم أو وحى متلو لا يتطرق
إليه الخطأ من ناحية من نواحيه ، كما يهون له ما يكون من خطل في رأيه ،
أو فساد في إدارة حكمه ، ويخفي الضرر الذي تبدو أعلامه في سبيله فلا يلبث
حتى يرتطم في سوء عمله ، وتشبه عليه مصادره وموارده ، ويرتبك في سيئات
ما صنع ، فلا هو بمستطيع أن يتقدم فيزداد سوءا ، ولا أن يتأخر إذ ضلت به السبل .
ضم إلى ذلك تخلي الأوفياء المخلصين عنه ، وانقضاضهم من حوله ، فيعيا عليه الأمر
ويعز الهدى والساد

والشواهد على ذلك كثيرة في كل عصر وأمة ، وما أخذ المسلمون من جميع
نواحيهم إلا بتقريبهم بطانة الشر ورجال سوء وتولييتهم شؤونهم غير الأمناء
الصادقين ، وتشر يدهم أولى الرأي والحزم ، وأقصائهم الصالحين الاكفاء ، وتصديقهم
ما يوسوس به اليهم شياطين الانس من زخرف القول والفرور ، حتى ظنوا في
السراب سرايا ، وفي الجديب نضرة ورياء فهلسكوا وأهلكوا من تبعهم وتخطفتهم
الأمم من كل جانب ، وسامهم كل مفلس ، وتكلم عنهم من لا يحسن لهم قولا ،

ولا يرعى لهم مصلحة ولا كرامة ، وقدينا كانت بطانة السوء وبالا على الأمراء والخلفاء والأمم ، وبكالا على الصالحين أولى القدره على كفاء الأمور وتصريف الشئون أجل إنه ينبغي للحاكم أن يتخذ له من يكشف أحوال الناس في السر . ولكن يجب ألا يعتمد إلا على من كان مأموناً ثقة فظناً عاقلاً ، وأن يكون هو حازماً ناقداً متديراً في أحوال أعوانه ، لأن المصيبة إنما تدخل على الحاكم المأمون من قبوله قول من لا يوثق به ، ففى كان كذلك عصمه الله بمشيئته من الزلل ، وأمنه العثرات - هذا .

وقد يقال أن هذا التقسيم لا يمكن انطباقه على النبي لأنه وإن جاز عقلاً أن يكون فيمن يتودد الى الرسول ويكون من بطانته من هو من أهل الشر فلا يتصور منه أن يصغى اليه ويعمل بقوله لوجوب العصمة للرسول - والجواب : إن في نهاية الحديث الاشارة الى سلامة النبي (ص) من ذلك وهى قوله (فلا يصوم من عصمه الله تعالى)

وفى معنى الحديث ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبي (ص) : من ولى منكم عملاً فأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً ، إن نسى ذكره ، وإن ذكر أعانه

الحديث ١٢٢

فى ثواب الخوف من الله وصدقة السر

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : سبعة يُظِلُّهم الله يوم القيامة فى ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه . إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل ذكر الله فى

خَلْوَةٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّتَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصَبٍ وَجَمَالَ إِلَى نَفْسِهَا فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ — رواه

البخارى ومسلم بترتيب وألفاظ مختلفة

الشرح : يذكر الرسول عليه السلام في هذا الحديث ما أعده الله سبحانه وتعالى لسبعة من عباده المؤمنين الذين صفت عقيدتهم وزكت نفوسهم وراقبوا الله في سرهم وعلاقتهم وصدروا في جميع أعمالهم عن رهبة منه وخوف وطمع ، فهم يوم القيامة في كنفه وحياطته حيث لا ناصر لهم ولا معين

أولهم : امام نصب ليرعى مصالح المسلمين وينظر فيما يرقمهم ويرفع شأنهم ، فسار بينهم بالقسطاس المستقيم وانصف للمظلوم من الظالم ، ولم يخش ضعيف من جوره ، ولم يطمع قوى في جاهه وسلطانه ، قد أخذ الناس بالحزم على الجادة ، ومهد لهم سبل اقامة الدين ، ومعرفة حدوده في غير افراط ولا تفريط فأمن الناس في غدوهم ورواحهم على أنفسهم وأموالهم ، وفي الحق أن العدل دعامة الملك ، ووسيلة التقدم والعمران ، وسير الأمم في سبيل الرقي بخطوات واسعة في جميع مرافق حياتها ووسائل نهضتها وسعادتها — ويدخل في ذلك أيضاً كل من ولي شيئاً من أمور المسلمين فعدل فيه

وثانيهم : شاب امتلاً بفتوة ونشاطاً ، واكتمل قوة ونمو لازم عبادة الله ، وراقب في سره وجهره مولاه ، لم تغلبه الشهوة ، ولم تخضعه لطاعتها دوافع الهوى والطيش

وثالثهم : رجل خلا الى نفسه فذكر عظمة ربه وقوة سلطانه ، ورحمته على عباده وجزيل احسانه ، فأغرورت عيناه بالدموع وفاضنا طمعا في ثوابه وغفرانه ،

ورهبته من عذابه وأليم عقابه ، لم يفعل ذلك رياءً ، وخديعة على ملاء من الناس ومشهدهم ، مما يدل على صدق تأثره وعمق رهبته

ورابعهم : من حجب اليه المساجد فيظل متعلقاً بها يسرع إليها إذا حان وقت الصلاة ويحافظ على أوقتها ، وليس المراد حب الجدران ولكن حب العبادة والنزوع الى الله فيها وهذا يستلزم تجافيه عن حب الدنيا واشتغاله بها وهي رأس كل خطيئة ، والمساجد بيوت الله ومجتمع المسلمين ومناطق وحدتهم والتشامك بينهم ، شرعت فيها الجماعات في الجمع والأعياد لما في ذلك من حكمة وفوائد لا تحصى وخامسهم : رجلان تمكنت بينهما أواصر المحبة الصادقة ، والصداقة المتينة ، الخالصة لله من شوائب النفاق وابتغاء النفع ، لا يؤثر فيها غنى ولا فقر ، ولا تزبدها الأيام الا وثوقاً وإحكاماً ، سرهما في طاعة الله ، وجهرهما في مرضاته ، لا يتناحيان في معصية ولا يسران منكراً ، ولا تسعى أقدامهما الى فسق أو فجور ، تجممهما رابطة الدين وحبه وتفرقهما الغيرة على الدين والنياد عن حرمة ، لا لمرض زائل أو متاع من الدنيا قليل

وسادسهم : رجل دعته إلى منكر امرأة اجتمعت لديها كل دواعي النفي والعنيان من جمال رائع ، وحسب ومال يغري ذوى النفوس المريضة والأيمان الضعيف ، ويهيب بأولى الشهوات الجاحمة - وقل من يجتمع فيها ذلك من النساء - فسرعان ماتلبى النداء وترعى في خضراء النعمن ، ولكن هذا الرجل صدها عن غيها وزجرها عما تبغيه منه ، وذكرها بقوة الله وشدة بطشه وأنه منه جد خائف لا يقوى على عصيانه ولا يطيق عذاب نيرانه

وهذا إنما يصدر عن شدة خوف من الله تعالى وميتين تقوى وحياء

وسابعهم ، رجل ينفق في سبيل الله لا ينتفى من الناس جزاءً ولا شكوراً ، فهو من المراءة بعيد ، وعن الزلني والمخادعة للناس ناء ، يكاد لاخفائه الصدقة ألا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، فأين نحن من مثل هذا ؟ نرى الواحد اذا حدثته نفسه

عمل برزت أمامه البشائر ودقت حوله الطبول ، وأي أن يقرب اسمه بالقلب
التعظيم والتبجيل ، وينعت بنوع الاحسان والبر ما ينوء بها عمله ولا يقوى على
حملها ما اعترمه ، حتى اذا أتى وقت العمل ، وإبراز ما نواه الى عالم الظهور خارت
تلك العزيمة وتضاءلت هذه الهمة ونسي ما كان منه في سالف الزمان ، حتى يصير
في خبر كان. ولذا محقت البركة من الأموال وسلطت عليها الارزاء والأدواء وصارت
منبع آلام وشقاء بدل أن تكون سبيل سعادة وهناءة

فكل واحد من هؤلاء السبعة في الذروة من التقوى والصلاح والمنزلة العليا
من منازل الابرار والمتقين ، فلا غرو أن كلاً هم الله بحفظه وحاطهم بحياطته ، ومن
كان في كنف الله لم ترهقه التوائب ولم ترق اليه الخطوب والأهوال

الحديث ١٢٣

جزاء الاتحار وقتل النفس

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ: مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَرَدَّى
فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُماً فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُهُ
فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ
نَفْسَهُ بِمَجْدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا
مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا — رواه البخاري

اللفظ: تردى. سقطه والمراد أسقط نفسه — خالداً مخلداً. يطول مقامه وبدوم

عذابه — تحسى. تجرع وشرب — يجأ. يطعن

الشرح : إن الصبر على المكروه من علامات قوة العزيمة ، والجزع واليأس من صفات أهل الضعف والخور ، فالعاقل من رضى بالعيش حلوه ومره وقابل الشدائد بعزيمة ثابتة وجنان قوى ، علماً بأن الأمور بيد الله ، وأن العسر يقبه اليسر ، والضيقة يأتي بعذة الفرج . والفقر يزول بالغنى ، لادوام الحال ولا استمرار فمن حدثته نفسه بالانتحار لضيق معيشتة ، أو مرض طالته مدته ، أو إخفاق في امتحان ، أو ضياع مال ، أو فقد حبيب فيسمى للتخلص من الحياة بأن يلتقى نفسه من جبل ، أو يتناول سما ، أو يقر بطنه بمدية أو خنجر ، أو يطلق على رأسه الرصاص ، أو يرمى بنفسه تحت قطار فلا يظن أنه بذلك قد نجا وتخلص من العذاب بل تعرض لعذاب طويل الأمد ، شديد الألم بما قتل به نفسه في الدنيا ، فلا هو أتقى على حياته ولا هو بالنجى يوم القيامة من عقاب الله فالحازم الفكر ، والبصير المتدبر لا يستسلم لليأس ، ولا يقنط من رحمة الله ، ولا يلجأ إلى مثل هذه التقاؤس ، بل يثابر ويصبر ويكل إلى الله تصرف الأمور فالمرضى يشقى ، ومن رسب في الامتحان هذا العام فقد ينجح في العام القابل ، ومن تزلت به كارثة في صحة أو في ماله فإن الله قادر على أن يزيلها ويعوضه خيراً منها .

الحديث ١٢٤

النهي عن سب الدهر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ : يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ — رواه البخاري

الشرح : تنزل بالمرء حوادث ، وتحل به كوارث ، وتجري تصاريف القدر على

غير ما يرغب ، فيشدهمه ، وتصيح الدنيا في وجهه أضيق من كفة الحابل فيسخط .
ويتبرم ويشور ويضطرب حتى يخرج عن جادة العقلاء ، ويحيد عن سبيل الحازمين
الحكماء ، كأنما أخذ على الأيام عهداً ألا تجرى ربحها له الارخاء حيث أصاب ،
وعقد بينه وبينها ميثاقاً أن تكون على ما يهوى في جميع الاوقات والازمان
فاذا لم تكن على ما يشتهي سب الزمان وتصاريفه ، ولعن الأيام وما أحدثت ،
وما درى أن الأيام مسخرة من يده تقلب الليل والنهار ، وأنها تسير بقدر معلوم
ليس له فيه اختيار ، فالسخط عليها سخط على من يمينه زمامها ، وبقدرته تصرّفها
لحكمة يريدتها ونظام وإبداع يحجره لا طاعة لمخلوق ولاوقفا عند رغبة إنسان ،
فمن ألت به نازلة أو حلت بواديه فادحة فلا يضق بها صدره ولا يكفر بجزييل نعم
الله عليه وليصبر فان الايام لا تبقى على حال ولا يدوم بؤس ولا حزن فان مع العسر
يسرا ، وبعد الضيق فرجا

الحديث ١٢٥

المبادرة الى الايمان والاقلاع عن المعاصي

عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا
فَقَالَ رَأَيْتُمُ الْجَيْشَ بَعِثْنِي ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعَرِيَانُ ، فَالْنَّجَاءُ النَّجَاءُ
فَاطَاعَهُ طَائِفَةٌ فَأَذْلَجُوا عَلَى مَهْلِكِهِمْ فَفَجَّوْا وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمُ
الْجَيْشُ فَأَجْتَأَهُمْ — رواه البخاري

اللفظ : مثلي ، صفي وحالي العجيبة - النذير ، المخبر بما فيه شر وسوء - العريان
ضد المكسو ، والنذير العريان كان رجلاً من خثعم متزوجاً في بني زيد فأراد

بنو زيد أن يضيروا على قبيلته فخافوا أن ينذر قومه فجلسوا عليه حراسا بمدأن خلصوا
ثيابه ، فصادف منهم غرة وفر إلى أهله فأنذرهم وكان مما قاله لهم :

أنا المنذر العريان ينبذ ثوبه إذا الصدق لا ينبذ لك الثوب كاذب

فكان مثلاً لكل أمر تخاف مفاجأته ، ولكل رجل لا ريب في كلامه
- النجاء ، الهرب وهو منصوب على الاغراء - أدلجوا ، ساروا من أول الليل
أو ساروا الليل كله - صباحهم ، أغار عليهم في الصباح - اجتاحتهم ، استأصلهم
فلم يبق على أحد

الشرح : جاء رسول الله (ص) للناس بالهدى ودين الحق بشيرا ونذيرا ،
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وأمده ربه بالمعجزات الباهرة ، والآيات البينة
التي تؤيد صدقه ، ولم يقو أحد من معانديه على إبطال براهينه ، ودلائل حججه مع
كثرة المعاندين وتوافر الوسائل لديهم ، وتمكنهم من كل ما ينيلهم ما ينتفون ،
فقامت له الكلمة عليهم ودحضت مفترياتهم ، فمرة قالوا إنه ساحر ، ومرة قالوا إنه
شاعر ، وأخرى قالوا إنه يتلو أساطير الأولين اكتبها فهي تلي عليه بكرة وأصيلا
وهم في كل ذلك كاذبون مجادلون بالباطل بعد ماتين لهم الحق ، وقدهدى
الله به للإيمان قوما أخلصوا لله فنجوا وفازوا ، وأضل آخرين بكفرهم وعنادهم فباءوا
بالخزي والعذاب الأليم ، ولو أطاعوه لما أصابهم ما لحقهم من الذل والهوان بالفشل
والهزيمة في الحروب تارة ، والقتل والاسر تارة أخرى ، وبالعجز المبين عن أن يقفوا
في سبيل دعوته ويمنعوا انتشارها في أقطار المعمورة ، ويجولوا دون دخول الناس
في دين الله أفواجا ، وما كان عنادهم ولا مجادلتهم عن يقين يعتقدونه ولا شبه لم
يجلُ الشك عنها ولكن تكبروا وعتوا ، مخافة أن تزول عنهم مناصب توارثوها ،
ومظاهر تحينوا أن العز والمجد في المحافظة عليهما . فشب الرسول (ص) حاله وحالمه
بالمندر الخوف الذي بدت عليه جميع إمارات الصدق وجاء يحذر قومه غارة العدو
المهلكة فاسرع الى تصديقه طائفة واستعدت للنجاة فنجت في سعة من الوقت

وفازت ، وتباطأت في تصديقه طائفة غرهم الأمانى ، ولم يتخذوا لأنفسهم الحيلة من عدو قوى وجيش جرار حتى صبحهم العدو وأغار عليهم فأهلكهم ولم يبق منهم أحدا .

الحديث ١٢٦

محاسبة الوالى لعاله والتشديد عليهم

عن أبى حميد السعدي قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن التبية على صدقات بني سليم ، فلما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وحاسبه قال هذا الذي لكم وهذه هدية أهديت لي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهلا جلست في بيت أهلك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس وحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإني استعمل رجلا منكم على أمور مما ولاني الله فيأتي أحدكم فيقول هذا لكم وهذه هدية أهديت لي ، فهلا جلست في بيت أبيه وبيت أمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا ، فوالله لا يأخذ أحدكم منها شيئا بغير حقه إلا جاء الله يحمي يوم القيامة ، فلا عرف أحدًا منكم لقي الله يحمي بغيره رؤاه ، أو بقره لها خوار ، أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتى رؤى يياض أبطيه إلا هل بلغت — رواه البخاري ومسلم بروايات مختلفة

اللفة : الرغاء ، صوت البعير — والحوار ، صوت البقرة أو الثور — واليعار
صوت الشاة

المُرح : يضرب الرسول صلوات الله وسلامه عليه من نفسه مثلاً للولادة والخلفاء
في محاسبة معامهم ومرءوسيهم على ما ولوهم عليه ، فلا يناموا عنهم ولا يتركوهم يجمعون
الثروات ، ويتزرون أموال الرعية ، متخذين من سلطانهم أداة لذلك ، ويسلطون
أذنابهم وأتباعهم يظلمون الناس في جباية الأموال منهم بغير حق وارهاقهم ، ويتخذون
منهم ومن بيوتهم ومسطاه ومدخرات جلب الاتاوات لهم ، كما هو الشأن في بعض
الحكام في جميع الأمم ، ترى الواحد يتولى إمارة مقاطعة أو ولاية وهو رقيق الحال
يكاد يكون من المعدمين الذين يحل اعطاؤهم من الزكاة فلا يلبث عاما أو عامين حتى
يمود أبحر الحقيقة ، مكتنز الجعبة متضخما ثراء ومالا وفيرا ، فالوظيفة تدر عليه أخلاف
النعيم من هدايا يتقى بها شره أو يحتلب نفعه ويره ، ورشاوي يشتري بها ظلمه وجوره
ويدفع بها عن المفسدين بأسه وحزمه . فسرعان بما يدب الفساد في أمر ولايته ويتشبه
به عملاؤه فيعيشون عيش الذئب في النعم ويذوق الناس منهم كل سوء وأذى ،
وينظرون اليهم نظر الطائر إلى الصائد فزعين وجلين ، وعلى أنفسهم وأموالهم خاتنين
مذعورين ، ويتمنون الخلاص من حكمهم ولو بدلوا في سبيل ذلك ما بدلوا فتكثر
الثورات ، وتعصى الأوامر وتستأسد النفوس الشريرة ، وتسرى في القلوب روح
الفوضى والاضطراب والتمرد ، وما شأن حكم يكون ذلك أساسه ، لاشك أنه سريع
الانهيار قريب الزوال .

فحاسبة الخلفاء والملوك لولاهم ومؤاخذتهم على ما يرتكبون من المخالفات
تجعلهم حريصين على إقامة العدل والقسطاس بين من هم تحت رعايتهم ، والعمل على
تأمينهم من كل مخوف والسهو على راحتهم وما فيه رقيهم وسعادتهم ، وعدم الاستكانة
إلى الراحة والتواني ، وكف أيديهم وألسنتهم عن تناول ماليس لهم بحق ، فذسود
الطمانينة في القلوب وينصرف الناس إلى اتقان أعمالهم ، وإجادة مصنوعاتهم وترقية
شؤونهم في ظل السكينة والأمن

ولقد حذر النبي (ص) من سوء العاقبة من يأخذ ما ليس له بحق ، من الحكام والولاة ، وبين له مصيره بأن يأتي يوم القيامة حاملا ما أخذه على كتفيه مفتضحا أمره ، ذائعا بين الخلائق ظلمه وجرمه

أما بعد فمن يرى هذا المآل الويل والمرتع الوخيم ويرضى لنفسه ذلك الخزي والهوان ، بسبب مال زائل ، وعرض فان ، ومتاع من الدنيا قليل وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

ملاحظة : لما وصل المؤلف الى آخر صحيفة ١٩٢ من هذا الكتاب اختاره الله الى جواره فتوفى الى رحمة ربه يوم الثلاثاء ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٤٩ الموافق ١٤ ابريل سنة ١٩٣١ ، وقد أكل التأليف فضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى خفاجي أستاذ الشريعة بمدرسة دار العلوم . والحمد لله أولا وآخرا

فهرس الكتاب

	صفحة
الحديث ١ أثر النيات في الأعمال	٤
دعائم الاسلام ٢ »	٧
بيان المسلم والمهاجر ٣ »	١٠
علامة الايمان ٤ »	١٢
علامات النفاق ٥ »	١٣
» » ٦ »	١٥
الدين النصيحة ٧ »	١٦
أثر العلم في النفوس ٨ »	١٧
المطلع عند المصائب ٩ »	٢٠
أنواع الصدقة ١٠ »	٢١
ترك المشتبهات ١١ »	٢٣
فضل الكسب باليد ١٢ »	٢٧
فضل الحرفة على السؤال ١٣ »	٢٨
السماحة في المعاملة ١٤ »	٢٩
فضل الفرس والزرع ١٥ »	٣١
الاخلاص والمساعدة وكتب خطأ فضل الفرس والزرع ١٦ »	٣٢
الرفق بالحيوان ١٧ »	٣٦
عقاب من آذى الحيوان ١٨ »	٣٨
أداء الحقوق ١٩ »	٣٩
المباظة في أداء الحق ٢٠ »	٤١
واجب الرؤساء نحو مرءوسهم ٢١ »	٤٣
وجوب صلاة الجماعة ٢٢ »	٤٧

الحديث ٢٣	معاونة الاخوان في الدين	٥٠
٢٤	نصر الظالم والمظلوم	٥٢
٢٥	تعاون المؤمنين	٥٤
٢٦	دعوة المظلوم	٥٦
٢٧	جزاء من اغتصب أرضا	٥٨
٢٨	لا يحل القضاء حراما ولا يحرم حلالا	٦٠
٢٩	حق الطريق	٦٤
٣٠	اكرام المالك والخدم	٦٨
٣١	أكبر الكبائر	٧١
٣٢	اليمين الفأجرة	٧٣
٣٣	الوصية بالمال	٧٦
٣٤	الجرائم الموقبة والسبع المهلكة	٨٠
٣٥	أداء الصلاة لوقتها ، وبر الوالدين	٨٦
٣٦	طاعة الأئمة والرؤساء في المعروف	٨٩
٣٧	من يضاعف الله لهم الأجر	٩١
٣٨	التيسير والتبشير	٩٤
٣٩	إطعام الجائع وعبادة المريض	٩٨
٤٠	اكتلاف الأرواح واختلافها	١٠٠
٤١	بر الوالدين	١٠٢
٤٢	سب الرجل والديه	١٠٤
٤٣	ثمرات صلة الرحم	١٠٥
٤٤	فضل كفالة اليتيم	١٠٧
٤٥	السعي على الأرملة والمسكين	١٠٨
٤٦	إيذاء الجار	١٠٩
٤٧	اكرام الضيف والاحسان الى الجار	١١٠

الحديث ٤٨ وحدة المسلمين وتراجمهم	»	١١٢
٤٩ الرحمة وعقاب مجانبها	»	١١٣
٥٠ الصدقة بالمال وطيب الكلام	»	١١٥
٥١ حسن الخلق	»	١١٧
٥٢ مداراة الأشرار	»	١١٩
٥٣ النسيمة وعقابها	»	١٢٢
٥٤ ذو الوجهين	»	١٢٣
٥٥ الظن والتجسس والتحاسد	»	١٢٥
٥٦ الجاهرة بالمعاصي والمجون	»	١٢٩
٥٧ التواضع والكبر	»	١٣٢
٥٨ حرمة الخصام والهجر	»	١٣٤
٥٩ الصدق والكذب وأثرهما	»	١٣٧
٦٠ ضبط النفس	»	١٤١
٦١ الحياء وأثره	»	١٤٣
٦٢ مفاسد من حرموا الحياء	»	١٤٥
٦٣ حذر المؤمن	»	١٤٦
٦٤ التشهير بالغادر	»	١٤٧
٦٥ السلام ومن يبدأ به	»	١٤٩
٦٦ استعمال الذهب والحريير	»	١٥٠
٦٧ اطعام الطعام واقراء السلام	»	١٦٠
٦٨ أدب المناجاة	»	١٦٢
٦٩ الاحتراس من النار وتفطية الآنية	»	١٦٤
٧٠ الغنى غنى النفس	»	١٦٧
٧١ الاعتدال ومداومة الأعمال	»	١٦٩
٧٢ حق الله على العباد وحقهم عليه	»	١٧١

الحديث ٧٣ نذر الطاعة ونذر المعصية	»	١٧٤
٧٤ الأخذ بالأيسر وترك الانتقام للنفس	»	١٧٧
٧٥ تقاتل المسلمين وعقابه	»	١٧٩
٧٦ نعمة القرآن والمال	»	١٨٣
٧٧ النصح للرعية وعقاب المقصرين فيه	»	١٨٦
٧٨ اللدد في الحصومة	»	١٨٨
٧٩. مثل قارئ القرآن	»	١٨٩
٨٠ تسبيح الله وتقديسه	»	١٩٢
٨١ عمرة افشاء السلام	»	١٩٤
٨٢ فضل ستر العورة	»	١٩٥
٨٣ القصد في الطعام والشراب	»	١٩٦
٨٤ فضل الدعوة إلى الخير	»	١٩٧
٨٥ وصف المؤمن	»	١٩٨
٨٦ الكيس والعاجز	»	١٩٩
٨٧ الاستشارة	»	٢٠١
٨٨ المؤمن القوى	»	٢٠١
٨٩ دعاء للرسول	»	٢٠٥
٩٠ النظر لمن هو أسفل	»	٢٠٧
٩١ التعوذ من الهم والدين	»	٢٠٩
٩٢ أفضل الصدقات	»	٢١٥
٩٣ ما يجوز الصدقة به في مرض الموت	»	٢١٦
٩٤ القصد في العبادة	»	٢١٩
٩٥ جزاء العجب والخيلاء	»	٢٢٢
٩٦ بيع الرجل على بيع أخيه	»	٢٢٤
٩٧ ما ينبغي اعتباره في اختيار الزوجة	»	٢٢٦

الحديث ٩٨	الحث على الزواج	٢١٨
٩٩	استئذان المرأة في الزواج	٢٣١
١٠٠	احداد المتوفى عنها زوجها	٢٣٤
١٠١	تخير الأوقات للمواظ	٢٣٦
١٠٢	ما يكره من التمداح	٢٣٧
١٠٣	اجزاء النيمة وعدم الاستتار من البول	٢٣٨
١٠٤	تعاهد القرآن	٢٤٠
١٠٥	التعوذ من الإثم والدين	٢٤١
١٠٦	الحلف بغير الله	٢٤٣
١٠٧	النية في الحلف	٢٤٤
١٠٨	كراهة الحلف في البيع	٢٤٥
١٠٩	شراء المصّرة	٢٤٧
١١٠	خيار المجلس	٢٤٩
١١١	بيع الثمر قبل بدو صلاحه	٢٥١
١١٢	التجاوز عن المعسر	٢٥٣
١١٣	الاستقراض وحسن القضاء	٢٥٤
١١٤	القضاء وقت الغضب	٢٥٥
١١٥	التعريف باللقطة وحكمها	٢٥٧
١١٦	النهي عن عقوق الأمهات	٢٦٠
١١٧	قبض العلم بموت العلماء	٢٦٢
١١٨	مضار الاختلاف وكثرة السؤال	٢٦٣
١١٩	فضل الصدقة والاستعفاف عن السؤال	٢٦٦
١٢٠	التحلل من المظالم في الدنيا	٢٦٧
١٢١	بطانة الخير و بطانة الشر	٢٦٨
١٢٢	ثواب الخوف من الله وصدقة السر	٢٧٠

الحديث ١٢٣	جزء الانتحار	٢٧٣
» ١٢٤	النهي عن سب الدهر	٢٧٤
» ١٢٥	المبادرة الى الايمان والاقلاع عن المعاصي	٢٧٥
» ١٢٦	محاسبة الوالي لعماله والتشديد عليهم	٢٧٧

